شرح

بُلُوغُ المَرَامِ

مِنْ

أَدِلَّةِ ٱلأَحْكَامِ

لفضيلة الشيخ

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الجامع

(كـــاملًا)

لمشاهدة الشرح

للاشتراك في القناة

(كِتَابُ ٱلْجَامِعِ)

أي: هذا كتابٌ يجمع أبواباً لا يستغني عنها طالب العلم؛ إذْ أنَّ الذي يجمل الرجل ثلاثة أمور:

الأمر الأول: دينه.

والأمر الثاني: علمه، وهذان الصنفان ذكرهما المصنِّفُ رحمه الله فيما تقدَّم مِنْ الأبواب.

والأمر الثالث: خلقه.

وطالبُ العلم لا ينال كمالَ الإيمان إلَّا بحسن الخلق، وكذا غير طالب العلم قال عليه الصلاة والسلام: ((أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً)).

وبعض الناس يظنُّ أنَّ الخلقَ ليس عبادة، بل هو عبادةٌ عظيمةٌ تحبب الناس في المرء وفي الدين، ولذلك وصف الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، ووصف رسله بأكمل الأخلاق كقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ وهكذا، فالخلقُ عبادةٌ يجب ألاَّ تنفك عنْ بقية العبادات التي بين الخالق والمخلوق كالصَّلاة مثلاً.

وقد حوى المصنِّفُ رحمه الله في هذا الكتاب وهو آخر كتاب في مُصنَّفه العظيم عدَّة أبوابٍ وهي: الأدب، والبرُّ والصِّلة، والزُّهد والورع، والتَّرهيب من مساوئ الأخلاق، والتَّرغيب في مكارم الأخلاق، والذِّكْر والدُّعاء.

واستفتح هذه الأبواب فقال: (بَابُ ٱلْأَدَبِ) والمراد بالأدب: حُسْنُ الخُلِقِ، وهو الموصوف به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.

لذلك قال المصنِّفُ رحمه الله:

١٢٣١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((حَقُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اِسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ ٱللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ)) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: ما هي الحقوق التي بين المسلمين؟

وهذه الحقوق في هذا الحديث تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
قسمٌ: ما هو فرض عين.
وقسمٌ: ما هو فرض كفاية.
وقسمٌ: ما هو مندوب على اختلافٍ بين أهل العلم في جميع هذه الأصناف الستة.
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: (**حَقُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَى اَلْمُسْلِمِ**) يدل على أنَّ بين المسلمين حقوقاً يجب أنْ يؤدوها، وإلَّا فلا يكمل إيمانهم.
المسألة الثانية: يدل على محبة الإسلام للخُلُقِ وترغيبه فيه قال سبحانه: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ وكم مِنْ طالب علم رزقه الله العلم وحُرِمَ الخُلُق فانصرف الناس عنه، وكم مِنْ طالب علم أقلَّ منه علماً لكن سبقه بالخُلُق فانتفع الناس بعلمه.
المسألة الثالثة: قوله: (**سِتٌّ**) هذا العدد لا مفهوم له ففي البخاري ومسلم: ((حق المسلم على المسلم خمس)) وذكر ما في هذا الحديث سوى: ((وَإِذَا اِسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ)).
ومِنْ حقوق المسلمين بعضهم على بعض غير هذه الستة كثيرةٌ مثل: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)) ومثل: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم مَنْ لا يأمن جاره بوائقه)) ومثل: إعانة الفقير وغير ذلك.
المسألة الرابعة: قوله: (**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**) ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب السَّلام واستدلوا بهذا الحديث ((إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ)) ولأنَّ السَّلام من مفاتيح الجنَّة؛ لذلك قال النَّبيُّ ﷺ أول ما قَدِم المدينة: ((يأيها الناس! أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، واصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)) والنَّبيُّ ﷺ قال: ((لا تؤمنوا حتى تحابوا، ولا تحابوا حتى أو أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله افشوا السلام بينكم)).
وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ ذلك مستحبٌ واستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ ﴾ فليست إلزاماً وإنَّما إذا حييتم.

وأما ردُّ السلام فإذا كان الرجل بعينه يجب عليه الردُّ قال سبحانه: ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ وإذا كان جماعة يغني عنهم الواحد.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**) يدل على أنَّ الكرم مِنْ صفات المسلمين، وهو ممَّا يحبب النفوس بعضها إلى بعض.

المسألة السادسة: قوله: (**دَعَاكَ**) يدل على مشروعية المسلم سواء لوليمة النكاح أو غيرها، وهذا ممَّا يقوي أواصل المودة بين المسلمين.

المسألة السابعة: قوله: (**وَإِذَا دَعَاكَ**) يدل على أنَّ الإسلام دين الخُلْطة بين الناس، وأنَّ الرهبنة ليست مِنْ الإسلام في شيءٍ، فالإسلام يأمر بدعوة المسلم لأخيه المسلم ويختلط به؛ لينتشر الخير.

المسألة الثامنة: قوله: (**فَأَجِبْهُ**) الوجوب إذا كان في أمرٍ لا منكر فيه في صحيح مسلم ((ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله))، ويستثنى من ذلك إذا كان في عدم الحضور مصلحة مثل: عدم حضور القاضي ونحو ذلك لولائم الناس.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَإِذَا اِسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ**) يدل على أنَّ النصيحة على قسمين:

القسم الأول: أنْ تنصح له بدون طلبه، وهذا واجبٌ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((الدين النصيحة)).

والقسم الثاني: إذا طلب منك أنْ تنصح له أو تنصحه وهذا واجبٌ.

المسألة العاشرة: يدل على أنَّ الإنسان ناقصٌ بنفسه ويحتاج إلى من ينصحه، وعماد ذلك الأمر المعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من النصيحة.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اَللَّهَ فَسَمِّتْهُ**) ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أنْ يَعْطَس ولا يحمد وهذا لا يُشَمَّت.

والقسم الثاني: إذا عَطَسَ وحمد الله فهذا يجب أنْ يُسَمَّت أو يُشَمَّت كلاهما بمعنى واحد؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((وإذا عطس فحمد الله كان حقا على كل مسلم أنْ يشمته)).

المسألة الثانية عشرة: مِنْ حِكَمِ حمد الله بعد العِطَاس: أبخرة متجمعة في الدِّماغ قد تُؤدِّي إلى الوفاة، فإذا زالت هذه الأبخرة يحمد الله، وفي غير دين الإسلام إذا عَطَسَ في دينهم يقال له: هنيئاً لك - يعني: أنَّك لم تمت -.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ**) ذهب بعض أهل العلم إلى وجوب عيادة المريض ومنهم البخاري قال: ((باب وجوب عيادة المريض)) عيادة المريض سواء كان صغيراً كما زار النَّبيُّ ﷺ الغلام اليهودي، أو كبيراً كما زار النَّبيُّ ﷺ سعيد ابن معاذ، أو مغمى عليه كما زار النَّبيُّ ﷺ جابراً؛ لذلك قال البخاري: ((باب زيارة المغمى عليه)).

ومنهم من قال: إنَّ الزيارة مستحبةٌ لما ورد فيها من فضائل، كقول النَّبيِّ ﷺ في صحيح مسلم: ((لم يزل في غرفة الجنة حتى يعود))، والنَّبيُّ ﷺ لم يكن يعود كلَّ مريض بدليل أنَّ ابنته لما دعته وأخبرته أنَّ ابنها في الموت لم يزرها إلَّا بعد أنْ ألحَّت عليه.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ**) يدل على مشروعية إتباع الجنائز، وهذا مِنْ وفاء المسلمين لبعضهم، وعَلَمٌ مِنْ أعلام صدق الميت وإخلاصه مع الله كما قال الإمام أحمد: ((بيننا وبينهم الجنائز)) وإتباعه يشمل أمرين:

الأمر الأول: المشي مع جنازته إلى قبره.

والأمر الثاني: الانتظار بعد قبره حتى دفنه.

والمقصود ممَّا تقدم أنَّ المرء يفعل هذه الخصال الحميدة سواءٌ مَنْ قال بوجوبها أم لا، فهي من الأسباب دعوة المسلمين إلى الخير، وهكذا كان شيخ الإسلام رحمه الله يزور الناس، وقَبْلَ ذلك النَّبيُّ ﷺ.

١٢٣٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اَللَّهِ عَلَيْكُمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: كيف تكون نظرتك للنَّاس.

قال: (**انْظُرُوا**) والنَّظر هذا نظراً بصرياً ونظراً أيضاً قلبياً (**إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: يدل على أنَّ الخلق متفاوتون في الدين والدنيا قال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**انْظُرُوا**) هذا الأمر للوجوب، فقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**) يعني: في الدنيا، ويُفسِّره قول النَّبيِّ ﷺ في صحيح البخاري: ((انظروا من هو أعلى منكم في الدين وإلى من هو أسفل منكم في الدنيا)) فدلَّ على أنَّه يجب أنْ تنظر إلى مَنْ هو أقل منك في الدنيا.

المسألة الرابعة: قوله: (**أَسْفَلَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا**) يدل على أنَّ الدنيا فتنةٌ، وقد تعوَّذ منها النَّبيُّ ﷺ فقال: ((وأعوذ بك من فتنة الدنيا)) رواه مسلم.

المسألة الخامسة: يدل على ضعف قلب الإنسان؛ فإذا رأى مَنْ هو أسفل منه صَلَحَ حاله.

المسألة السادسة: هذه قاعدةٌ عظيمةٌ في إصلاح النَّفس وشكر النِّعم كما سيأتي، وقول بعض النَّاس: ((مَنْ رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته)) له أصل هذا الحديث.

المسألة السابعة: قوله: (**وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ**) يدل على وجوب أنَّ الإنسان ينظر إلى ما فيه صلاح دينه.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ**) يدل على أنَّ ممَّا قد يُفسد دين المرء هو الخُلطة مع الأغنياء مِنْ غير حاجة؛ لذلك قال: ((وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ)) يعني: في الدنيا، فالغني يخالط للحاجة لا للمعيشة.

المسألة التاسعة: قوله: (**فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اَللَّهِ عَلَيْكُمْ**) يدل على وجوب شُكْرُ النِّعم.

المسألة العاشرة: يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يتحرى أسباب شُكْرُ النِّعم، فبشكر تزيد النِّعم.

المسألة الحادية عشرة: يدل على أنَّ مِنْ أسباب شُكْرُ النِّعم وزيادة الإيمان في القلب هو الخلطة مع الفقراء؛ فالفقير نافعٌ لك في دينك ودنياك وفي آخرتك.

وهم - أي: الفقراء - نافعون أيضاً لمالك قال سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ فالذي يُطهر مالك ويُبارك فيه هو الفقير.

١٢٣٣- وَعَنْ اَلنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ اَلْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: اَلْبِرُّ: حُسْنُ اَلْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: أنَّ حُسْنَ الخلق يجمع كلَّ خيرٍ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلْبِرُّ**) وهو الخير (**حُسْنُ اَلْخُلُقِ**) يدل على أنَّ جامع البرُّ بحذافيره هو في حُسْنِ الخلق.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ أبواب البرِّ واسعةٌ يجمعها حُسْنُ الخلق، فالإحسان للجار حُسْنُ خلقٍ، التَّبسم حُسْنُ خلقٍ، إعانة الناس حُسْنُ خلقٍ وهكذا.

المسألة الثالثة: يدل على عظيم شَأْن منزلة الأخلاق، والله عز وجل أثنى على أخلاق الأنبياء فقال عن إبراهيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ وغيره.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَالْإِثْمُ**) أي: أنَّ ضابط الإثم عائدٌ في أصله إلى الفطرة، وأتى الإسلام بتثبيت ذلك وبيانه.

المسألة الخامسة: قوله: (**مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ**) أي: ما تردد، يدل على أنَّ النَّفس مجبولةٌ على الفطرة قال سبحانه: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فمثلاً كَشْفُ العورة فيه ترددٌ لفعل ذلك الأمر، يعني: النَّفس لا تطمأن له لماذا؟ لأنَّه إثمٌ، وكذا النَّفس السَّليمة لا تشرب الخمر وهكذا.

المسألة السادسة: ضابط الإثم ما توفر فيه أمران:

الأمر الأول: أنَّ نفسك تستقبحه.

والأمر الثاني: تكره أنْ يطلع الناس عليه.

مثال ذلك: لو أنَّ طالب علم أراد أنْ يسمع الغناء يتردد في قلبه هذا ما يصلح، وتكره أنَّ النَّاس ينظرون إليك وأنت تستمع إلى الغناء وهكذا.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ مراعاة أمر الناس أمرٌ شرعيٌّ، وأنَّ مِنْ فوائد الخُلطة بالنَّاس أنهم يكرهون الأمر السَّيئ فتبتعد عنه.

المسألة الثامنة: بهذين الضابطين لو تمسَّك أيُّ إنسان بهما لما رأيت معصية.

المسألة التاسعة: يدل على سهولة هذا الدينِ ويُسرِه وضوحِه حتى لو لم تعلم عن حكم المسألة ماذا يتردد في نفسك أو يراك النَّاس فيه؟ فدلَّ على أنَّ هذا الدين موافقٌ لتمام الفطرة.

المسألة العاشرة: ليس معنى ذلك ترك طلب العلم، أو السُّؤال عمَّا أشكل، أو أنْ يُجعل هذا هو الضابط لا؛ وإنَّما الأمور المنهية إذا عرفت أمرها بالشَّرع الفطرة تحقق ذلك، لذلك قال النَّبيُّ ﷺ: ((إنما شفاء العيي السؤال)) يعني: شفاءُ الجاهلِ هو السُّؤال، والله يقول: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ لكن لو أفتاك أحدٌ في مسألة وأنت مترددٌ في حِلِّها ولديك نصٌ فاعمل ما تردد في نفسك.

١٢٣٤- وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ دُونَ اَلْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ; مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: تحريم التَّناجي بين الاثنين إذا كانوا ثلاثة.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اِثْنَانِ**) يدل على تحريم تناجي اثنين إذا كان القوم ثلاثةً، أما إذا كان أربعة فتناجى اثنان فلا محذور.

المسألة الثانية: لو كانوا القوم عشرةً فتناجى تسعة وابعدوا عنهم واحداً يدخل في هذا التَّحريم؛ لأنَّ العلة واحدة وهي دخول الحزن عليه.

المسألة الثالثة: قوله: (**حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ**) دلَّ على أنَّ تناجي اثنين فصاعداً مع وجود كثرةٍ منه يُذهب ذلك المحذور.

المسألة الرابعة: قوله: (**مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ**) يدل على أنَّ الإسلام يحرص على عدم إدخال الحزن على المسلم، بل من مقاصد هذا الإسلام هو إدخالُ الفرحِ والسُّرورِ بالدين على المسلم؛ لذلك الله يقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ ونهى عن الحزن كما في قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.

المسألة الخامسة: التَّناجي بابٌ من أبواب الشيطان في إدخال الحُزن أو التَّفريق بين أفراد المجتمع؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.

المسألة السادسة: ليست كلُّ نجوى تضرُّ، فبقدرة الله سبحانه يمنع ذلك الضرر كما قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

المسألة السابعة: هذا الحديث أصلٌ من أصول الوضوح بين أفراد المجتمع، والوضوح بين أفراده سببٌ من أسباب سلامة الصدر، والخفاء والتَّخفي ممَّا يُوغر صدر المسلم على أخيه المسلم.

المسألة الثامنة: إذا كان ثلاثة في الأجهزة الحديثة لا يجوز إرسال رسالة مثلاً من الأول إلى الثاني فيما يخص الثالث وإنْ كان لا يعلم الثالث، أما إذا كانت تخصه بلمزٍ فيه ونحو ذلك فلا يجوز سواء كان حاضراً أم لا.

١٢٣٥- وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: وجوب احترام القاعد في المجلس.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ**) هذا الوصف لا مفهوم له، بل ويدخل فيه النساء أيضاً.

المسألة الثانية: قوله: (**لَا يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ**) يدل على أنَّ مَن سَبَقَ إلى مكانٍ فهو أحقُّ به ومن ذلك المجالس.

المسألة الثالثة: قوله: (**مِنْ مَجْلِسِهِ**) يدل على تحريم الأمر بإقامة أحد من الجالسين في المجلس؛ ليَجلُس فيه غيره ولو كان صغيراً - أي: المقام-.

المسألة الرابعة: قوله: (**ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ**) الوعيد على من فعل الأمرين قيام شخص والجلوس مكانه، أما قيام شخصٍ مِن مكانه بغير حق فلا يجوز، وإذا جَلَسَ فيه زاد التَّحريم.

المسألة الخامسة: دلَّ عموم هذا الحديث على أنَّ الداخل حتى ولو كان من أهل الفضل لا يُؤمر أحدٌ من الجالسين بالقيام؛ ليجلس مكانه ولكنْ إذا قام أحد الحاضرين برضى نفسٍ منه تمجيداً له فلا بأس.

المسألة السادسة: يدل على احترام الإسلام لأحكام المسلمين في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ حتى في مجالسهم وتنظيمها، ولا يُمكن أنْ يكون ذلك في غير دين الإسلام.

المسألة السابعة: قوله: (**وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا**) يدل على أنَّ الإسلام إذا نهى عن أمر يُعطيك حلاً له وهذا من مبادئ الشريعة، فإذا نهيت أحداً عن أمرٍ فأذكر لهم بدلاً قال سبحانه: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ لما حرَّم الربا بيَّن أنَّ لهم عوضاً وهو البيع، ونهى عن الزنا وأمرهم بالزواج وهكذا.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا**) أي: ليبتعد أحدٌ من الآخر حتى يبقى مكان، فهذا من وسائل إجلاس القادم.

المسألة التاسعة: من وسائل إجلاس القائم قوله: (**وَتَوَسَّعُوا**) يعني: من كان مجلسه كبيراً بالتَّربع مثلاً يُقلِّل من جلسته حتى يبقى مكانٌ له.

المسألة العاشرة: ذكر الله ﷻ ثواب من تفسح في المجلس لأخيه فقال: ﴿ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ وهذا عام في إفساح الله للمسلم بالخير والرزق والرفعة وغير ذلك.

١٢٣٦- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: استحباب لعق الأصابع بعد الطعام.

قال: (**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا**) أي: يُدخلها إلى فمه ويمصُها، (**أَوْ يُلْعِقَهَا**) أي: أو يُلعِقها أحدٌ غيره كزوجته أو ابنه الصغير ونحو ذلك.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا**) يدل على إسباغ نِعَمِ الله على عباده فمِن الطعام ما هو رطبٌ كما سيأتي، ومنه ما يابسٌ.

المسألة الثانية: قوله: (**فَلَا يَمْسَحْ**) يدل مفهوم المخالفة على مشروعية مسح اليد بعد لعَقِها.

المسألة الثالثة: قوله: (**حَتَّى يَلْعَقَهَا**) يدل على أنَّ الأفضل الأكل باليد لا بغيرها؛ لأنَّ ذِكر المسح واللَّعق يدل على أنَّ اليد هي التي باشرت الأكل.

المسألة الرابعة: يدل على جواز الأكل بأكثر مِن ثلاثة أصابع؛ لأنَّه قال: ((يَلْعَقَهَا)) يعني: أصابعه وهذا فيما إذا كان الطعام يحتاج إلى أكثر مِن ثلاثة أصابع، أما إذا كان ما هو دون ذلك كالأكل بالخبز ونحوه فالأفضل ألاَّ يزيد على ثلاثة أصابع؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يأكل بثلاثة أصابع.

المسألة الخامسة: قوله: (**حَتَّى يَلْعَقَهَا**) في صحيح مسلم بيان الحكمة مِن ذلك فقال: ((إذا أكل أحدكم في صحفة فليلعق الصحفة والأصابع؛ فإنَّه لا يدري بأيِّها البركة)).

المسألة السادسة: يدل على أنَّ البركة ليست في كثرة الأكل؛ وإنَّما بالبركة فيه ومِن البركة مثلاً خلوُّ الأمراض منه، وكثرة النَّفع بعد الأكل مِن أعمالٍ مباركةٍ، وزوال بعض الأسقام بذلك الطعام ونحو ذلك.

المسألة السابعة: يدل على مشروعية لعق الإنسان أصابعه بعد الأكل، وقد أثبت الطبُّ أنَّه بعد انتهاء اليد مِن الأكل تفرز مادةً خفيةً تُعين على الهضم، فأرشد النَّبيُّ ﷺ بلعق الأصابع طاعةً له ولمنفعة الإنسان.

المسألة الثامنة: قوله: (**أَوْ يُلْعِقَهَا**) يدل على مشروعية أنْ يَلعق شخصٌ آخر أصابعك كالولد والزوجة وغير ذلك، ولا استقذار في شرع الله.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ مِن أسباب قوة المحبة بين الزوجين لعق الأصابع وفي ذلك إزالة الكلفة بينهما، وكذلك بين الأب وابنه والعكس، أو غيرهما فليس محصوراً في الزوجة والابن.

المسألة العاشرة: يدل على استحباب ذلك الفعل وأنَّ على المسلم ألاَّ يخجل من إظهار تلك السُّنَّة باللَّعق أمام الناس.

١٢٣٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((يُسَلِّمُ اَلصَّغِيرُ عَلَى اَلْكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى اَلقَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: ((وَالرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي)).

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: الأدب فيمن يبدأ بالسَّلام.

وهذه الرواية ليست عند مسلم ولعلَّ المصنَّفَ رحمه الله وَهِمَ في عَزْوِ الحديث والرواية، فلو قال المصنِّفُ في آخر الحديث الأول رواه البخاري ثم قال: بدل في روايةٍ لمسلمٍ لو قال: ((ولهما)) كان أولى.

وقوله: (**يُسَلِّمُ**) وفي لفظ: ((لِيُسَلِّمْ)) (**اَلصَّغِيرُ عَلَى اَلْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى اَلْقَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**يُسَلِّمُ اَلصَّغِيرُ عَلَى اَلْكَبِيرِ**) يدل على مشروعية أنَّ بدأ السَّلام يكون من الصغير للكبير، مثل: لو التقيا جميعاً وهما يسيران فالذي يبدأ بالسَّلام هو الصغير.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ الإسلام يحثُّ على احترام الكبير مِن قِبَلِ الصغير، ومن ذلك بدؤه بالسَّلام.

المسألة الثالثة: في صحيح البخاري أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُسلِّم على الصبيان كما في حديث أنس، فلو بدأ الكبير بالسَّلام على الصغير أيضاً مشروع ويكون فعله هذا من باب التَّواضع، وأما فعلُ الصغير للكبير فمن باب الأدب.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَالمَارُّ عَلَى اَلقَاعِدِ**) يدل على أنَّ السُّنَّة أنَّ المارَّ وهو الماشي كما عند مسلم هو الذي يُسلِّم على القاعد.

المسألة الخامسة: يدل على أنَّ الماشي إذا سار في الطريق عليه حقوق، فمن الحقوق التي عليه إفشاء السَّلام على القاعدين.

المسألة السادسة: قوله: (**عَلَى اَلقَاعِدِ**) يدل على أنَّ من الحقوق التي على القاعد ردُّ السَّلام، والنَّبيُّ عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات، فقالوا: مالنا من ذلك من بدٍّ يا رسول الله، فقال: فإنْ أبيتم فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق؟ قال: ردُّ السَّلام)) فمن جلس في طريق يجب عليه أنْ يردَّ سلام المسلِّم.

المسألة السابعة: قوله: (**وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**) يدل على أنَّ المشروع في البداءة في السَّلام فيما إذا التقيا مثلاً في طريق أنَّ القليل هو الذي يُسلِّم على الكثير، وإذا كانا جميعاً في العدد واحد فخيرهم هو الذي يبدأ بالسَّلام؛ لأنَّه عبادةٌ.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**) يدل على أنَّ الكثرة في الإسلام في الحق محترمة قال سبحانه: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ ﴾.

ثم بعد ذلك قال المصنِّفُ رحمه الله:

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: ((وَالرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي)).

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذه الرواية؛ لبيان: أيضاً صنف مِن أصناف حال الناس.

المسألة الأولى: الراكب في الدابة أو السيارة هو الذي يُسلِّم على الماشي على قدميه.

المسألة الثانية: أنَّه لا غضاضة بين الناس في طريقٍ واحدٍ بين الركوب وبين المشي، وإنَّما لكلِّ واحدٍ منهما حقوقٌ فهذا يُسلِّم وهذا يردُّ السَّلام.

المسألة الثالثة: يدل على اهتمام الإسلام على إفشاء السَّلام بين أفراد المجتمع، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ ذلك من أسباب ألفة ومحبة المجتمع كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفشوا السَّلام بينكم)).

١٢٣٨- وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((يُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ)) رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: كيفية سلام الجماعة والرَّد منهم.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**يُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا**) يدل على جواز سير الجماعة مع بعضهم بعضاً، وقد نُهِيَ عن سفر المرء وحده أو مع آخر في طريقٍ لا يسلكه غيرهما.

المسألة الثانية: قوله: (**أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ**) يدل على أنَّ الجماعة وهم يسيرون يكفي إلقاء السَّلام مِن أحدهم على الفرد أو الجماعة، أي: لا يلزم كلُّ الجماعة أنْ يسلموا.

والقول الثاني: أنَّ إلقاء السَّلام يجب على كلِّ فردٍ منهم؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((أفشوا السَّلام بينكم)) وهو القول الراجح، والرَّد على القول الأول: أنَّ هذا الحديث ضعيف.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَيُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ**) يدل على أنَّه إذا سلَّم على الجماعة فردٌ أو جماعةٌ فيكفي عن الجماعة التي تردُّ واحداً منهم.

والقول الثاني: أنَّه يجب على كلِّ فردٍ أنْ يردَّ؛ لقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾.

المسألة الرابعة: يدل على مشروعية إلقاء الجماعة السَّلام وردُّ الجماعة السَّلام أيضاً.

١٢٣٩- وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا تَبْدَؤُوا اَلْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: كيفية السَّلام على أهل الكتاب.

قال: (**وَعَنْهُ**) المتبادر إلى الذِّهن أنَّه علي ولعلَّه وَهْمٌ مِن المصنِّفِ رحمه الله وإنَّما وعن أبي هريرة، وما بعده من الأحاديث قال: ((وعنه، وعنه، وعنه)) وكلُّ هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي هريرة ليس عن علي.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا تَبْدَؤُوا اَلْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ**) يدل على تحريم بدأ السَّلام على اليهود والنَّصارى.

المسألة الثانية: قوله: (**السَّلَامِ**) يدل بمفهومه على جواز إلقاء تحيةٍ غير السَّلام على اليهود والنَّصارى مثل: كيف أصبحت، أو كيف أمسيت وهكذا، وإلى هذا ذهب ابن القيم رحمه الله.

المسألة الثالثة: قوله: (**اَلْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى**) يدل من باب أولى على تحريم البدء بالسَّلام على المشركين من غير أهل الكتاب كالبوذيين مثلاً.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَلْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى**) يدل على شدَّة عداوة أهل الكتاب للمسلمين لكنْ قال النَّبيُّ ﷺ: ((ما حسدتكم اليهود مثل حسدهم لكم على السَّلام والتَّأمين)).

المسألة الخامسة: يدل عِظَمِ شأن السَّلام فلا يُلقى على الكُفار.

المسألة السادسة: لو سلَّم الكافر على المسلم فسلامه له لا يخلو مِن ألفاظ:
اللَّفظ الأول: إذا قال: السَّام عليكم كما كان اليهود يقولون ذلك للنَّبيِّ ﷺ أي: الموت عليكم، أي: يدعون على النَّبيِّ ﷺ ومَن معه بالموت فيكون الردُّ وعليكم، أي: وعليكم أنتم ما ذكرتموه وهو الموت.
اللَّفظ الثاني: لو قال: السَّلام عليكم، فالراجح أنْ يقال له: وعليكم السَّلام وإلى هذا ذهب ابن القيم رحمه الله قال: ((وقد دلَّت عليه النُّصوص الشرعية مثل: عموم قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾)).
المسألة السابعة: يدل على اهتمام الإسلام بعقيدة المسلم وتعامله مع الكُّفار حتى في سلامه، فلا يبدؤون بالسَّلام وإنْ بدوا بالسَّلام.
المسألة الثامنة: قوله: **(وَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ)** يدل على جواز أنْ يعيش الكفار بين ظهراني المسلمين لحاجة.
المسألة التاسعة: يدل على أنَّ من الكفَّار ما هو معصوم الدم، فإذا لقيته في طريق لم يقلْ: ((فأقتله)).
المسألة العاشرة: قوله: **(فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ)** يدل على أنَّه إذا تقابل المسلم والكافر في طريق فيسلك المسلم الطريق الواسع مثل: منتصف الطريق ولا يذهب عند الحيطان في المشي هو والكافر، وهذا مشروطٌ ألاَّ يحصل عليه ضررٌ كوقوعه في بئر ونحو ذلك.
المسألة الحادية عشرة: اضطروهم إلى أضيقه يصدق وقوعه كثيراً في حال السير على الأقدام أو الدَّواب، أما مع السيارات فقد يكون الضرر فيها ظاهر؛ لغفلة الكافر عن اضطرار المسلم إليه إلى أضيق الطريق.
المسألة الثانية عشرة: يدل على عزَّة المسلم فالذي عزَّ هذا المسلم هو ربُّ العالمين بالإسلام.
المسألة الثالثة عشرة: يدل على إذلال الله ﷻ للكافر حتى وهو يسير في الطريق قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ٢٠﴾.
المسألة الرابعة عشرة: اضطرارهم إلى أضيق الطريق لا يُصاحب معه السَّبُّ بالقول أو الاعتداء بالفعل، وأظهر ما يكون في حال الالتقاء ويكون أشرف الطريق للمسلم.

المسألة الخامسة عشرة: يدل على أنَّ المسلم عزيزٌ حتى وهو يسير؛ كلُّ ذلك على نعمة الإسلام.

١٢٤٠- وَعَنْهُ ﷺ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ: يَرْحَمُكَ اَللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اَللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اَللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: أحكام العطاس.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ**) يدل على أنَّ العطاس قد يَلحق كلَّ شخصٍ وهو نعمةٌ مِن الله عز وجل يَحمد العبد الربَّ عليها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام كما سيأتي: إنَّ الله يحب العطاس.

المسألة الثانية: قوله: (**فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ**) يدل أنَّ القدرة على العطاس نعمةٌ مِن الله عز وجل يَحمد الإنسان عليها ربه؛ لأنَّها تزيل كثيراً مِن أبخرة الدماغ.

المسألة الثالثة: قوله: (**فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ**) يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يحمد كلَّ نعمة وإنْ قلَّت قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ مِن وسائل شُكْرِ النِّعم لفظ: ((الحمد لله))، ومن الشكر أيضاً التَّحدث بها كما قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾، ومِن شكرها: الاعتقاد في القلب بأنَّها من الله وحده كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ**) والحديث: ((فليقل له صاحبه أو أخوه)) الشَّك مِن الراوي، (**يَرْحَمُكَ اَللَّهُ**) يدل على أنَّ العبد العاطس لا يدعى له إلَّا إذا كان مسلماً؛ لذلك قال: ((أَخُوهُ)) أي: في الدين؛ لأنَّ الكُفار كانوا يجلسون عند الصحابة رضي الله عنهم فيتعاطسون عند النَّبيِّ ﷺ فلا يقولون لهم: ((يرحمكم الله))، وإنَّما يقولون لهم: ((يهديكم الله)) كما سيأتي.

المسألة السادسة: قوله: (**يَرْحَمُكَ اَللَّهُ**) يدل على سعة رحمة الله سبحانه؛ إذْ لا يُستغنى عنها في أيِّ حال قال سبحانه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾.

المسألة السابعة: قوله: (**يَرْحَمُكَ اَللَّهُ**) هذا خاصٌ بما إذا كان العاطس مسلماً، أما إذا كان كافراً ففي الحديث الآخر يقال له: ((يهديكم الله)).

المسألة الثامنة: يدل على أنَّ مجتمع المسلمين مجتمعٌ متراحمٌ يدعو بالرحمة لأخيه المسلم المصاب ولو بشيءٍ يسيرٍ؛ فهذا عَطَسَ ندعوا أنَّ الله يرحمه.

المسألة التاسعة: قوله: (**فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اَللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اَللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**) يدل على أنَّ مِن آداب المسلم الوفاء مع الآخرين؛ فلمَّا دعا له بالرحمة كافأوه بالدعاء له بأمرين كما سيأتي.

المسألة العاشرة: قوله: (**فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اَللَّهُ**) يدل على أنَّ الهداية هي سبب السَّعادة؛ فندعو بها للمسلم الذي أحسن إلينا ومِن ذلك العطاس.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**يَهْدِيكُمُ اَللَّهُ**) يدل على حاجة الناس للهدية، وتذكرها ولو في الأحداث اليسيرة كالعطاس.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**) أي: حالكم، يدل أنَّ صلاح الحال في الدين والدنيا مِن أسباب السَّعادة.

المسألة الثالثة عشرة: أنَّ أمر المسلم كلُّه خيرٌ؛ فبعطسةٍ واحدةٍ أدَّى إلى عدَّة عبادات مِن حمد الله، والدعاء له بالرحمة، والدعاء بالهداية وصلاح البال؛ فدلَّ على أنَّ المسلم متعلقٌ بالله في جميع أحواله، وهذا هو الواجب قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾.

المسألة الرابعة عشرة: يدل على أنَّ السَّعادة في أمرين:

الأمر الأول: في الهداية.

والأمر الثاني: في صلاح الحال قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ يعني: الدُّنيوية ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ في الأمور الدِّينية.

المسألة الخامسة عشرة: فبعطسةٍ واحدةٍ لما جمعت عبادات كثيرة لعلَّ الحكمة هو محبة الله ﷻ للعطاس.

المسألة السادسة عشرة: يدل على أنَّ الله - سبحانه وتعالى - يحبُّ المؤمن القوي، فالعطاس يدل على قوة وصِحَّة بخلاف التَّثاؤب الذي يكرهه الله؛ لأنَّه يدل على ضعف.

المسألة السابعة عشرة: يدل على أنَّ هذه الأقوال مِن العاطس والمشمِّيت واجبة فقوله: ((فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ)) هذا الأصل للوجوب، وممَّا يدل على وجوبها أنَّه أُذِنَ للمصلي أنْ يتلفَّظ بهذا اللَّفظ وهو في الصلاة.

المسألة الثامنة عشرة: يحرم على المشمِّيت وهو يصلي أنْ يشمِّيت العاطس، وإذا كان العطاس مثلاً في آخر الصلاة فله أنْ يؤخر التَّشمِّيت إلى آخر الصلاة.

المسألة التاسعة عشرة: يدل على أنَّ التَّشمِّت إذا كانوا جماعةً يجب على كلِّ واحدٍ مِن الجماعة أنْ يُشمِّيت قال ﷺ: ((كان حقاً على كلِّ مَن سمعه أنْ يُشمِّيته)).

المسألة العشرون: إذا لم يحمد الله العاطس لا يُشمَّت؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اَللَّهُ)).

المسألة الحادية والعشرون: يدل على أنَّ الطاعة تأتي بطاعة، فمن حمد الله دُعِيَ له بالرحمة، ومَن دُعِيَ له بالرحمة يكافئوه بالدعاء له بالهداية وصلاح البال.

المسألة الثانية والعشرون: يدل أنَّه يجب على المسلم ألاَّ يحتقر أيَّ عملٍ وإنْ قلَّ قال سبحانه: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ ﴾، ﴿ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ ﴾.

١٢٤١- وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.
ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: حكم أدب الشُّرب.
قال: **(وَعَنْهُ)** يعني: عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: **(لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً)** يدل على أنَّ شريعة الإسلام لم تدع صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا بيَّنتها للأمة.
المسألة الثانية: قوله: **(لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً)** ظاهر هذا الحديث التَّحريم، وتتمَّته: ((فإنْ نَسِيَ فليستقيء)) يعني: يتقيأ، والصَّارف له عن النهي أنَّ النَّبيَّ ﷺ شَرِبَ زمزم وهو قائم، فيُحمل هذا الحديث على الكراهة.
المسألة الثالثة: أثبت الطبُّ أنَّ الشُّرب قائماً يجلب أمراضاً، أوضحها ارتفاع الضغط عند الشَّارب.
المسألة الرابعة: على المسلم أنْ يتبع شرع الإسلام في كلِّ شيء ولا يحتقر منه شيئاً ولو في حال الشُّرب.

١٢٤٢- وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، وَلْتَكُنْ اَلْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ))
ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: الأدب في لُبس النِّعال.
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: **(إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ)** يدل على أنَّ اتِّخاذ النِّعال أمرٌ معروفٌ منْذ القِدَمِ.
المسألة الثانية: قوله: **(إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ)** ظاهر هذا الحديث الانتعال بأيِّ نوعٍ من النِّعال، لكنْ يُخصُّ منه ما جاء النهي عنه مثل: النِّعال بجلود السِّباع، ومثل: النِّعال ذات الشعر؛ لأنَّ لُبسَها يظهر في آخر الزمان فيُجانب المرء ألبست آخر الزمان من أهل الشرِّ؛ كما قال عليه السلام: ((لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق)).
المسألة الثالثة: قوله: **(إذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ)** يدل على اهتمام الإسلام بالمسلمين في كلِّ أحوالهم حتى في لُبس النِّعال، ولا يوجد مثل هذا في أيِّ دين.

المسألة الرابعة: قوله: (**فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ**) يدل على أنَّ السُّنَّة في لُبس النِّعال أنْ تُلبس الرجل اليمنى أولاً.

المسألة الخامسة: يدل على فضيلة الرجل اليمنى على اليسرى وكذا اليد.

المسألة السادسة: يدل على تفاضل أعضاء الإنسان وإنْ كانت بمسمًّى واحداً، كاليد اليمنى والرجل اليمنى وهكذا.

المسألة السابعة: قوله: (**وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ**) يدل على أنَّ السُّنَّة عند النَّزع - أي: عند خلع النِّعال - أنْ تنزع الشمال.

المسألة الثامنة: مِن الحِكَمِ الظاهرة هي تكريم اليمين على الشمال، وقد تكون هناك حِكَماً صِحِّيَةً لم تظهر لنا.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَلْتَكُنْ اَلْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ**) يدل على إكرام الرجل اليمنى باللُّبس في مبدئه.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ**) يدل على أنَّ أول العهد في اللُّبس هي القدم اليمنى، وآخر العهد في النَّزع هي القدم اليمنى أيضاً.

١٢٤٣- وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: تحريم النهي عن المشي بنعلٍ واحدةٍ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: (**لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ**) يدل على تحريم المشي بنعلٍ واحدةٍ دون الأخرى.

المسألة الثانية: يدل على تحريم أنْ يعصى الله ﷻ ولو بخطوةٍ واحدةٍ.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا**) يدل على أنَّ الواجب هو لُبس النَّعلين جميعاً، أو كما سيأتي.

المسألة الرابعة: قوله: (**أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا**) وهو إما أنْ تُلبس جميعاً، أو أنْ تُخلع جميعاً.

المسألة الخامسة: مِن الآداب في النَّعل أيضاً ألاَّ يلبس أو يخلع أحدُ النَّعل وهو قائم، وإنَّما يخفض جسده ليلبس النَّعل أو ليخلعها، أما أنْ يكون قائماً ويرفع قدمه للُّبس أو الخلع فهذا منهيٌ عنه كما في مسند الإمام أحمد.

١٢٤٤- وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا يَنْظُرُ اَللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: تحريم الإسبال.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(لَا يَنْظُرُ اَللَّهُ)** يدل على إثبات النَّظر لله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثانية: زمن هذا النَّظر الوارد في الحديث هو يوم القيامة؛ لرواية: ((لا ينظر الله يوم القيامة)).

المسألة الثالثة: قوله: **(لَا يَنْظُرُ)** المراد بالنَّظر هنا نَظَرَ رحمة واللُّطف، فالله يرى المسبل إزاره لكنْ لا يراه نَظَرَ رحمةٍ وعطفٍ؛ لأنَّ الله يبصر جميع عباده.

ويُقرِّب ذلك يمكن أنَّ الأب ينظر إلى ولده نَظَرَ غضب، فنقول: لم ينظر هذا الأب لابنه نَظَرَ رحمة وإنْ كان أبصره.

المسألة الرابعة: قوله: **(إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ)** قوله: ((ثوبه)) يعمُّ كلَّ ما يَلبسه الإنسان من ثوب، أو إزار، أو سروال ونحو ذلك.

المسألة الخامسة: عموم هذا الحديث يدل على أنَّ النساء أيضاً يدخلنَّ فيه، لكنْ خصَّ النساء حديث أم سلمة؛ فلمَّا سمعت أم سلمة ﷺ هذا الحديث قالت: ((إذاً تنكشف أقدامهنَّ، قال: ليرخينه شبراً، قالت: تنكشف أقدامهنَّ قال: ليرخينه ذراعاً ولا يزدنَّ عن ذلك)) فالإسبال إلى ذراع أمرٌ محمودٌ للنساء للستر.

المسألة السادسة: قوله: **(خُيَلَاءَ)** طول الثوب وقصره للرجل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من أنصاف قدميه إلى حدِّ الكعبين، أي: الكعبان لا يدخل فيهما وهذا حكمه واحد، فمن قصَّر ثوبه إلى ربع الساق ثوابه في الأجر مثل الذي رفع ثوبه عن الكعبين

بأصبع؛ لذلك قال ﷺ: ((أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه)) أي: لا يجوز أنْ يرفعها فوق أنصاف قدميه.

والقسم الثاني: ما هو أسفل من الكعبين ولم يفعل ذلك خيلاء، وإنَّما عادة مثلاً، فهذا كبيرةٌ مِن كبائر الذنوب لما في صحيح البخاري: ((ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار)).

والقسم الثالث: أنْ يسبل دون الكعبين للفخر والخيلاء والكبر، فهذا عقابه أشدُّ وهو أنَّ الله لا ينظر إليه يوم القيامة؛ لهذا الحديث.

ولو كان الثوب إلى أنصاف القدمين فلا بأس لكن لا ينزل دون الكعبين، ولخشية أنْ ينزل شيء دون الكعب إذا كان على الكعب يرفعه المسلم شيئاً يسيراً.

المسألة السابعة: يدل هذا الحديث على أنَّ بعض النِّعم نقمة على المتنعِّم بها، فهذا ثوب ستر وجمال ولأنَّه لم يراعى فيه الأمر الواجب كان عقوبةً عليه - والعياذ بالله -.

المسألة الثامنة: السُّنَّة تقصير الثوب للرجل وإطالته للمرأة، وبعض الناس خالف الفطرة فقصَّرت المرأة إلى أنصاف الساقين أو أعلى وأطال الرجل؛ ممَّا يدل على أنَّ الشيطان يسعى للإيقاع العباد بتلك المعصية - والعياذ بالله -.

١٢٤٥- وَعَنْهُ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اَلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: آداب الأكل في الشُّرب.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ**) يدل على وجوب الأكل باليمين؛ لهذا الأمر ((فَلْيَأْكُلْ))، ويدل على الوجوب أيضاً أنَّ النَّبيَّ ﷺ دعا على رجلٍ لم يأكل بيمنه، فقال النَّبيُّ ﷺ: ((كُلْ بيمنك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت)) يعني: يا رب لا تكون مستطيعاً على ذلك؛ فشلَّت يده - والعياذ بالله -.

المسألة الثانية: يدل على شرف اليد اليمين، فالأكل شريف ويتَّخذ بشريفٍ.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ**) كذلك مثل الحكم السَّابق.

المسألة الرابعة: قوله: (**فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ**) يدل على أنَّ العلَّة في التحريم مخالفة الشيطان.

المسألة الخامسة: يدل على أنَّ الشيطان عدوٌ فيُخالف في كلِّ أفعاله.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ الشيطان يأكل، وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ طعام الجنِّ هو عظام بهيمة الأنعام.

المسألة السابعة: قوله: (**وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**) يدل على أنَّ الشيطان يشرب؛ فدلَّ على أنَّ له جوفاً، وممَّا يدل أنَّ له جوفاً أنَّ المؤذن إذا أذَّن أدبر الشيطان وله ضراط، والضراط يخرج من الجوف.

المسألة الثامنة: يدل على أنَّ المسلم يتعبد ربه حتى فيما هو قبيل العادة، فصفة الأكل وصفة الشُّرب عبادة، والأكل والشُّرب أيضاً عبادة.

المسألة التاسعة: يدل على فضل الله - سبحانه وتعالى - على المؤمنين؛ إذْ يؤجرون على ما يتمتَّعون به ويتغذَّون به مِن الأكل والشُّرب.

١٢٤٦- وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((كُلْ وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ وَتَصَدَّقْ، فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ)) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ ٱلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب الأدب؛ لبيان: تحريم الإسراف.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**كُلْ وَاشْرَبْ**) يدل على وجوب الأكل والشُّرب على الإنسان فيما يُبقي له حياته، والله عز وجل أشار إلى ذلك في قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**كُلْ وَاشْرَبْ**) يدل على تحريم منع الإنسان نفسه مِن الأكل والشُّرب إذا كان باختياره مثل ما يُعرف بالإضراب عن الطعام فهذا أمرٌ محرمٌ؛ لهذا الحديث والآية السَّابقة.

المسألة الثالثة: قوله: **(كُلْ وَاشْرَبْ)** يدل على أنَّ تقليل الأكل والشُّرب لمنع البدانة في الجسد بما لا يضرُّ بما يُسمَّى بالرجيم أمرٌ جائزٌ بشرط ألاَّ يضرَّ بالبدن؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار)).

المسألة الرابعة: قوله: **(وَالْبَسْ)** يدل على وجوب اللُّبس للذكر والأنثى، واللِّباس عبادةٌ أيضاً قال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾.

المسألة الخامسة: يدل قوله: **(وَالْبَسْ)** على أنَّ الأصل في اللِّباس الإباحة إلَّا ما أتى النص بما يدل على صفةٍ من صفاته مثل: لُبس اللَّون الأحمر للرجال ومثل: الإسبال ولُبس الحرير للرجال وهكذا.

المسألة السادسة: قوله: **(فِي غَيْرِ سَرَفٍ)** المراد بالسرف أي: الإسراف والمراد به الزيادة في الشيء، فالزيادة في الأكل الذي لا يُؤكل والشَّراب الذي لا يُشرب واللِّباس الذي لا يُلبس هذا إسراف فلا يجوز.

والفرق بين الإسراف والتَّبذير في أمرين:

الأمر الأول: أنَّ الإسراف عام في المال وفي المعاصي وفي الأقوال وغير ذلك قال سبحانه عن فرعون: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ ووصف قوم لوط بأنَّهم مسرفون أيضاً، وأما التَّبذير فهو في المال فقط.

والأمر الثاني: أنَّ الإسراف زيادة لكنّ التَّبذير وضعه في غير موضعه ولو من غير تبذير مثل: لو شراء حبة واحدة من الدُّخان لو بريال هذا تبذير؛ لأنَّه في غير موضعه وكذا شراء شيء لسماع المعازف هذا تبذير ولو كان بريال؛ لأنَّه في غير موضعه.

وأيُّهما أشدُّ الإسراف أو التَّبذير؟

أحياناً الإسراف يكون أشدُّ إذا وصَّل إلى الكفر بالله كما في قصة فرعون وقوم لوط، والله قال عن المسرفين: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾.

وأحياناً التَّبذير يكون أشدُّ من الإسراف إذا كان لم يصل الإسراف إلى حدّ الكفر قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ ﴾.

والله﷿ يقول عن حال المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ ﴾ أي: لم يزيدوا في النَّفقة ﴿ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾ أي: ليسوا بخلاء. ولم يذكر الله في هذه الآية التَّبذير؛ لأنَّ التَّبذير إذا كان في غير موضعه.

المسألة السابعة: قوله: **(فِي غَيْرِ سَرَفٍ)** ذكر ذلك بعد ذكر الصدقة، والإسراف في الصدقة هو أنْ يتصدق مثلاً بجميع المال مع وجود دينٍ عليه وإهمال النَّفقة لعياله هذا إسرافٌ في الصدقة؛ لأنَّه زاد في البذل على الفقراء ونسي دَيْنه ونفسه.

وإذا كان الأمر في غير موضعه وزيادة فهذا يجمع - والعياذ بالله - بين الإسراف والتَّبذير، مثل: لو أنَّ شخصاً يشتري خموراً بثمنٍ غالٍ فهذا تبذيرٌ في غير موضعه وإسرافٌ؛ لأنَّه ثمنٌ غالٍ.

المسألة الثامنة: قوله: **(وَلَا مَخِيلَةٍ)** يعني: خيلاء وتكبُّر على الفقير، فهذا هو الشرط الثاني مِن شروط الأكل والشُّرب واللُّبس لا يكون فيه خيلاء وتباهي بالأكل والشُّرب، وكذلك الملبس لا يكون فيه تباهي على الآخرين.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ الأشياء الظاهرة تؤثر على الأشياء الباطنة، فالإسراف في الأكل وإنْ كان يورى بالعين لكن يؤثر على القلب وكذا الشُّرب وكذا اللُّبس، والمسلم يحمي ظاهره وباطنه من المآثم.

قال: **(أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ)** أي: الطيالسي **(وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ اَلْبُخَارِيُّ)**.

ويكون المصنِّف﵀ بهذا قد انتهى من باب الأدب، ويليه بإذن الله بعد ذلك باب البر والصلة.

(بَابُ البِرِّ، وَالصِّلَةِ)

المراد بالبرِّ هنا أي: الإحسان إلى الآخرين كالوالدين والأقارب والجيران وغيرهم ممَّن ذكرهم المصنِّفُ رحمه الله.

والمراد بالصِّلة هنا أي: صلة الرحم.

وقدَّم المصنِّفُ رحمه الله في هذا الباب أحاديث الصِّلة عن البرِّ فلو قال مثلاً: ((بَابُ الصِّلَةِ وَالبِرِّ)) كان أولى.

١٢٤٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: المنافع الدُّنيوية في صلة الرحم.

قال: (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ**) أي: يُوسع (**لَهُ فِي رِزْقِهِ**) ويُبارك له فيه، (**وَأَنْ يُنْسَأَ**) أي: يُؤخر (**لَهُ فِي أَثَرِهِ**) أي: يطول عمره (**فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ**) يدل على أنَّه لا محذور في محبة الرزق الواسع.

المسألة الثانية: قوله: (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ**) في صلة الرحم ثلاث منافع دنيوية:

المنفعة الأولى: قوله: ((يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ)).

والمنفعة الثانية: طول العمر.

والمنفعة الثالثة: ذكرها النَّبيُّ ﷺ في الحديث الآخر بقوله: ((من وصلني وصلته)) فالله عز وجل يصل واصل الرحم.

المسألة الثالثة: ما في هذا الحديث مِن المنفعتين الدنيويتين في صلة الرحم لا يجوز للمرء أنْ يصل رحمه من أجلهما، وإنَّما يزورهما لوجه الله وأثر صلتهما هاتان المنفعتان؛ لأنَّ من صَرَفَ شيئاً لغير الله في عبادته لا يقبله الله قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾.

ومثل أيضاً: الصلاة أخبر الله تعالى أنَّها تجلب الرزق فلا يصلي المرء من أجل أنْ يكثر ماله، وإنَّما يصلي لله وأثر هذه الطاعة زيادة الرزق كما قال سبحانه: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ ﴾ يعني: إذا صليت.

المسألة الرابعة: قوله: (**يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ**) بكثرة المال والبركة فيه.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ**) يدل على أنَّه لا محذور في أنَّ الإنسان يبقى في الدنيا كثيراً؛ ليعبد الله، وأما قوله سبحانه: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ فهذه أماني أهل الكتاب يُعمَّر حباً في الدنيا لا طاعةً لله؛ لذلك قالت عائشة: ((كلُّنا نكره الموت)).

المسألة السادسة: يدل على أنَّ طول العمر منقبةٌ للإنسان؛ ليعبد في حياته ربَّه قالﷺ: ((خيركم من طال عمره وصلح عمله)) ولقولهﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)).

المسألة السابعة: قوله: (**وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ**) قد يُظنُّ أنَّ هذه اللَّفظة تُخالف قول الله ﷻ: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾.

والجمع بينهما أنَّ ما كان في اللَّوح المحفوظ لا يُمسح أبداً كما قالﷺ: ((رفعت الأقلام وجفت الصحف)) وإنَّما الذي يمحى ما كان مكتوباً في غير اللَّوح المحفوظ من أعمال العباد العمرية أو السَّنوية أو اليومية، ففي اللَّوح المحفوظ مثلاً يكتب أنَّ فلاناً إنْ وصل رحمه عمره مثلاً سبعون عاماً وإنْ لم يصل رحمه فعمره أربعون عاماً ولن يصل رحمه، وهذا في اللَّوح المحفوظ إنْ وصل يكتب وإنْ لم يصل تكون كذا، وملك الموت يُبلَّغ بما فيه من اللَّوح المحفوظ.

فلو قال قائل: كيف أصل رحمي ويطول عمري وفي اللَّوح المحفوظ مكتوب كذا؟ نقول: الله يقول: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ فيما هو مكتوب دون اللَّوح المحفوظ ﴿وَيُثۡبِتُۖ ﴾ إنْ وصل المرء رحمه طول العمر.

المسألة الثامنة: صلة الرحم تكون بثلاثة أمور:

الأمر الأول: بالقول مثل: السَّلام عليهم، والسُّؤال عنهم، والدعاء لهم.

والأمر الثاني: يكون بالفعل مثل: الهدية، والصدقة، والنَّفقة كما قال سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾.

والأمر الثالث: صلتهم يكون ببذل الإحسان لهم وكف الشرِّ عنهم.

المسألة التاسعة: الضابط في الأرحام في صلتهم وهو العرف، كُلُّ أسرةٍ وعُرْفُها فإذا كانت أسرة صلة الرحم عندهم أنْ يصل الرجل ابن ابن خالِه يصلهم، وإذا كانت أسرة في عُرْفِهم لو زار ابن عمه فهو واصل لهم يكفي، وهذا الضابط هو الذي أتى به الشرع فأمر الله بصلة الرحم ولم يبين مَن يوصل وجَعَلَ ذلك عائداً للعرف.

المسألة العاشرة: مَن الذي يجب وصلهم؟ الذي يجب وصلهم هم الذكور والإناث من المحارم كالعمة والخالة، أما بنت العم مثلاً فلا يجب صلتها بالزيارة وإنَّما يكفي في ذلك الإحسان إليها وكف الشرِّ عنها.

المسألة الحادية عشرة: الرحم هم مَن اجتمعت أنت وإيّاهم في بطن واحد ولو بَعُدَ فأخوك صلته رحم؛ لأنَّك اجتمعت أنت وإيّاه في رحم أمك، وابن عمك من الرحم؛ لأنَّك اجتمعت أنت وإيّاه في رحم جدتك، وخالك رحم؛ لأنَّك اجتمعت أنت وإيّاه في بطن جدتك لأمك. لذلك قيل عنها: رحم إذا كان بينك وبينهم اجتماع في رحم في بطن واحد، أما مَن لم يكن بينك وبينه اجتماع في رحم فلا يجب عليك أنْ تصله مثل: زوج الأخت فهذا لا يجب عليك وصله صِلَةَ رحم؛ لأنَّك لم تجتمع أنت وإيّاه في بطن واحد وإنَّما من باب الإحسان إليه، وكذلك أخوك من الرضاعة لا يجب عليك أنْ تصله؛ لأنَّك لم تجتمع أنت وإيّاه في رحم وإنَّما من باب الإحسان وهكذا.

١٢٤٨- وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ قَاطِعٌ - يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ -)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: عقوبة مَن قطع رحمه في الآخرة.

قال: (**لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ قَاطِعٌ**) وفي صحيح مسلم: ((لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ)) وقوله: ((**يَعْنِي**)) هذا من قول سفيان بن عيينة رحمه الله قال: (**قَاطِعَ رَحِمٍ**) لكنْ ثبت من قول النَّبيِّ ﷺ أنَّ المراد بذلك قاطع الرحم.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ**) هذا من ألفاظ الوعيد التي تُجرى على ظاهرها؛ لتكون أبلغ في الزَّجر.

وعند التَّفصيل إذا أراد المرء أنْ يفصِّل المراد ((لَا يَدْخُلُ)) أي: يُؤخر دخوله إلى الجنَّة - والعياذ بالله -؛ لأنَّ مآل الموحد بإجماع العلماء إلى الجنَّة.

المسألة الثانية قوله: (**قَاطِعٌ**) يدل على عقوبة - والعياذ بالله - قاطع الرحم وهذه العقوبة من جنس العمل، فلمَّا قَطِعَ رحمه قُطِعَ الطريق عنه في دخول الجنَّة سريعاً.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ قطيعة الرحم من الكبائر، واللهﷻ يقول: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ بل ذكر اللهﷻ أنَّها نوعٌ من أنواع الفساد في الأرض في آيتين في سورة محمد وفي سورة البقرة كما قال سبحانه في البقرة: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يصبر على ما يلاقيه من ذوي رحمه، وسبب عداوة أو أذِّية بعض الرحم بعضِها لبعض؛ لأنَّها تتَّطلع على أخبار القريب الآخر فيدخل الشيطان بينهم بالحسد، أو بالغيبة، أو بالضرر ونحو ذلك.

والقاعدة في الصبر مع الأقارب هو الصبر كما صبر النَّبيُّﷺ على قومه أخرجوه من مكة، وتبعوه إلى قتاله في المدينة ومع ذلك صبر.

المسألة الخامسة: يجب على المسلم ألاَّ يقطع رحمه وذلك في أمرين:

الأمر الأول: ما بيَّنه النَّبيُّﷺ في قوله: ((ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من قطعت رحمه وصلها)) هذا واصل الذي يقطع يصل.

والأمر الثاني مع ذوي الأرحام: يجب الصِّلة أي: المكافئة، ومعنى المكافئة إذا زاروك تزورهم ولا يَكتفي المرء بالمكافئة فحسب وإنَّما يرتقي بدرجة الصِّلة فيزورهم وإنْ لم يزوره.

والرحم شأنها عند اللهﷻ عظيم، واشتقَّها اللهﷻ من اسمه الكريم الرحمن الرحيم، في الحديث الصحيح: ((الرحم واقفة على جنبتي الصراط تقول: من وصلني وصلته ومن قطعني قطعته)) وفي الصحيح أيضاً: ((لما خلق اللهﷻ الرحم قالت: مه قالت: هذا مقام

العائد بك من القطيعة فقال: ألا ترضين أنْ أصل من وصل وأن أقطع من قطعكِ؟ فقالت: بلى قال: فذلك لكِ)).

فيجب على الإنسان أنْ يصل رحمه - لا سيما - مع سهولة الوصول إليهم بالمهاتفة أو بالمراسلة المجانية فلا سبيل للشيطان في الدخول في هذا الأمر، وهي عبادةٌ عظيمةٌ لا يُفرِّط الشخص فيها.

١٢٤٩- وَعَنْ اَلْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: ((**إِنَّ اَللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ اَلْبَنَاتِ، وَمَنْعاً وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ اَلسُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ اَلْمَالِ**)) **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: تحريم عقوق الوالدين.

قال: (**إِنَّ اَللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ اَلْبَنَاتِ**) المراد بالوأد القتل، (**وَمَنْعاً**) أي: تمنع ما هو حق لغيرك من مالٍ أو منفعةٍ (**وَهَاتِ**) أي: تطلب ما ليس لك من مالٍ أو منفعةٍ.

قال: (**وَكَرِهَ لَكُمْ**) أي: حرَّم عليكم (**قِيلَ وَقَالَ**) أي: الخوض في نقل أحاديث الناس، (**وَكَثْرَةَ اَلسُّؤَالِ**) في الاستكثار من المال، أو التَّعنُّد في مسائل الدين في الأسئلة، (**وَإِضَاعَةَ اَلْمَالِ**) أي: الإسراف أو التَّبذير فيه.

وهذا الحديث العظيم يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ اَللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**) يدل على أنَّ الله - سبحانه وتعالى - هو المشرع لنا كما قال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ ولا يجوز أنْ يُشرِّع غير الله - سبحانه وتعالى -، أو ما جاء به الوحي قال سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ والتَّشريع من الخلق بما لم يأذن به الله شركٌ وربوبيةٌ؛ لأنَّ التَّشريع من أفعال الله - سبحانه وتعالى - وأفعال الله توحيد وربوبية.

المسألة الثانية: قوله: (**إِنَّ اَللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ**) يدل على تحريم عقوق الأمهات، ويكون بأذيتهم بالقول أو الفعل فيما نهى الشرع عنه أو أمر به، أما أذيتهم

فيما خالفوا هم فيه شرع الله فيجوز مثل: لو أمرت الوالدة ألاَّ تصلي وتتأذَّى بأنَّك تصلي فهذا لا يُسمَّى عقوقاً؛ لأنَّ أمر الله فوق أمرها.

المسألة الثالثة: قوله: (**ٱلۡأُمَّهَاتِ**) ليس خاصاً هذا النهي بالأمهات فقط، بل حتى الآباء وفي رواية مسلم: ((عقوق الوالدين)).

المسألة الرابعة: قوله: (**إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ: عُقُوقَ ٱلۡأُمَّهَاتِ**) يدل على تعظيم حق الوالدين وشناعة العقوق بهما؛ لأنَّ النص أتى صراحة إنَّ الله حرَّم، وعقوق الوالدين هو طريق البؤس والشَّقاء، وطريق من طرق الانحراف في الدين - والعياذ بالله -، وهو ليس كبيرةً فحسب بل أكبر الكبائر بعد شرك بالله كما في حديث أبي بكرﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله الإشراك بالله وعقوق الوالدين)).

المسألة الخامسة: قوله: (**وَوَأۡدَ ٱلۡبَنَاتِ**) يدل على تحريم قتل البنات، سواء من قِبَلِ الأب أو غيره، وهذه عادةٌ جاهليةٌ يفعلونها؛ خشية العار والفقر.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ وأد البنات يناقض التَّوكل على اللهﷻ.

المسألة السابعة: قوله: (**وَمَنۡعًا وَهَاتِ**) يدل على تعظيم حقوق الآخرين، فلا يجوز مَنْعَ الناس حقوقهم ولا سؤالهم ما ليس لك.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَكَرِهَ لَكُمۡ: قِيلَ وَقَالَ**) يدل على تحريم الخوض في أمور الناس كما قالﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)).

المسألة التاسعة: قوله: (**وَكَثۡرَةَ ٱلسُّؤَالِ**) يدل على أنَّ العند في أمور الدنيا أو الدين منهيٌّ عنه، أمور الدنيا كما أخبرنا اللهﷻ عنها: ((من سأل الناس المال تكثراً أتى يوم القيامة وليس بوجهه نزعة لحم)) وأما في أمور الدين فهو من صفات اليهود كما قصَّ اللهﷻ ذلك في قصة البقرة: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾ إلى آخره.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَإِضَاعَةَ ٱلۡمَالِ**) يدل على أنَّ إضاعة المال من كبائر الذنوب - والعياذ بالله -، سواء بالإسراف أو بالتَّبذير، وهو ممَّا يُحاسب عليه العبد يوم القيامة.

١٢٥٠- وَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عُمَرٍو ﷺ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((رِضَا اَللَّهِ فِي رِضَا اَلْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اَللَّهِ فِي سَخَطِ اَلْوَالِدَيْنِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: أنَّ الله يرضى عن البار بوالديه.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**رِضَا اَللَّهِ فِي رِضَا اَلْوَالِدَيْنِ**) يدل على أنَّ برَّ الوالدين عبادةٌ عظيمةٌ يرضى الله ﷻ عن العبد بسبب أدائها.

المسألة الثانية: هذا الرضا مقيَّد بما إذا كان البار مسلماً، أما الكافر فلا يدخل في ذلك قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**رِضَا اَللَّهِ**) يدل على أنَّ من صفات الله الرضا، وذكر الله ﷻ ذلك في كتابه في قوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَسَخَطُ اَللَّهِ فِي سَخَطِ اَلْوَالِدَيْنِ**) يدل على إثبات صفةٍ من صفات الله وهي السخط.

المسألة الخامسة: يدل على أنَّ الله يسخط على العاق بوالديه - والعياذ بالله-؛ لأنَّه فَعَلَ ذنباً عظيماً.

وعقوق الوالدين هو أعظمُ ذنبٍ بين حقوق البشر، وأعظمُ ذنبٍ بين العبد وبين الخالق الشرك بالله ﷻ، فواجب على المسلم أنَّ يكون باراً بوالديه حذراً من أنْ يسخطهما في شيء.

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ**) ولكنَّ الحديث فيه ضعفٌ، والصحيح أنَّه موقوف على عبدالله بن عمرو بن العاص.

١٢٥١- وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب البرِّ الصِّلة؛ لبيان: أنَّ الإحسان للجار من الإيمان.

قال: (**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ**) أي: الإيمان الكامل (**حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ -**) هذا شكٌ من الراوي، وفي صحيح البخاري بالجزم ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ**) يدل على أنَّ الإيمان له ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أصل الإيمان، مثل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر.

والدرجة الثانية: إيمان لكنْ نَقَصَ منه الواجب، مثل: لو أنَّ شخصاً عنده أصل الإيمان لكنَّه يكذب.

والدرجة الثالثة: كمال الإيمان والذي يُكمِّلها العبادة والطاعة، مثل: حُسْنُ الخلق كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً)) ويُنقِص هذا الكمال إذا نقصت محبتك لأخيك ما تحبه لنفسك، مثل: لو أنَّ مسلماً مَرِضَ وأنت فرحت بهذا المرض فهذا يدل على نقص الإيمان الكامل وهكذا.

المسألة الثانية: قوله: (**حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ**) يدل على أهمية الإحسان للجار؛ إذْ يعتبر كالنَّفس فكما تحب لنفسك يجب أنْ تحب لجارك.

المسألة الثالثة: قوله: (**لِجَارِهِ**) هذا عام في كلِّ جار سواء كان قريباً أم بعيداً.

المسألة الرابعة: قوله: (**أَوْ لِأَخِيهِ**) يدل على أنَّه لا يَكمُل إيمانُ عبدٍ حتى يحب لعموم المسلمين ما يحبه لنفسه، مثل: يحب لزيدٍ أنْ يكون هو الأول في دراسته كما تحب لنفسك هذا من كمال الإيمان، وهذا نابعٌ من سلامة الصدر فليس فيه غلٌّ أو حقدٌ على أحد.

المسألة الخامسة: قوله: (**مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**) يدل على أنَّ أعزَّ ما عند الإنسان هو نفسُه قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ يفر بنفسه ويدع أحب الناس إليه.

١٢٥٢- **وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه **قَالَ: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ: أَيُّ اَلذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ.**

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ.

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: أنَّ خيانة العرض مع الجار مِن أعظم الذُّنوب عند الله.

قال: (**أَيُّ اَلذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا**) النِّد: ما عُبِدَ من دون الله (**وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ**) أي: زوجة (**جَارِكَ**) سميت حليلة؛ لأنَّه تحلُّ له - أي: للزوج - دون غيره.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**سَأَلْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ**) يدل على حرص الصَّحابة رضي الله عنهم في فقه الدين، وهذا ممَّا يزيد المرء عند الله امتثالاً لقوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**أَيُّ اَلذَّنْبِ أَعْظَمُ؟**) يدل على أنَّ السُّؤال في طلب العلم يفتح للمرء أبواباً واسعةً منه، فهو سأل عن أيِّ الذَّنب أعظم فذكر له النَّبيّ ﷺ ثلاثة ذنوب وهذه من بركة العلم.

المسألة الثالثة: قوله: (**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا**) يدل على أنَّ أعظم ذنب في الأرض هو الشرك بالله؛ لذلك الله عز وجل لن يغفر لصاحبه يوم القيامة مِن شدَّة ما اقترفه قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾.

والشرك يؤذي الربَّ - سبحانه وتعالى - كما في الصحيح: ((لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله يخلقهم ويرزقهم ويعبدون غيره)).

المسألة الرابعة: قوله: (**وَهُوَ خَلَقَكَ**) يدل على أنَّ الذَّنب شركٌ يزيد إذا كان المرء يعرف أنَّه شركٌ قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟**) هذا يدل على خوف الصَّحابة من الذُّنوب، يسألون حتى ولو ما دون الشرك؛ لئلا يقعوا فيه.

المسألة السادسة: قوله: (**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ**) يدل على أنَّ قتل الأبناء سواء من الذكور أو الإناث أعظمُ ذنبٍ عند اللهﷻ بعد الشرك.

المسألة السابعة: قوله: (**خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ**) يدل على أنَّ المشركين ليس عندهم توكل على اللهﷻ في الرزق أو غيره، فكم من ولدٍ كان أغنى من أبيه؟ بل كان سبباً في غنى أبيه.

المسألة الثامنة: قوله: (**خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ**) هذه علَّة من علل قتل الأولاد - والعياذ بالله -، وعلَّة أخرى ذكرها اللهﷻ في قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ ﴾ وعلَّة أخرى ذكرها اللهﷻ في قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ ﴾ يعني: مِن فقر أي: لا تقتلوهم من فقرٍ أنتم فيه، أو من فقرٍ تخشون أنْ يأتي.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ اللهﷻ متكفلٌ برزق العباد صغيرهم وكبيرهم كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾.

المسألة العاشرة: يدل على أنَّ أعظم ذنب بعد الشرك باللهﷻ هو القتل، وقد ذكر اللهﷻ ذلك في سورة الفرقان في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ﴾.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**) يدل على أنَّ الزنا من الكبائر - والعياذ بالله -.

المسألة الثانية عشرة: يدل قوله: (**حَلِيلَةَ جَارِكَ**) على أنَّ أعظم الزنا ما كان بزوجة الجار ويدخل في ذلك بناتُه أو أخوتُه؛ لأنَّ الواجب على الجار أنْ يحفظ جاره لا أنْ يخونه.

المسألة الثالثة عشرة: يدل على أنَّ ذات الفعل قد يزيد ذنباً مع ذنبٍ آخر، مثل: الزنا محرم ويزداد مع زوجة الجار، ومثل: الزنا محرم ومع ذي الشَّيبة يزداد حرمةً، والكِبرُ محرم ومع الفقير يزداد حرمةً، وكذلك الذُّنوب في المساجد تزداد وهكذا.

المسألة الرابعة عشرة: يدل على أنَّ الذُّنوب تختلف منه ما هو عظيم ومنه ما هو دون ذلك، وأعظمها الشرك بالله، ثم القتل، ثم بعد ذلك تختلف باختلاف الأحوال لكن في الجملة

بعد ذلك الزنا، وقد ذكر الله ﷻ ذلك أيضاً في سورة الفرقان: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾.

١٢٥٣- وَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: مِنْ اَلْكَبَائِرِ شَتْمُ اَلرَّجُلِ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ اَلرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ يَسُبُّ أَبَا اَلرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرَّ والصِّلة؛ لبيان: أنَّ الولد المتسبب في شتم والديه من الكبائر ومن العقوق.

ولو أنَّ المصنِّفَ رحمه الله وَضَعَ هذا الحديث بعد حديث المغيرة فأصبح الحديث الباب الرابع في باب البرِّ والصِّلة كان أولى؛ لأنَّ ذاك عقوق مباشر مِن الولد لوالديه، وهنا سبب.

قال: (**مِنْ اَلْكَبَائِرِ**) وفي رواية البخاري: ((من أكبر الكبائر)) (**شَتْمُ اَلرَّجُلِ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ اَلرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ يَسُبُّ أَبَا اَلرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ**) يعني: الولد يسب رجلاً في والديه فيقوم ذاك المسبوب في سب والديْ المتسبب الأول (**وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**) مثل لو قال الشخص لآخر: وأمك كذا فيرد عليه فيقول: بل أمك كذا فالمتكلم الأول ارتكب كبيرةً من كبائر الذُّنوب؛ لأنَّه كان سبب في شتم والديه.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مِنْ اَلْكَبَائِرِ شَتْمُ اَلرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**) يدل على أنَّ إيذاء الوالدين بالشَّتم من كبائر الذُّنوب.

المسألة الثانية: إذا كان سبباً في ذلك أيضاً من كبائر الذُّنوب.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ المتسبب في عقوق الوالدين قد ارتكب أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ؛ لرواية البخاري: ((من أكبر الكبائر)).

المسألة الرابعة: قوله: (**وَهَلْ يَسُبُّ اَلرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟!**) يدل على أنَّه مقرَّرٌ في الرَّعيع الأول بر الوالدين وأنَّ شتمهما كأنَّه لم يسمع في عصرهم، لذا: استفهم الصحابة من النَّبيِّ ﷺ هل في أحد يفعل ذلك؟ ومرادهم بهذا الشَّتم المباشر.

المسألة الخامسة: (**قَالَ: نَعَمْ؛ يَسُبُّ أَبَا اَلرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ**) يدل على تحريم أنْ يسبَّ أب أيِّ رجلٍ إذا كان مسلماً؛ لئلا يتسبب في سبِّ أب القائل الأول فيكون الذَّنب من طرفين.

المسألة السادسة: قوله: (**فَيَسُبُّ أَبَاهُ**) يدل على أنَّ الراد على ذلك السَّاب إثمه أقل من المتسبب الأول.

المسألة السابعة: (**وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**) يدل على أنَّ سبَّ أحد الوالدين أو كلاهما كما قد يفعل بعض الناس بلعان الوالدين - والعياذ بالله - للآخر من أكبر الكبائر عند الله ﷻ.

المسألة الثامنة: إذا كان هذا النهي لمسبة أحد الوالدين؛ فدلَّ على أنَّ النهي يُستقبح أيضاً إذا كان للوالدين جميعاً في سبِّهما - والعياذ بالله -.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ محبة الرجل لوالديه غريزةٌ فطرها الله في النفس، فإذا سُبَّ والدا شخصٍ أخبر النَّبيُّ ﷺ بأنَّه قد يسبُّ والدي المتحدث أمامه.

١٢٥٤- وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا اَلَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: تحريم هجرُ المسلمِ أكثر من ثلاثة أيام في الأمور الدُّنيوية.

قال: (**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ**) وفي روايةٍ: ((ثلاثة أيام)) (**يَلْتَقِيَانِ**) أي: يتقابلان (**فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا**) أي: لا يُسلم بعضهم على بعضٍ ويتهاجران، قال: (**وَخَيْرُهُمَا**) أي: عند الله في مسألة الهجر (**اَلَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ**) يدل على أنَّ المسلم قدوةٌ لغيره في الأحكام، وإنْ كان هذا الحكم شاملٌ لغير المسلمين لكنَّه وُجِّه للمسلم؛ لأنَّه هو الذي قلبه يعي مواعظ الله.

المسألة الثانية: قوله: (**أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ**) يدل على أنَّ قوة رابطة الإسلام قوية، فلا يجوز أنْ تُقطع هذه الرابطة أكثر من ثلاثة أيام.

المسألة الثالثة: قوله: (**فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ**) المراد بهذا الهجر هو الهجر؛ لأجل الدنيا مثل: أنْ يقف الشخص مثلاً بسيارته في مكان آخر عند جاره فيهجره ثلاثة أيام هذا من أجل الدنيا.

أما الهجر من أجل الدين فلم يُحدَّد بزمن وإنَّما عائدٌ لذلك إلى المصلحة الشرعية لا للهوى؛ فالنَّبيُّ ﷺ هجر الثلاثة الذين خُلِّفوا خمسين يوماً حتى نزلت توبتهم.

المسألة الرابعة: قوله: (**فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ**) لأنَّه جاء في الصحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكلِّ مسلم إلَّا المتهاجرين فيقال: أنظرا هذين حتى يصطلحا)) فمن مفاسد الهجر أنَّ أبواب الجنة لا تُفتح للمتهاجرين يوم الاثنين والخميس؛ لذلك ضيَّق الإسلام زمن الهجر لئلا يفوت هذا الأجر وهو فتح أبواب الجنة للمسلم.

المسألة الخامسة: قوله: (**يَلْتَقِيَانِ**) هذا تَبكيت للمتهاجرين يعني: لا يليق بهما أنْ يعرضا عن ذلك وهو السَّلام والوصال، ووصف النَّبيُّ ﷺ هذا الأجر بما بعده.

المسألة السادسة: قوله: (**فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا**) هذا بيان لحال من أحوال المتهاجرين وهو الإعراض، وحال أخرى: حتى ولو لم يعرضا بأنْ كانا بجانب بعض لكنْ لا يتحدَّث بعضهما إلى بعض وهذا أيضاً هجران.

المسألة السابعة: قوله: (**وَخَيْرُهُمَا اَلَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**) يدل على أنَّ خير المتهاجرين في قطيعة هذا الهجر هو الذي يبدأ بالسَّلام، وليس المراد بالخيرية أي: الخيرية العامة مثل تقول: هذا أفقه من ذلك في الفرائض، ونقول: هذا خيره لما قطع دابر التَّهاجر.

المسألة الثامنة: قوله: (**اَلَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**) ظاهر هذا الحديث أنَّ السَّلام كافٍ في الخروج من إثم الهجر، لكنْ في الحديث الآخر النَّبيُّ ﷺ قال: ((أنظرا هذين حتى يصطلحا)) يعني: لا يكفي السَّلام.

والجمع بين هذين الحديثين: أنَّه على حسب ما كانا عليه فإنْ كان أحدهما في علاقتهما بالسَّلام والسُّؤال عن الحال والحديث اليسير هذا يكفي لقطع دابر الهجر، وإنْ كان من ذوي الأقارب مثلاً أو ذوي الصُّحبة العميقة فالسَّلام وحده لا يكفي حتى يعودا كما كانا.

المسألة التاسعة: الهجر لأكثر من ثلاثة أيام من حبائل الشيطان؛ لإضعاف المسلم بأنْ يكون وحده، وجاءت النُّصوص أنَّ المسلم وحده ضعيف في الاستقامة فلا بدَّ له مع مَن يقويه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وقال النَّبيُّ ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ)) ولا يظنُّ المرء أنَّ في الهجر إصلاحُ لحاله بل فسادٌ له.

المسألة العاشرة: علاج عدم الوقوع في هذه المعصية وهي الهجر التَّغافل عن أخطاء الآخرين،

لذلك قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ((العافية عشرة أجزاء كلُّها في التَّغافل، ومن دهاء الرجل التَّغافل عن أخطاء الآخرين عليه وكأنَّه لم يسمع ذلك، ومن الحُمق استيقاف الآخرين في كلِّ كلمةٍ ينطقها عليك؛ لأنَّ الله عز وجل خلقنا لنتدبر كلامه لا أنْ نقف ونتدبر كلام الناس)).

١٢٥٥- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: كلُّ معروفٍ فهو برٌّ.

قال: (**كُلُّ مَعْرُوفٍ**) المراد بالمعروف بذل الخير للغير سواء كان مالاً أو بدناً أو منفعةً، (**صَدَقَةٌ**) أي: عبادة وطاعة يؤجر عليها.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**) يدل على جوامع كلم النَّبيِّ ﷺ، فهذا الحديث فيه صلاح الدين والدنيا.

المسألة الثانية: هذا الحديث أصلٌ في أصول إظهار محاسن الإسلام عند المسلمين أو غيرهم.

المسألة الثالثة: يدل على فضل الله عز وجل الواسع؛ فكلُّ ما تبذله من الخير تُؤجر عليه إذا صلحت النية.

المسألة الرابعة: هذا المعروف الذي تبذله موعودٌ صاحبه بالثَّواب مشروطٌ بإخلاص النية لله - سبحانه وتعالى - كما في قوله عليه السلام في الحديث الآخر: ((إنما الأعمال بالنيات)).

المسألة الخامسة: يدل على أهمية صلاح النية في كلِّ عملٍ؛ لأنَّ كلَّ عمل تعمله خالصاً لوجه الله فهو في نفع للآخرين، مثل: طلب العلم هذا فيه نفع للآخرين وصدقة على نفسك، وأيضاً صدقة جارية - بإذن الله - بعد مماتك.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ ما كان عادةً وصلحت فيه النية ففيه أجر، مثل: لو الشخص ينوي أنَّ نومته ليتقوى بها على قيام الليل وصلاة الفجر يؤجر عليها؛ لقولهﷺ في هذا الحديث: ((كُلُّ)) فهي من ألفاظ العموم.

١٢٥٦- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ﷛ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اَللَّهِﷺ**: **((لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ اَلْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))**

ساق المصنِّفُ﵀ هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: نوع من أنواع المعروف.

قال: (**لَا تَحْقِرَنَّ**) أي: لا تزدري وتقلِّل (**مِنْ اَلْمَعْرُوفِ**) أي: من بذل الخير للغير (**شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**) أي: بوجه مبتسمٍ بشوشٍ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ اَلْمَعْرُوفِ شَيْئًا**) يدل على أنَّ ميزان الخير عند الله﷿ يُجازي ولو على الشيء اليسير كما قال سبحانه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾.

المسألة الثانية: قد يعمل المرء معروفاً ويظنُّه أنَّه لا ينفع، وقد يكون هو سبب دخوله في أعالي الجنَّات كما قال النَّبيُّﷺ: ((وإنَّ الرجل ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً ترفعه عند الله درجات)).

المسألة الثالثة: يدل هذا الحديث على النهي عن احتقار كلِّ ما أمر به الشرع؛ فالنَّبيُّﷺ قال: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة)) وغُفِرَ لامرأةٍ بغي بسقي كلبٍ، ودخل رجل الجنَّة لقطع غصنٍ في طريق الناس.

المسألة الرابعة: قوله: (**شَيْئًا**) يعني: ولو شيئاً لم يخطر في بال المسلم، فالله﷿ يُجازيه ويُعظِّمه.

المسألة الخامسة: يدل على فضل الله ﷻ الواسع؛ فهو يضاعف الحسنات كما قال ﷺ: ((وإن الرجل إذا تصدق من كسبٍ طيب أَخَذَها الله ﷻ بيمينه ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوَّه)).

المسألة السادسة: قوله: (**وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**) يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يبتسم في وجه أخيه المسلم؛ لأنَّها عبادةٌ.

المسألة السابعة: قوله: (**بِوَجْهٍ طَلْقٍ**) مثَّل النَّبيُّ ﷺ لعبادة ليست مالية، ولا منفعة ولا بذل منفعة، ولا فيها جُهْدٌ بدني؛ فدلَّ على أنَّ ما كان أعلى منها فهو أولى أيضاً ألاَّ يحتقرها المسلم.

المسألة الثامنة: هذا من فضل من الله ﷻ أنَّ الابتسامة الشخص يؤجر عليها، وليس كلُّ الناس يحتاجون إلى مالٍ عندك ولا منفعة، وإنَّما يسعهم حُسْنُ الخلقِ.

١٢٥٧- وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)) أَخْرَجَهُمَا مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: البرُّ مع الجار.

قال: (**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً**) المرقة: ماء مغلي كما في هذا الحديث مع شيءٍ يوضع معه سواء كان لحماً أو مِن الخضار (**فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**) يعني: أعطهم منها.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً**) يدل على أنَّ المرق معروفٌ مُنْذ عهد النُّبوة.

المسألة الثانية: قوله: (**فَأَكْثِرْ مَاءَهَا**) فيه حثٌّ على أنَّ المحسن للجار لن يخسر شيئاً، وإنَّما أضاف شيئاً من الماء في إحسانه للجار بالمرق.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ مِن إكرام الجار والإحسان إليه إعطاؤه ولو شيئاً يسيراً من الطعام فبه ألفة النُّفوس.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**) يدل على أنَّه لا يُكتفى بالجار الملاصق وإنَّما من كان حولك أيضاً، لكنْ إذا لم يكن عندك من الطعام سوى شيء يسير فكما قال النَّبيُّ ﷺ: ((فانظر إلى من هو أقرب منك داراً)).

المسألة الخامسة: يدل على حُسْنِ تعليم الإسلام للنساء في البيوت، حيث أمرهنَّ بإكثار الماء في المرق للجيران.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ من أسباب ألفة الجيران هنَّ النساء بزيادة الطبخ للجيران، وهذا ممَّا تُؤجر عليه المرأة.

المسألة السابعة: بألفة الجيران - بإذن الله - يصلح الأبناء جميعاً مِن الجيران، ويعتادون على نفع الآخرين بينهم مع بعضهم.

المسألة الثامنة: على المسلم ألاَّ يحتقر ولو شيئاً يسيراً يحسن فيه للجار، وقد أخبرنا النَّبيُّ ﷺ بأنَّ إكرامه من الإيمان.

١٢٥٨- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ اَلدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اَللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اَللَّهُ عَلَيْهِ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اَللَّهُ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ اَلْعَبْدِ مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: أنَّ مِن البرِّ قضاء حاجات الناس وتفريج كروباتهم.

قال: **(مَنْ نَفَّسَ)** أي: خفَّف، أو فرَّج **(عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ اَلدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اَللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ)** إلى آخره.

وهذا الحديث حديثٌ عظيمٌ جليلٌ يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: هذا الحديث أصلٌ في التَّعامل مع الخلق بتفريج كروباتهم وتيسير ما تعسَّر عليهم وسترهم وإعانتهم.

المسألة الثانية: قوله: **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً)** يدل على أنَّ الكرب ليست خاصة بأحد؛ فقد تقع على كلِّ أحد ممَّن أراده الله ﷻ فمن وقع في كربةٍ لا يُستبعد أنْ تقع على الرجل الآخر أيضاً مثلَها أو أشد، فعليه أنْ يُقدِّر من وقعت عليه الكربة.

المسألة الثالثة: قوله: (**عَنْ مُؤْمِنٍ**) يدل على أنَّ هذا الثواب المترتب في تنفيس الكرب خاص بالمؤمن، وتفريج كرب غير المؤمن فيه ثواب لكنْ لا يصل إلى هذا الثواب المذكور في هذا الحديث.

المسألة الرابعة: قوله: (**مَنْ نَفَّسَ**) المراد بالتنفيس: إزالة الكربة، وفضله سبحانه واسعٌ فمن أعان على تخفيف الكربة يُرجى أنْ يناله هذا الثواب أيضاً.

المسألة الخامسة: قوله: (**نَفَّسَ اَللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ**) يدل على أنَّ يوم القيامة مليءٌ بالكرب، وممَّا يحلُّ كرب الآخرة تفريج كرب الناس في الدنيا؛ فالجزاء من جنس العمل.

المسألة السادسة: قوله: (**مِنْ كُرَبِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ**) ولم يذكر من كرب الدنيا؛ لأنَّ مَن فرَّج كربةً جاز بشيءٍ عظيمٍ في الآخرة وهي تفريج كرباته، أما كربات الدنيا فلا تُساوي شيئاً عند الآخرة، وأيضاً قد يكون المفرِّج يحمه الله ﷻ فلا يصاب من كربة من كرب الدنيا؛ فيكون ثوابه كاملاً عند الله في الآخرة.

المسألة السابعة: يجب على المسلم أنْ يسعى في تفريج الكروب وهذا نهج الأنبياء عليهم السَّلام، كما وصفت خديجة رضي الله عنها النَّبيَّ ﷺ ((وتعين على نوائب الدهر)) يعني: تعين الناس على حاجاتهم وما وقعوا فيه من كروب.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ**) يدل على أنَّ هذا الثواب مترتبٌ على تيسير ما تعسَّر لمسلمٍ، وغير المسلم فضل الله ﷻ واسع يُرجى أنْ ينال الميسر مثل ذلك الأجر.

المسألة التاسعة: قوله: (**يَسَّرَ اَللَّهُ**) يدل على الأمر بيد الله - سبحانه وتعالى - فهو الذي يُيسِّر الأمور، وهو الذي يُضيِّق على العبد بتعسير الأمور كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾.

المسألة العاشرة: قوله: (**يَسَّرَ اَللَّهُ عَلَيْهِ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**) يدل على أنَّ ثواب التَّيسير معجَّلٌ للميسِّر في الدنيا قبل الآخرة؛ ففيه الحثُّ على قضاء حاجات الناس المتعسِّرة.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَالْآخِرَةِ**) يدل على أنَّ المسلم يمر في الآخرة بأمورٍ عسيرةٍ، وممَّا يُيسِّرها ما يَسَّره على الناس في الدنيا؛ فدلَّ على أنَّ في الآخرة كروب وأمور متعسِّرة على العبد.

المسألة الثانية عشرة: قوله: **(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا)** سَتْرُ المسلمِ: إخفاءُ قبائحه عن الناس، وحثَّ النَّبيُّ ﷺ على ستر زلات المسلم هذا إذا لم يكن معروفاً بالفسق، أما إذا كان معروفاً بالفسق وظهرت المصلحة في عدم الستر فله ذلك؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((واغدي يا أنيس امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها)) فأمر النَّبيُّ ﷺ الصحابة أنْ يذهبوا إلى بيتها مستورةً فيه، وأنْ يخرجوها من بيتها ممَّا أظهر أمرها.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: **(سَتَرَهُ اَللَّهُ فِي اَلدُّنْيَا)** يدل على أنَّ المسلم معرضٌ لكلِّ أمرٍ مستقبحٍ قد يفضح به، وسِتْرُ عورة المرء نفسَه بستر عورات الآخرين.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: **(وَالْآخِرَةِ)** يدل على أنَّ يوم القيامة تظهر فضائح الناس قال سبحانه: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ فما في الصدور يظهر ويُفضح عند الناس إلاَّ مَن ستره اللهﷻ، وسِتر فضائح الآخرة ممَّا يَسترها الستر على الناس في الدنيا.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: **(وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ اَلْعَبْدِ)** يدل على أنَّ المعين للخلق هو اللهﷻ وحده كما قال سبحانه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقال سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾.

المسألة السادسة عشرة: قوله: **(وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ اَلْعَبْدِ مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)** يدل على أنَّ مِن أسباب عون اللهﷻ للعبد في فعل الطاعات، وتيسير الأمور، ونحو ذلك قضاء حاجات الناس.

المسألة السابعة عشرة: قوله: **(مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)** يدل على مشروعية إعانة الناس وخدمتهم، وأنَّ جزاء ذلك الله يعين مَن أعان غيره.

المسألة الثامنة عشرة: بتحقيق هذه الأمور الأربعة الواردة في الحديث يكون المجتمع سعيداً بتفريج كروباتهم، وأمورهم متيسرة، وخطاياهم مستورة، واللهﷻ معين كُلَّ فردٍ منهم، فعلى المسلم أنْ يحقق ما جاء في هذا الحديث؛ فهو من أسباب السَّعادة في الدنيا والآخرة.

المسألة التاسعة عشرة: أخصُّ الناس بما حثَّ عليه هذا الحديث هم أهل العلم؛ لأنَّهم يسيرون على نهج الرسل، ونهجُ الرسلِ خدمة الناس سواء ببذل مالٍ لهم أو جاههم أو تعليمهم؛ فهذا مِن إعانتهم.

١٢٥٩- وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ؛ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: ثواب مَن دلَّ على خير.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ)** يدل على ترغيب الإسلام لفعل الخير أو الدِّلالة عليه.

المسألة الثانية: قوله: **(مَنْ دَلَّ)** هذا يعمُ الدِّلالة على كلِّ أمرٍ فيه خير مِن أمور الدنيا كالإرشاد إلى زوجة، أو أمور الدين كإرشاد شخص وتوجيهه إلى حفظ القرآن أو كتب أهل العلم.

المسألة الثالثة: قوله: **(فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)** يدل على أنَّ الدَّال كأنَّه فَعَلَ ذلك الخير.

المسألة الرابعة: يدل على فضل الله ﷻ العظيم؛ إذْ يَشمل الـدَّال والفاعل، وأيضاً المدلول على الخير إذا فعله.

المسألة الخامسة: هذا الحديث أصلٌ من أصول تعاون المجتمع على الخير قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾.

المسألة السادسة: هذا الحديث من جوامع الكلم؛ إذْ أرشد إلى فعل الخير وثواب الـدَّال وثواب الفاعل، ويدخل فيه ثواب المدلول.

١٢٦٠- وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ ﷺ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مِنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاَللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاَللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ)) أَخْرَجَهُ اَلْبَيْهَقِيُّ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب البرِّ والصِّلة؛ لبيان: كيف يُشكرُ مَن برَّ بك؟

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(مِنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاَللَّهِ)** هذا اللَّفظ الذي ساقه المصنِّفُ ليس لفظ البيهقي وإنَّما لفظ البيهقي بالإفراد مِن استعاذ من سأل وبدل ((فادعوا له)) فاثنوا عليه، واللَّفظ الذي ذكره المؤلف ﷺ هو لفظ الإمام أحمد وأبي داود وكذلك البخاري في الأدب المفرد.

المسألة الثانية: قوله: (**مِنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاَللَّهِ فَأَعِيذُوهُ**) يدل على أنَّ العائذ هو الله‌ﷻ؛ فالاستعاذة عبادة لا تصرف إلّا لله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، فلو قال شخصٌ: اللّٰهُمَّ إني أعوذك بك يا رب من المرض هذه عبادة، ولو قال شخصٌ لآخر: أعوذ بالله منك أنْ تدنوا منّي مثلاً فيجب ألاَّ تدنوا منه وتبتعد؛ لأنَّه استعاذ بالله قالﷻ إخباراً عن مريم: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ ﴾ فاستعاذة بالله إنْ كان تقياً ألاَّ يدنوا منّي.

المسألة الثالثة: يدل على وجوب تحقيق مطلب من استعاذ بالله سواء منك أو مِن الآخرين، من الآخرين مثل أنْ يقول شخصٌ لآخر: أعوذ بالله من هؤلاء أنْ يضربوني فيجب عليك أنْ تمنع أولئك من ضربه.

المسألة الرابعة: يدل على جواز الاستعاذة بالبشر فيما يقدرون عليه، والدليل أنَّ امرأةً سرقت؛ فاستعاذة بأم سلمة.

ومثالُ ذلك: لو قال شخصٌ لك: أعذني من شرِّ هذا الطفل لا يقرب منِّي هذا جائز، ومعنى الاستعاذة: الالتجاء.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاَللَّهِ فَأَعْطُوهُ**) يدل على وجوب تحقيق طلب مَن سأل بالله، وصيغة ذلك مثل: أسألك بالله أنْ تعطيني الكتاب وإجابة طلبه تعظيماً لمن سأل به وهو الله‌ﷻ.

المسألة السادسة: وجوب تحقيق ذلك مشروطٌ بعدم الإثم أو قطيعة الرحم أو الضرر بمن وُجِّه له السُّؤال، فلو قال شخصٌ لآخر: أسألك بالله أنْ تهديني سيارتك وهو لا يَملك غيرها لا يلزمه تحقيق طلبه؛ لأنَّ فيه ضررٌ وهكذا.

المسألة السابعة: قوله: (**وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا**) وفي رواية: ((من آتى إليكم)) يعني: أعطاكم معروف (**فَكَافِئُوهُ**) وفي رواية البيهقي: ((فاثنوا عليه)) يدل على جواز إعطاء الآخر شيئاً إعانةً له من غير طلب؛ إذْ لا محظور في ذلك مطلق إنَّما المحذور في سؤال الناس فإنْ كان لحاجة يجوز ولغير الحاجة لا يجوز، وفي حديث عمر‌رضي الله عنه في البخاري أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((وما من أتاك من هذا المال وأنت غير مستشرفٍ له ولا سائل فخذه، وما لا فلا)).

المسألة الثامنة: يدل على مشروعية مكافئة مَن أحسن إليك قال سبحانه: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ ﴾ فالله ﷻ شكور يحبُّ الشَّاكرين من عباده فيما بينهم وبين الله.

المسألة التاسعة: المكافئة تجلب النِّعمة سواء من الله ﷻ أو من الخلق فمن أسدى إليك معروفاً وشكرته أو كافأته توالى المعروف - بإذن الله -.

المسألة العاشرة: يدل على أنَّ النَّفس رقيقةٌ تتأثر بالمكافئة سواء بالقول أو بالمال، لذا شرع الله ﷻ ذلك.

المسألة الحادية عشرة: **(فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ)** يدل على تيسير الشَّريعة وأنَّها لكلِّ فردٍ منها، فمن كان قادراً على الشُّكر بالمال يتحقق شكره بالمال، وإذا كان ليس له مال فالدعاء يقدر عليه كلُّ أحد.

المسألة الثانية عشرة: **(فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ)** يدل على مشروعية الإكثار من الدُّعاء لمن صنع إليك معروفاً.

المسألة الثالثة عشرة: يدل على فضل الله ﷻ؛ إذْ جعل الدعاء وسيلة بل قد تكون أعظم وسيلة لمكافئة الآخرين.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: **(فَادْعُوا لَهُ)** يدل على مشروعية تَكرار الدُّعاء لمن أحسن إليك.

المسألة الخامسة عشرة: يدل على حاجة الناس إلى الدُّعاء سواء المحسن أو المحسن إليه.

ويكون المصنِّفُ رحمه الله بهذا قد انتهى من باب البر والصلة، ويليه بإذن الله بعد ذلك باب الزهد والورع.

(بَابُ اَلزُّهْدِ وَالْوَرَعِ)

الزُّهدُ: ترك ما لا ينفع في الآخرة مثل: أنْ يدع الشخص ركوب السيارة الفارهة.

والورعُ: ترك ما قد يضرُّ في الآخرة مثل: اختلط عليه شيءٌ من مال الأيتام في ماله وأخرج ما يغلب على ظنّه لكنْ بَقِيَ في قلبه شيء يظنُّه أنَّه لم يخرجه.

ودخول الزُّهد والورع في الأحكام ينقسم إلى ما يلي:

القسم الأول: الواجبات والمندوبات لا يصلح فيها الزُّهد ولا الورع، بل يفعل الشخص الواجب ويفعل المستحب.

والقسم الثاني: المحرمات والمكروهات وهذه يصلح فيها الزُّهد والورع.

والقسم الثالث: المباحات ويصلح فيها الزُّهد فقط، أما الورع فلا مثل: لو شخص قال: أنا أتورَّع عن أكل الفواكه نقول: لا يجوز؛ لأنَّ الله أباحها لكنْ لو قال: أنا أزهد لا أريد أن آكل خمس فواكه وإنَّما آكل فاكهتين فقط يصلح ذلك.

والمصنِّفُ رحمه الله استفتح هذا الباب بالورع ولم يستفتحه بالزُّهد ولو قَلَبَ كان أولى؛ ليكون موافقاً في تسمية الباب، فلو قدَّم أبواب بالزهد كان أولى.

١٢٦١- عَنْ اَلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ - وَأَهْوَى اَلنُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ -: ((إِنَّ اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ اَلْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى اَلشُّبُهَاتِ اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي اَلْحَرَامِ - كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ اَلْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، -.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اَللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ اَلْقَلْبُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورع؛ لبيان: أنَّ على المسلم ترك المشتبَه فيه وأنَّه من الورع.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(وَأَهْوَى اَلنُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ)** يدل على جواز تلقِّي الصغير العلم وبثُّه وهو صغير أو كبير؛ فقد كان عُمُرُ النُّعمان رضي الله عنه لما سمع هذا الحديث ثمانِ سنوات.

المسألة الثانية: يدل اهتمام الصَّحابةﷺ صغاراً وكباراً لنقل العلوم إلينا.
المسألة الثالثة: يدل على ذكاء الصَّحابةﷺ فهذا النُّعمان سمع هذا الحديث الطويل مرةً واحدةً فحفظه، وهكذا دهب أهل العلم ينبغي أنْ يكونوا كذلك.
المسألة الرابعة: قوله: **(إِنَّ اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ)** الأحكام تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
القسم الأول: حلالٌ بيِّنٌ واضحٌ للجميع مثل: شرب الماء.
والقسم الثاني: حرامٌ بيِّنٌ للجميع مثل: الزنا والسَّرقة.
والقسم الثالث: أمرٌ مشتبه حكمه على كثير من الناس لكنْ يعلمه العلماء، وسيأتي تفصيل ذلك - بإذن الله -.
المسألة الخامسة: قوله: **(اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ)** هذا من رحمة اللهﷻ؛ إذْ جعل الحلال بيِّناً للناس وهذا من مناقب الإسلام؛ لأنَّه دينٌ واضحٌ فلا غموض فيه بخلاف بقية الأديان.
المسألة السادسة: قوله: **(اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ)** بدأ بالحلال؛ لأنَّ أكثر أحكام الشَّريعة الحلال؛ فهي أكثر من المحرمات قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ولأنَّ الحرام قليلٌ بيَّنه ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ وهذا مِن كرم الله أنَّ الحلال أكثر من الحرام.
المسألة السابعة: قوله: **(وَإِنَّ اَلْحَرَامَ بَيِّنٌ)** يدل على أنَّ اللهﷻ أعذر العُصاة حيث بيَّن لهم الحرام؛ لئلا يقعوا فيه.
المسألة الثامنة: على قلَّة المحرمات إلَّا أنَّ اللهﷻ بيَّنها.
المسألة التاسعة: قوله: **(وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ)** يدل على أنَّ المشتبه يؤول إلى أحد الحكمين الحلُّ أو الحرمة؛ لأنَّه بينهما ولذلك فسَّر ذلك في الكلمة التي بعدها.
المسألة العاشرة: قوله: **(لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ)** أي: لا يعلموا حكم هذه المشتبهات كثيرٌ من الناس؛ فدلَّ على فضيلة أهل العلم حيث هم الذين يعلمون المشتبه وأنَّه ملحقٌ بالحلال أو الحرام.
المسألة الحادية عشرة: يدل على أنَّ الغالب على الناس هو الجهل؛ لذلك قال: ((كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ)) والعلماء هم القلَّة، وإذا كان الشخص اصطفاه اللهﷻ أنْ يكون من أهل العلم فيجب عليه أنْ يكون قريباً من الله؛ لأنَّ الله اختاره لبيان الأحكام للناس.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**فَمَنِ اتَّقَى اَلشُّبُهَاتِ**) دلَّ على أنَّ المخرج للجاهل في هذه المشتبهات اتِّقاؤها.

المسألة الثالثة عشرة: دواء المتشابه هو الورع منها.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ**) هذه ثمرة الورع استبرأ لدينه وعرضه.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: (**اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ**) يدل على أنَّ القدح فيمن يقع في المحرمات فطرةٌ عند الناس، فمن لم يستبرئ ممَّا حرمه الله وقع الناس بالطَّعن في دينه بوقوعه في المحرمات ونقص دينه وهكذا.

المسألة السادسة عشرة: قوله: (**وَعِرْضِهِ**) يدل على أنَّ الواقع في المحرمات الناس قد عرَّض نفسه للناس أنْ يذمُّوه بالكلام فيه، مثل: فلان يقع في المحرمات أو فلان دينه ناقص.

المسألة السابعة عشرة: من أسباب حفظ الإنسان لدينه ووقوع الناس في الكلام فيه؛ التَّمسك بالدين لذلك قال: ((اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)).

المسألة الثامنة عشرة: قوله: (**وَمَنْ وَقَعَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي اَلْحَرَامِ**) هذه كلمة عظيمة وهي أنَّ من سوَّلت له نفسه بالتَّسامح في المشتبهات يقع في الحرام.

المسألة التاسعة عشرة: قوله: (**وَمَنْ وَقَعَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي اَلْحَرَامِ**) هذه قاعدة نبوية في البُعد عن الفتن؛ فمن قَرُبَ منها وقع فيها، فإذا كان أخبرنا النَّبيُّ ﷺ بأنَّ المشتبه يقع في الحرام فما ظنُّك بمن أوقع نفسه في الفتن؟! يقع فيها.

المسألة العشرون: قوله: (**كَالرَّاعِي**) هذا مثال من النَّبيِّ ﷺ قال: كراعي البهيمة من الغنم وغيرها (**يَرْعَى حَوْلَ اَلْحِمَى**) يعني: حول المكان المحمي لغيره مِن وليِّ الأمر أو غيره (**يُوشِكُ**) يعني: يدنوا جداً (**أَنْ يَقَعَ فِيهِ**) أي: أنْ يدخل في ذلك الحمى؛ لحاجة البهائم للأكل ممَّا في ذلك الحمى.

المسألة الحادية والعشرون قوله: (**كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ اَلْحِمَى**) هذا تشبيه عظيم بأنَّ النَّفس فيها شبه مِن بعض الحيوانات في التَّطلع للوقوع في الحرام؛ فالبهيمة إذا رأت طعاماً تدخل. وكذلك النَّفس إذا كانت عند المشتبه ورأت حراماً تقع فيه، فيجب على الإنسان أنْ يمنع نفسه من المشتبهات؛ لئلا يقع في المحرمات.

المسألة الثانية والعشرون: قوله: (**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً**) يدل على إخبار النَّبيِّ ﷺ بأنَّ سيّد القوم ونحوَه يتّخذ حمىً أي: مكاناً محمياً لإبل الصدقة ونحو ذلك ممَّا فيه منفعة للمسلمين.

المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً**) دلَّ على أنَّ سيّد القوم إذا كان يمنع الناس من الدخول في هذا الحمى؛ فالله ﷻ يمنع من ذلك كما سيأتي من الدخول في المحرمات.

المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (**أَلَا وَإِنَّ حِمَى اَللَّهِ مَحَارِمُهُ**) دلَّ على أنَّ ما حدَّه الله ﷻ على العباد ألاَّ يفعلوه هي المحرمات، فلا يجوز للإنسان أنْ يقع فيه، والمشتبهات إنْ لم يتورَّع منها الإنسان دخل فيها.

المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (**أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً**) يدل على حقارة الإنسان؛ فالأمر الذي يُؤزُّه الفعل الحرام شيءٌ يسيرٌ مضغة.

المسألة السادسة والعشرون: قوله: (**إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ**) يدل على أنَّ ملك الأعضاء هو القلب.

وصلاح هذا القلب بالإكثار من الطاعات فالصلاة شرعت من أجلِّ إصلاح القلب، ذِكرُ الله شرع من أجلِّ إصلاح القلب، فإذا صلح القلب بعث الجوارح على العمل.

المسألة السابعة والعشرون: قوله: (**وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ**) يدل على أنَّ مَن طَبَعَ الله على قلبه فجسده فاسد، فساده - والعياذ بالله - بالمعاصي.

المسألة الثامنة والعشرون: قوله: (**إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ**) يجب على الإنسان أنْ يسعى إلى إصلاح قلبه والبُعد عن كلِّ ما يفسد قلبه.

المسألة التاسعة والعشرون: قوله: (**أَلَا وَهِيَ اَلْقَلْبُ**) هذا علمٌ من أعلام النُّبوة حيث بيَّن أنَّ هذه المضغة اليسيرة وهي القلب هي مدبِّرة للجسد.

المسألة الثلاثون: قوله: (**أَلَا وَهِيَ اَلْقَلْبُ**) ليس فيه دليل على أنَّ المقصود هو صلاح القلب فقط دون العمل وهو مذهب المرجعة.

وإنَّما معنى الحديث: أنَّ الذي يحثُّ الجوارح على العمل هو القلب سواء كان صالحاً أم طالحاً، ويفسِّر هذا المعنى ما قبله من الكلام.

١٢٦٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورعِ؛ لبيان: ذنب التَّعلق بالدنيا وهو ينافي الزُّهد.

قال: (**تَعِسَ**) المراد بتعس أي: خرَّ على وجهه، ومراد هذه الكلمة أي: هَلَكَ وخَابَ وخَسِرَ (**عَبْدُ اَلدِّينَارِ**) الدينار العملة التي من الذهب، (**وَالدِّرْهَمِ**) العملة التي من الفضة، (**وَالْقَطِيفَةِ**) كساء موصوف أو غيره يوضع على الكتف أو على الرقبة ونحو ذلك (**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**)

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ**) يدل على أنَّ من تعلق قلبه بالمال فقد أخبر النَّبيُّ ﷺ بأنَّه خائبٌ وخاسرٌ؛ لأنَّ الله لم يخلقه ليتعلق قلبه بالمال.

المسألة الثانية: قوله: (**عَبْدُ اَلدِّينَارِ**) مفهوم هذه اللَّفظة أنَّ من كان عنده مالاً ولم يتعلَّق قلبه به، فينفقه في مرضاة الله لا يدخل في هذا الذَّنب فالله ﷻ أغنى بعض الرسل كإبراهيم وسليمان وغيرهما.

المسألة الثالثة: قوله: (**عَبْدُ اَلدِّينَارِ**) يدل أنَّ النُّفوس قد تتشوَّف لما هو ثمين كالذهب وهو الذي يصنع منه الدينار.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَالدِّرْهَمِ**) يدل على ذنب من تعلَّق ولو بشيءٍ يسيرٍ من أثمان هذه الدنيا كالفضة، وكذلك النحاس وغير ذلك.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَالْقَطِيفَةِ**) يدل على أنَّ من تعلَّق قلبه ولو بملابس فهذا مذمومٌ، وأخبر النَّبيُّ ﷺ بأنَّه هالكٌ وخائبٌ.

المسألة السادسة: من تعلَّق قلبه بغير ذلك ممَّا ذكر كتعلقه مثلاً بالنساء، أو بالمآكل والمشارب، ويتفاخر بها ونحو ذلك يدخل في هذا الذَّنب.

المسألة السابعة: قوله: (**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ**) يدل على أنَّ من أمارات المتعلِّقة قلوبهم بالدنيا أنَّهم يرضون بما يعطون من حقارتها.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**) يدل على دناءة نفوس من تعلَّقت نفوسهم بالدنيا، رضاؤهم وسخطهم وراء المال، وليس خلف طاعة الله ﷻ والابتعاد عن منهياته.
المسألة التاسعة: المال إذا كان في اليد ولم يكن في القلب لا يذمُّ صاحبه؛ فالنَّبيُّ ﷺ يقول: ((لو كان لي مثل أحد ذهباً لم يمض عليه ثلاث ليال وعندي منه شيء)) فلم يذم النَّبيُّ ﷺ الجمع خلال ثلاثة أيام، وإنَّما ذمُّ تعلَّق القلب به وإمساكه.

١٢٦٣- وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ((أَخَذَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي اَلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ.
وَكَانَ اِبْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.
ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورعِ؛ لبيان: الأسباب التي تدعوا إلى زهد الإنسان في هذه الدنيا.
قال: (**أَخَذَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي**) المنكب: مجتمع العضد مع الكتف، وفي رواية ((بمنكبيَّ)) يعني: أخذ النَّبيُّ ﷺ بمنكبيَّ ابن عمر هنا وهنا (**فَقَالَ: كُنْ فِي اَلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ**) أي: في بلدةٍ أنت غريبٌ فيها سترحل عنها، (**أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**) أي: أنت في الطريق تريد السفر إلى مكان آخر اجعل حياتك في الدنيا هكذا، ثم بعد ذلك ذكر ابن عمر رضي الله عنهما ثلاث وصايا ستأتي.
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: (**أَخَذَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي**) يدل على تواضع النَّبيِّ ﷺ؛ فكان ابن عمر من صغار الصحابة ومع ذلك فَعَلَ به النَّبيُّ ﷺ ذلك.
المسألة الثانية: يدل على تودُّد النَّبيِّ ﷺ في صحابته، وهكذا ينبغي أنْ يكون المعلِّم مع تلاميذه.
المسألة الثالثة: يدل على اهتمام النَّبيِّ ﷺ بالعلم حيث أخذ بمنكب ابن عمر حتى لا ينسى ما سيلقيه النَّبيُّ ﷺ عليه.

المسألة الرابعة: من طرق التَّعليم الإمساك بيد الطالب مثلاً أو بالمنكب وهكذا، وهذا هديٌ نبويٌ.

المسألة الخامسة: يدل على اهتمام النَّبيِّ ﷺ بصغار الصحابة وهكذا يجب على الإنسان ألاَّ يحتقر أحداً وفي تعليمه العلم.

المسألة السادسة: قوله: (**كُنْ فِي اَلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ**) يدل على أنَّ الإنسان يجب أنْ يعتقد في قلبه أنَّه راحلٌ من هذه الدنيا، وإنَّما هو في مكان سيرحل عنه إلى مكان آخر وهو الآخرة؛ كما سيرحل الإنسان من بلد زاره وسيعود إلى بلده.

المسألة السابعة: قوله: (**كَأَنَّكَ غَرِيبٌ**) يدل على أنَّ الغريب مستضعفٌ ومتعلِّقٌ بالله ﷻ وهكذا الحال فكلُّ مسافر يغلب أنْ يكون قلبه معلَّقٌ بالله أكثر من حضره؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((يمد يديه إلى السماء يقول يا ربي يا ربي)) يعني: المسافر لذلك مواساة للمسافر الله ﷻ تكرَّم عليه بدعوةٍ مستجابةٍ.

المسألة الثامنة: قوله: (**أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**) هذا أضعف حالاً من الأول؛ لذلك أباح الإسلام الزكاة له وإنْ كان غنياً في بلده.

المسألة التاسعة: حال من ذُكِرَ في عبور السبَّيل مثل: لو أنَّ إنساناً يريد الذهاب من المدينة إلى مكة وهو في الطريق توقَّف وقال: أريد أن أبني بيتاً ثم بعد ذلك أذهب إلى مكة، فمن حوله قد يستنقصون عقله ويرمونه بالجنون، وكذلك من كان في هذه الدنيا من تعلَّق بها ونسي أنَّه راحل أهمل آخرته.

المسألة العاشرة: قال: (**كَانَ اِبْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ**) يدل على تأثر الصَّحابة رضي الله عنهم بالمواعظ؛ فلمَّا سمع هذه الموعظة رقَّ قلبه ووعظ غيره.

المسألة الحادية عشرة: يدل على حرص الصَّحابة رضي الله عنهم وإنْ كانوا صغاراً على نشر العلم بل وعلى فهمهم العميق؛ فقد استخلص ابن عمر رضي الله عنهما من الحديث ثلاث وصايا وصَّى بها مَن بعده.

المسألة الثانية عشرة: قال: (**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلصَّبَاحَ**) يدل على أنَّ الإنسان إذا غربت عليه الشمس أنَّه خمسون بالمئة من أهل الأموات، وإذا طلعت عليه الشمس

خمسون بالمئة أنَّ الشمس لن تغرب إلَّا وهو في إعداد الأموات حتى يتحقق وعد الله فيموت إما في الصباح أو المساء.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلصَّبَاحَ**) يدل على أنَّ الإنسان يجب عليه أنْ يحاسب نفسه في المساء من الوصايا والتَّوبة إلى الله ﷻ وغير ذلك ولا تلهيه الحياة.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلْمَسَاءَ**) يجب عليه أنْ يحاسب نفسه إذا طلعت الشمس بتقوى الله وعدم ظلم الآخرين، والإكثار من الطاعات؛ فقد لا تغيب الشمس إلَّا وهو في إعداد الأموات.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: (**وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِك**) يدل على أنَّ الإنسان يجب عليه أنْ يغتنم حال الصحة، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الصحة من النِّعم التي ستزول عنْ كلِّ واحدٍ كما في المستدرك ((اغتنم خمساً قبل خمس)) يعني: قبل زوالها.

المسألة السادسة عشرة: قوله: (**وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**) يدل على أنَّ الإنسان يجب عليه أنْ يغتنم ساعات حياته، وأنَّ وعد الله ﷻ حقٌّ فلا يُعلم متى تقبض روحه.

المسألة السابعة عشرة: تكون الحجة على العبد قائمة أشدُّ إذا جمع العبد بين الصحة والحياة؛ فقد جمع نعمتين العافية ووجود الوقت، وسوف يُحاسب الله ﷻ عنهما يوم القيامة. فيجب على الإنسان أنْ يؤدِّي شكر هذه النِّعمة، وخير ما يؤدَّى به شكر هذه النِّعمة طلب العلم؛ لأنَّها عبادةٌ يحبها الله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثامنة عشرة: يجب على المسلم أنْ يعيش في هذه الحياة بجسده، وأما قلبه فيعلِّقه بالآخرة كما قال سبحانه: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

١٢٦٤- وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ؛ فَهُوَ مِنْهُمْ)) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ.

ساق المصنِّفُ ؒ هذا الحديث في باب الزُّهد والورعِ؛ لبيان: تحريم التَّشبه، والتَّشبه: هو تعمُّد محاكاة الآخرين.

والتَّشبه قد يكون تشبهاً بالكفار، أو بالفاسقين، أو بالأعراض كما أخبر النَّبيُّ ﷺ، أو ببعض الحيوانات، والتشبه يكون بالقول مثل: أنْ يتكلم بكلمة خاصة غير المسلمين أو يُكثر منها أهل الفسق، ويكون أيضاً بالأفعال، ويكون في العادات كما سيأتي، ويكون في العبادات.

وضابط التَّشبه: هو أنْ يكون القول أو الفعل خاصاً بالكفار أو الفاسقين، فإذا لم يكن خاصاً بهما أو بواحد منهما بل يستخدمه المسلمون وغير المسلمين فلا يكون تشبهاً كما سيأتي.

وقد أمر اللهﷻ بمخالفة المشركين كما قال سبحانه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾، وأخبر اللهﷻ بعقوبة المتشبِّه بالمشركين قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ**) يدل هذا الحديث على اختصاره على ترغيب وترهيب، فمن تشبَّه بالصالحين فهو - بإذن الله - منهم ومن تشبَّه بالكفار والفاسقين فهو - والعياذ بالله - منهم.

المسألة الثانية: يدل على تحريم التَّشبه بالمشركين وكذا الفاسقين ممَّا هو من خصائصهم، ومثال التَّشبه بهم في عبادتهم بالفعل مثل: تعليق الصليب فلا يجوز للمسلم أنْ يعلق الصليب ولو لم يعتقد ديانة ذلك، ومثال التَّشبه بالمشركين في القول مثل: أنْ يتكلم بكلمةٍ مختصَّة بالمشركين فهذا لا يجوز التَّشبه بهم من ألفاظ كلماتهم.

المسألة الثالثة: إذا لم يكن الفعل من خصائصهم فيجوز، مثل: لبس البنطال إذا كان واسعاً لا بأس به؛ لأنَّه ليس من خصائصهم فيلبسه المسلمون أيضاً فلم يكن شعاراً لهم.

المسألة الرابعة: من التَّشبه بهم في عباداتهم كتحريك اليدين بالتَّثليث، ومثل: الاقتصار على صوم يوم عاشوراء فقط، ومن التَّشبه بهم في عاداتهم إذا كان اللِّباس خاصاً بهم كما قال النَّبيُّ ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: ((إنَّ هذه من ثياب الكفار)) يعني: الثياب المعصفرة.

المسألة الخامسة: من التَّشبه - والعياذ بالله - ما هو مخرجٌ من الملة، مثل: أنْ يذبح لغير الله فهذا فيه مشابهةٌ للمشركين، ومن التَّشبه ما لا يخرج من الدين وإنَّما هو فسقٌ.
المسألة السادسة: ما كان من خصائصهم وفيه رفعة للإسلام والمسلمين مثل: الصناعات ونحوها فتقليد المسلمين لهم في دنياهم؛ لتقوية المسلمين والإسلام لا بأس به؛ فقد أمر النَّبيُّ ﷺ بحفر الخندق ولم يكن ذلك عند العرب وإنَّما كان عند الفرس.

١٢٦٥- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: ((كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: ((حَسَنٌ صَحِيحٌ)).
ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورعِ؛ لبيان: أنَّ من كان ورعاً عن محارم الله؛ فإنَّ الله عز وجل يحفظه من المعاصي.
قال: (**كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا**) وفي رواية: ((على دابة)) (**فَقَالَ: يَا غُلَامُ**) وكان عُمُرُ ابن عباس رضي الله عنهما حين إذاً عشر سنين (**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**) هذا الحديث عظيم قال ابن جوزي رحمه الله عنه: ((لما قرأت هذا الحديث كدت أن أطيش)).
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: (**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**) يدل على قدرة الله عز وجل العظيمة وحبُّه للطائع بأنْ يثيبه لما عَمِلَ الطاعات وحَفِظَ الله بأنْ لم يخترق محارمه؛ حفظه الله في دينه وفي ماله وذريته وغير ذلك.
المسألة الثانية: يدل على أنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فمن حَفِظَ الله حفظه ومن لم يحفظ الله ضيّعه الله قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾.
المسألة الثالثة: قوله: (**احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**) هذه الكلمة تفصيلٌ لما سَبَقَ وهو أنَّك إذا حفظت الله؛ وجدت الله عز وجل أمامك بتيسير الأمور لك، وهدايتك، وسدادك ونحو ذلك.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ الذي يقرِّب العبد من اللهﷻ هو الطاعة، وأنَّ الله تعالى يَقرُب من العبد إذا قَرُبَ العبد إليه قال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**اِحْفَظِ اَللَّهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اَللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**) يدل على أنَّ من حَفِظَ الله بالبعد عن المعاصي والورع فيما يُدني منها فاللهﷻ يحفظه؛ فدلَّ على أنَّ العلاج في عدم الوقوع في الأمور المشتبهات هو الإكثار من طاعة الله.

المسألة السادسة: قوله: (**وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اَللَّهَ**) هذا عامود التَّوحيد، وغالب شرك الناس في الدُّعاء فمن سأل اللهﷻ فهو موحدٌ، واللهﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ﴾.

المسألة السابعة: قوله: (**وَإِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ**) يعني: دلَّ على أنَّ الاستعانة وهي طلب العون من الله لا من الأموات وغيرهم، دلَّ على أنَّ الاستعانة بالله عبادةٌ عظيمةٌ لا تُصرف إلَّا لله سبحانه.

١٢٦٦- وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى اَلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اَللَّهُ، وَأَحَبَّنِي اَلنَّاسُ، فقَالَ: اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا يُحِبُّكَ اَللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ اَلنَّاسِ يُحِبَّكَ اَلنَّاسُ)) رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَه، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورع؛ لبيان: ثمرة الزُّهد وهو محبة اللهﷻ للعبد، وكذا محبة الناس له.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**يَا رَسُولَ اَللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ**) دلَّ على حرص الصَّحابة رضي الله عنهم على العلم.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم إذا لم يتبيَّن لهم أمرٌ يسألون، وهكذا على طالب العلم وغيره أنْ يسأل عن أمور دينه.

المسألة الثالثة: قوله: (**دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ**) يدل على أنَّ المقصد من بعثة النَّبيِّ ﷺ هو تعليم الناس، وهي وظيفة الرُّسل قال سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**إِذَا عَمِلْتُهُ**) يدل على أنَّ الصَّحابة﷡ يسألون عن مجامع الأمور؛ فدلَّ على أنَّ الأعمال تتفاضل والصَّحابة﷡ يطلبون أعلاها.

المسألة الخامسة: قوله: (**إِذَا عَمِلْتُهُ**) يدل على أنَّ الصَّحابة﷡ أسبقَ الناسِ إلى العمل إذا علموا علماً، وبهذا جاءت دعوة النَّبيِّ ﷺ قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ قال ابن عباس: ((أي: بالعلم النافع)) ﴿ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ ((أي: العمل الصالح)).

المسألة السادسة: قوله: (**أَحَبَّنِي اَللَّهُ**) يدل على أنَّ من أعظم مقاصد الصَّحابة﷡ أنَّهم يسعون لمحبة الله لهم، وهكذا المؤمن الصادق يعمل كلَّ صالحٍ؛ ابتغاء محبة الله ﷻ له.

المسألة السابعة: فيه إثبات صفة المحبة لله ﷻ لعباده، وقد ذكر الله ذلك بقوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَأَحَبَّنِي اَلنَّاسُ**) دلَّ على أنَّ المؤمنين الخُلَّص لا يعادون المسلمين بل يسعون أنْ يحبهم المسلمون؛ ولهذا أمر الله ﷻ أهل الكتاب بقوله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾، وقال لهذه الأمة: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ ﴾ لأنَّ حُسْنَ الخلق جذابٌ لقلوب الناس.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَأَحَبَّنِي اَلنَّاسُ**) هذا لا يُنافي التَّوحيد، وإنَّما يعمل عملاً خالصاً لله ومن ثماره: أنَّ الناس يحبونك، مثل: الصدقة تعملها لوجه الله ومن ثمارها أنَّ الفقير يحبك.

المسألة العاشرة: قوله: (**اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا يُحِبُّكَ اَللَّهُ**) يدل على أنَّ من أسباب محبة الله للعبد زهد العبد في الدنيا.

والمراد بالزُّهد: ترك ما لا ينفعه في الآخرة قال سبحانه: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ ﴾ وقال جلَّ علا: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ ﴾.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ اَلنَّاسِ يُحِبَّكَ اَلنَّاسُ**) دلَّ على أنَّ الزُّهد أيضاً يحبب الناس في الزاهد.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ اَلنَّاسِ يُحِبَّكَ اَلنَّاسُ**) يدل على أنَّ الناس لا تتشوَّف نفوسهم إلى مَن يتطلع للدنيا؛ فهي من فطر الله على عباده.

المسألة الثالثة عشرة: إذا تزين العبد بزُخرف الحياة وزاد في ذلك فإنَّ ذلك الفعل لا يقرِّب الناس إليه وإنْ استحسنوه في الظاهر؛ لأنَّ النُّفوس مفطورةٌ على الزُّهد في الدنيا.

١٢٦٧- وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ اَللَّهَ يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ، اَلْغَنِيَّ، اَلْخَفِيَّ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورع؛ لبيان: أنَّ الزاهد المختفي عن الناس يحبُّه الله؛ فهي درجة أعلى من الزاهد فحسب.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ اَللَّهَ يُحِبُّ**) فيه إثبات صفة المحبة لله - سبحانه وتعالى - لعباده.

المسألة الثانية: قوله: (**يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ**) دلَّ أنَّ الله عز وجل يحبُّ من ابتعد من المعاصي وأكثر من الطاعات قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ، اَلْغَنِيَّ، اَلْخَفِيَّ**) يدل على أنَّ الزاهد المخفي زهده عن الناس أفضل من الزاهد الذي يظهر زهده للناس.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَلْغَنِيَّ**) يدل على أنَّ الله تعالى يحبُّ عبده الغني المنفق كما قال عليه الصلاة والسلام: ((نِعم المال الصالح للرجل الصالح)) وكما قال سبحانه: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**اَلْخَفِيَّ**) يدل على أنَّ الإنسان عليه ألاَّ يظهر أعماله للناس إنْ أمكن له ذلك ممَّا يُشرع في حقه الخفاء.

١٢٦٨- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)) رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَسَنٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورع؛ لبيان: أنَّ من الورع عدم التَّطلع لأمور الدنيا، وكذا الزُّهد.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ**) يجل على أنَّ الناس يتفاوتون في إسلامهم، فهذا مسلمٌ وذلك محسنٌ في إسلامه قال سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**) يدل على أنَّ من أسباب الزُّهد أنَّ الإنسان لا يتطلع بعينه ولا بلسانه ولا بسمعه ما لا يعنيه، واللهﷻ نهى رسولهﷺ أنْ يتطلع لأمور الدنيا قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ﴾.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ انشغال المرء بإصلاح نفسه خيرٌ من تطلعه في ما لا ينفعه.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ النَّفس إذا لم تشغلها بالحق شغلت الإنسان بالباطل أو بما لا ينفع.

المسألة الخامسة: قوله: (**تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**) أي: من أمور الدنيا، وأما أمور الدين فمن حسن إسلام المرء سؤاله عن دينه، وهذا كقوله سبحانه: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾.

١٢٦٩- وَعَنْ اَلْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورع؛ لبيان: أنَّ التَّقليل من الأكل من الزُّهد.

قوله: (**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً**) المراد بالوعاء: هو الظرف أو الصحفة أو الإناء (**شَرّاً مِنْ بَطْنٍ**) أي: من بطنه.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً**) يدل على ذمِّ الإكثار من الطعام وكذلك الشَّراب.

المسألة الثانية: قوله: **(وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ)** يدل أنَّ المحرك للجسد هو البطن، وأخصُّ منه المعدة لذلك قال النَّبيُّ ﷺ عن المعدة: ((بيت الداء)).

المسألة الثالثة: جاء الشَّرع بتقسيم ما يحتاجه الإنسان: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه.

المسألة الرابعة: قوله: **(شَرّاً مِنْ بَطْنٍ)** يدل على أنَّ أكثر أمراض الجسد بسبب الطعام.

المسألة الخامسة: المذموم من إكثار الطعام هو ما اعتاد عليه المرء أو كان غالباً عليه، أما إذا كان يأكل كثيراً في بعض الأحيان فلا يذمُّ، الدليل: أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه شَرِبَ من اللَّبن لما أعطاه النَّبيُّ ﷺ له قال: ((والذي بعثك بحق لا أجد له مسلكاً)).

المسألة السادسة: بالإكثار من الطعام قد يلهي عن الطاعات وذلك في حالين:

الحالة الأولى: في البحث عن ألوان الطعام.

والحالة الثانية: بعد أكله يضعف عن العبادة والقلب يقسوا بذلك.

١٢٧٠- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورعِ؛ لبيان: أنَّ المرء قد يقع في المحرمات والشُّبهات، والذي يُكفِّر ذلك التَّوبة.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ)** يدل على أنَّه ليس أحدٌ من بني آدم معصوم من الوقوع في الذُّنوب والخطايا.

المسألة الثانية: دلَّت النُّصوص على أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام معصومون من كبائر الذُّنوب، وليسوا معصومين من صغائر الذنوب ولكنَّ الله عز وجل ينبِّههم لها كما قال سبحانه: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ وكما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ وهكذا.

المسألة الثالثة: قوله: (**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ**) لا ينقص هذا من مقام الإنسان المسلم عند الله، فذكر الله - سبحانه وتعالى - أنَّ المؤمنين هم خير من خلق الله قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ يعني: خير الخلق.

المسألة الرابعة: يتفرَّع من هذا: أنَّ صالحي البشر خيرٌ من الملائكة باعتبار المآل، ففي الدنيا الملك معصوم وابن آدم يخطئ لكن في النهاية بنو آدم أفضل إذا دخلوا الجنة للآية السَّابقة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ ولهذا ذهب شيخ الإسلام رحمه الله.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ**) يدل أنَّ التَّوبة تجبُّ ما قبلها، وأنَّ حاجة العبد إلى التَّوبة في يومه وليلته من أشد الحاجات إليه قال سبحانه: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ وقال النَّبيُّ ﷺ: ((إني أتوب إلى الله في اليوم مئة مرة)) والمراد بذلك يدعو ربه اللّهُمَّ توبْ عليَّ، قال ابن القيم رحمه الله: ((وكثير من الناس يجهل منزلة التَّوبة)).

المسألة السادسة: مفهوم المخالف لقوله: (**وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ**) أنَّ شرَّ أهلُ الذُّنوب الذي لا يتوب؛ فالعيب ليس في الذَّنب وإنَّما العيب في الاستمرار فيه وعدم التَّوبة إلى الله منه قال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

المسألة السابعة: قوله: (**وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ**) ومن خيريّتِهم أنَّ الله عز وجل أخبر أنَّه يحبهم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ فيجب على العبد أنْ يكثر من الدُّعاء بأنَّ الله عز وجل يتوب عليه.

المسألة الثامنة: لا يفهم من هذا الحديث أنَّ الإنسان يقع في الذَّنب ثم يتوب، وإنَّما يجب على الإنسان أنْ يحاذر الوقوع في الذنب وإنْ وَقَعَ فيه فعليه أنْ يتوب؛ لأنَّ التوبة عبادةٌ قد يقبلها الله عز وجل وقد لا يقبلها.

ولذلك ترك الذُّنوب أيسر من طلب التَّوبة، فلا يقول مثلاً شخص: أنا أنظر إلى الأمر محرم ثم أتوب؛ فقد لا يقبل الله عز وجل توبته ونحو ذلك.

١٢٧١- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلصَّمْتُ حِكَمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ)) أَخْرَجَهُ اَلْبَيْهَقِيُّ - فِي اَلشُّعَبِ - بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ اَلْحَكِيمِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الزُّهد والورعِ؛ لبيان: أنَّ من الورع حِفْظ اللِّسانِ.

قال: (**اَلصَّمْتُ حِكَمٌ**) حكم جمع حكمة، والمراد بالحكمة: وضع الشيء في موضعها، أي: أنَّ السُّكوت عما لا يعني هو وضع الشيء في محله، ويحمد المرء على الإكثار من ذكر الله ويذم إذا تكلم في ما لا يعنيه أو في محرم.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلصَّمْتُ حِكَمٌ**) وسَبَقَ بيان ذلك.

المسألة الثانية: أخبر النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح أنَّ الصمت دلالةٌ على الإيمان بالله واليوم الآخر؛ كما قال عليه السلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت)).

المسألة الثالثة: قوله: (**وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ**) يدل على الغالب على طبيعة الإنسان كثرة الكلام فيما لا ينفعه، ولذلك ذكر الله عز وجل أنَّ من صفات أهل الفردوس الأعلى بعدهم عن اللَّغو، ولهذا ذكر الله عز وجل هذه الصفة بعد الصلاة وقبل الزكاة قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَلصَّمْتُ حِكَمٌ**) العلة في ذلك؛ لأنَّ المرء قد يَنجر لسانه إلى المحرم أو إلى ما فيه مشتبه إذا تكلم، ولهذا يقال: ما ندم ساكتٌ إلَّا إذا كان عن الحق.

ويكون المصنِّفُ رحمه الله بهذا قد انتهى من باب الزهد والورع، ويليه بإذن الله بعد ذلك باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق.

(بَابُ التَّرْهِيبِ مِنْ مَسَاوِئِ اَلْأَخْلَاقِ)

((بَابُ التَّرْهِيبِ)) يعني: التَّحذير والتَّقبيح ((مِنْ مَسَاوِئِ اَلْأَخْلَاقِ)) والمراد بمساوئ الأخلاق يعني: الأخلاق السيئة.

والخُلُقُ نعمةٌ عظيمةٌ من اللهﷻ لا يوفَّق إليها كلُّ امرئٍ، وإنَّما هو منَّةٌ من اللهﷻ؛ إذْ هو عبادةٌ يمنحها اللهﷻ لمن أراد له خيراً، ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: ((خياركم أحسنكم أخلاقا)).

وحُسْنُ الخلقِ يمتد أثره في الآخرة قال النَّبيُّ ﷺ: ((أقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)) والنَّبيُّ ﷺ يقول: ((وإن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم)).

وكثير من الناس يجهل أنَّ حُسْنَ الخلقِ عبادةٌ من أجلِّ لعبادات، بل أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الابتسامة صدقةٌ وهي جزءٌ يسيرٌ من حسن الخلق، واللهﷻ أمر بني إسرائيل بأنْ يقولوا الكلام الطيب فقال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ وأما هذا الأمة فقال لها: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ يعني: أفضل الكلام.

ومن فَقَدَ شيئاً مِن خلقه؛ فقد جزءً من الناس قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾.

ومن أسباب انتشار دعوة النَّبيِّ ﷺ في الآفاق حُسْنُ خلقِه؛ فمن رآه في المدينة أو حول المدينة أو مِن هو من الوفود حبَّوا النَّبيَّ ﷺ لخلقه ونقلوا دعوته إلى ديارهم.

لذلك على المسلم - خاصةً طالب العلم - أنْ يتحلى بحسن الأخلاق، وأنْ يبتعد عن مساوئ الأخلاق؛ لأنَّ سوء خلقه يمنع مِن انتشار علمه في الآفاق، وسوءُ خلقه يكون مانعاً للمتعلمين للانتفاع به، وكم مَن هو قليل العلم انتفع الناس به من حُسْنِ خلقِه؟ وكم من كثير العلم لكنْ ابتعد الناس عنه لسوء خلقه؟

١٢٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ)) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ. وَلِابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ نَحْوُهُ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ للتَّحذير من الحسد.

قال: (**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ**) الحسد: هو تمني زوال النّعمة عن غيره، وإذا كان الإنسان لا يتمنى زوال النعمة وإنَّما يتمنى أنْ تكون النّعمة التي عند غيره عنده فهذا يُسمَّى غبطة ولا شيء فيها إذا كانت في أمور الطاعة كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((لا حسد إلَّا في اثنتين)) يعني: لا غبطة إلَّا في أمرين وأما تمني زوال النّعم - والعياذ بالله - فهذا يُناقض كمال الرُّبوبية؛ لأنَّه يريد منع فضل الله ﷻ على عباده.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: (**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ**) يدل على أنَّ الحسدَ خلقٌ دنيءٌ، ومن أعظم أضراره عدم الدخول في الإسلام؛ فاليهود حسدوا النَّبيَّ ﷺ على دعوته فلم يدخلوا في الإسلام قال سبحانه: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ**) لأنَّ الحسد صفة من صفات اليهود قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ**) المفهوم المخالف للحسد: هو سلامةُ الصدرِ هو خلق الرُّسل قال سبحانه عن إبراهيم: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ أي: سليمٌ من الشرك والبدع والمعاصي والغلِّ تجاه العباد.

المسألة الرابعة: الحسد لا يمنع نعمة ((كان النَّبيُّ ﷺ يقول: دُبرَ كلِّ صلاةٍ لا مانع لما أعطيت)).

المسألة الخامسة: مِن أسباب جلب النّعم للمحسود والحاسد فكم مِن نعمةٍ أعطيت للمحسود بسبب حاسدٍ؟ لذلك قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت... أتاح لها لسان حسود

المسألة السادسة: قوله: (**فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْحَسَنَاتِ**) من أضرار الحسد - والعياذ بالله - في الآخرة أنَّه يأكل الحسنات أي: أنَّه ذنبٌ عظيمٌ يحرق الحسنات - والعياذ بالله -.

المسألة السابعة: لا يجلب الحسد سوى الحزن على ما يتمتع به المحسود من نعمة، إذاً فالمتضرر من الحسد هو الحاسد؛ لذلك قيل:

لله در الحسد ما أعدله... بدأ بصاحبه فقتله

المسألة الثامنة: قوله: (**كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ**) يدل على سرعة إحراق الحسد للحسنات - والعياذ بالله -.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ المعلم يُشرع له التَّمثيل بأمور مفهومة للمستمع؛ كما فعل النَّبيُّ ﷺ في هذا.

قال: (**وَلِابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه نَحْوُهُ**) ساق المصنِّفُ رحمه الله رواية حديث أنس؛ لتقوية حديث أبي هريرة.

١٢٧٣- وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ للتَّحذير من الغضب.

قال: (**وَعَنْهُ**) يعني: عن أبي هريرة (**رضي الله عنه**).

قوله: (**لَيْسَ اَلشَّدِيدُ**) أي: ليس القوي (**بِالصُّرَعَةِ**) أي: بجسمه ويصرع الناس (**إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ**) أي: القوي (**اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ**) لأنَّ الغضب هو ثوران - والعياذ بالله - القلب والدم؛ فالقوي هو الذي يمنع ذلك من جسده.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**) يدل على أنَّ العبرة ليست بالأجسام على كلِّ حال وقوتها؛ فقد يكون المرء ضعيفاً لكنّه قوي في نفسه كأبي بكر رضي الله عنه كان رجلاً نحيلاً يسقط الرداء منه لنحافته ومع ذلك هو أشجع هذه الأمة بعد النَّبيِّ ﷺ، وابن مسعود رضي الله عنه كان رجلاً قصيراً إذا وقف عند الجالس يكون كطوله والنَّبيُّ ﷺ يقول عنه: ((سيقان ابن مسعود في الميزان أثقل من جبل أحد)).

المسألة الثانية: أنَّ العبرة ليست في الأجسام في الدِّين فقط وإنَّما العبرة أيضاً معها بصلاح القلب وقوته، وقد أثنى اللهﷻ على قوة الجسم كما قال: ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ لكنْ وحده مع فساد القلب لا ينفع، وصلاح القلب مع ضعف الجسد لا يضر ذلك القلب.

المسألة الثالثة: قوله: (**لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**) هذا مثل قول النَّبيِّﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وإلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)).

المسألة الرابعة: قوله: (**إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ**) وذلك لأنَّ كلَّ جنايةٍ في الأرض هي بسبب الغضب، وكلُّ عدوان على الآخر بسبب الغضب، وكلُّ قتلٍ بسبب الغضب، وقد تكون فرقة بين الزوجين بسبب الغضب وهكذا.

لذلك كان من صفات أهل الجنة عكس ذلك وهو: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ وقد أثبت الطبُّ أنَّ من يكظم غيظه؛ فإنَّ ذلك يقوي عضلة قلبه.

المسألة الخامسة: قوله: (**إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ**) أخبر النَّبيُّﷺ في عدَّة أحاديث في علاج الغضب فمن ذلك: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كما قال النَّبيُّﷺ: ((إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجدُّ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)).

ومن العلاج أيضاً الوضوء، وإذا كان قائماً يجلس، ومن أجلِّ العلاج أيضاً الإكثار من ذكر الله قال سبحانه: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾.

١٢٧٤- وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِﷺ: ((اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّف﵀ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم الظلم. والظلم إما أنْ يكون التَّعدي على الآخرين بأخذ حقوقهم أو بمنعهم حقوقهم وهذا حق المخلوقين، وفي حق اللهﷻ الظلم هو عمل المعاصي وأعظمها الشرك باللهﷻ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ**) يدل على أنَّ من ظَلَمَ عبداً من عباداً الله؛ فإنَّ جزاءه الظلام له يوم القيامة.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ الناس منهم مَن هو مستنيرٌ يوم القيامة، ومنهم مَن يعيش في ظلمة قال سبحانه عن حال المنافقين: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ**) هذه عاقبته في الآخرة، ومن عواقبه أيضاً في الآخرة أنَّ المظلوم يأخذ حقه كاملاً يوم القيامة كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)).

وعقوبة الظلم في الدنيا - والعياذ بالله - الهلاك السريع كما قصَّ اللهﷻ علينا قصة البُستان في صورة القلم قال سبحانه: ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ ﴾ لأنَّهم ظلموا الفقراء منعوهم حقهم، ومن عقوبات الظالم - والعياذ بالله - في الدنيا والآخرة أنَّه سيأتيه وقتٌ لن ينصره أحد كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾.

وأخبر سبحانه أنَّ عقوبة الظالم شديدةٌ قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴾ فيجب على المسلم أنْ يحذر الظلم سواء مع المسلم أو مع غير المسلم؛ فالله أوجب العدل مع الجميع ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾.

المسألة الرابعة: المفهوم المخالف للحديث: أنَّ العدل نورٌ، ولا تقوى للأمم والأفراد إلَّا بالعدل سواء من العدل انطلاقاً من البيت مع أولاده وزوجته إلى عموم المجتمعات.

المسألة الخامسة: أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ أهل العدل على منابر من نور عن يمين الرحمن، بخلاف ما ذكره النَّبيُّ ﷺ عن الظالم يعيش في ظلامٍ دامسٍ - والعياذ بالله -.

المسألة السادسة: يدل أنَّ يوم القيامة ليس فيه ظلمةٌ واحدةٌ بل ظلمات كثيرة على حسب الذُّنوب وخطايا العباد - والعياذ بالله - منهم من تشدُّ ظلمتهم ومنهم من تخف، ومنهم يخرج من ظلام إلى ظلام كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)).

١٢٧٥- **وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ فَإِنَّ اَلظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اَلشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم الشُّح. والمراد بالشُّح هنا: هو التَّشوف لما في أيدي الناس من النِّعم وعدم الرضا بما كتبه الله عز وجل له، مثل: شخصٌ يتشوَّف إلى قلم زميله ثمنُه غالٍ ولم يقنع بما عنده فيُسلبه قلمَه.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ**) يدل على أنَّ الله عز وجل لا يُعذِّب الظالم إلَّا بعد إنذاره، والنَّبيُّ ﷺ حذَّر الظالم من الظلم.

المسألة الثانية: الذي يُمنع من الظلم هو فعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي؛ لذلك قال: ((اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ)) والتَّقوى: فعل الطاعات والبعد عن المعاصي؛ فاحذروا لئلا تقعوا فيه.

المسألة الثالثة: قوله: (**فَإِنَّ اَلظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اَلشُّحَّ**) يدل على تحريم الشُّح؛ إذْ أمر النَّبيُّ ﷺ أنْ نجعل بيننا وبين الشُّح وقاية لا نقترب منه.

المسألة الرابعة: قوله: (**فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**) يدل على أنَّ الشُّح مهلكٌ، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ في الحديث الآخر بأنَّ هلاكه في أمرين:

الأم الأول قال: ((حملهم على سفك دماؤهم)).

والأمر الثاني: ((واستحلوا محارمهم)).

المسألة الخامسة: من صور الهلاك بالشُّح: أنَّ الإنسان يرى زوجةً جميلةً عند غيره فيهتك عرضها هذا من الشُّح لم يقنع بما عنده وتتطلع إلى غيره، ومثل: الشُّح في المال أَخْذُ ما عند الآخرين سواء بالغصب، أو السَّرقة، أو السَّلب ونحو ذلك.

المسألة السادسة: دواء الشُّح هو الرضا بما قدَّره الله عز وجل لك؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلم: ((قد أفلح من أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما أتاه)) فهذه الثلاثة هي أسباب السَّعادة في الدنيا والآخرة، الإسلام والكفاف والقناعة.

١٢٧٦- وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ اَلرِّيَاءُ)) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: خطرُ الرياءِ وأنَّه أسوء الأخلاق.

وساقه هنا في الأخلاق؛ لأنَّه ليس من الأدب مع الله أنْ تظهر أنَّ العمل له سبحانه وهو في باطنه ليس لله.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ**) يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ يخشى على هذه الأمة أفراداً أو جماعات أنْ تقع في معصية.

المسألة الثانية: يدل على محبة النَّبيِّ ﷺ لأمته.

المسألة الثالثة: قوله: (**أَخْوَفَ**) يدل على أنَّ أشدَّ شيءٍ خطراً على هذه الأمة وهو الشرك.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ**) يدل على أنَّ تقسيم الشرك إلى نوعين تقسيمٌ نبويٌّ، هذا أصغر ومفهوم المخالف فيه أكبر وهو كذلك.

والفرق بين الشرك الأصغر والأكبر: أنَّ الشرك الأكبر هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، مثل: الله يغفر الذُّنوب سبحانه فيدعى غير الله كالأموات أنْ يغفروا الذُّنوب وهكذا.

وأما الشرك الأصغر فهو كلُّ حديثٍ ورد فيه أنَّه شرك لكن لا يصل إلى الأكبر كقول النَّبيِّ ﷺ: ((من علق تميمة؛ فقد كفر)) والأكبر يحبط جميع الأعمال وصاحبه مخلدٌ في النار بخلاف الأصغر.

المسألة الخامسة: قوله: (**اَلرِّيَاءُ**) يدل على أنَّ الرياء نوعٌ من أنواع الشرك الأصغر؛ إذْ الشرك الأصغر ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الرياء والمراد به الشرك من أجلِّ أنْ يراه أحدٌ ببصره، كتزيين الصلاة.

والقسم الثاني: السُّمعة وهي أنْ يعمل عملاً من أجلِّ أنْ يسمع الناس به كالقراءة مثلاً.

المسألة السادسة: قوله: (**اَلرِّيَاءُ**) يدل على خطر وقُبحِ الرياء ففي الظاهر العمل لله وفي الباطن هو تزيين العمل من أجلِّ الناس، وأما العمل من أجلِّ الناس فهو شرك - والعياذ

بالله – أكبر؛ لذلك فسَّر النَّبيُّ ﷺ الرياء بقوله: ((يقوم الرجل فيصلي فيزيين صلاته لما يرى من نظر رجل)).

مثالُ ذلك: لو أنَّ شخصاً يصلي فسمع داخلاً إلى المسجد فقام يطيل صلاته يزيينها هذا رياء، وإذا كان الشخص جالساً في المسجد ما يريد أنْ يتنفل لكن لما دخل زيدٌ قام وصلَّى من أجلِّ أنْ يراه زيداً هذا - والعياذ بالله - شرك أكبر؛ لأنَّه صلى لذلك الرجل.

١٢٧٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((آيَةُ اَلْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من صفات المنافقين الظاهرة؛ لأنَّ صفات المنافقين قسمان:

قسمٌ: باطن وهو اعتقاد الكفر - والعياذ بالله -، وقسمٌ ثاني: وهو إظهار السيئ من الأعمال كالكذب ونحو ذلك.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**آيَةُ اَلْمُنَافِقِ**) يدل على فضيحة الله عز وجل للمنافقين؛ بإظهار علامات يعرفها المؤمنون.

المسألة الثانية: مفهوم قوله: (**آيَةُ اَلْمُنَافِقِ**) أنَّ للمؤمنين آيات أيضاً كالصدق ونحو ذلك.

المسألة الثالثة: قوله: (**آيَةُ اَلْمُنَافِقِ**) يدل على أنَّ النِّفاق في أصله القلب ولا يطلع عليه إلَّا الله ولكنْ تظهر علامته.

المسألة الرابعة: قوله: (**ثَلَاثٌ**) هذا العدد لا مفهوم له، وقد ورد أنَّ صفات المنافقين أيضاً أربعٌ، وورد أنَّها ستٌّ كما سيأتي.

المسألة الخامسة: قوله: (**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**) يدل على أنَّ من صفات المنافقين الكذب في الحديث، ومن صفات المؤمنين ما قاله الله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

المسألة السادسة: قوله: (**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**) يدل على أنَّ خلاف الوعد - والعياذ بالله - من صفات المنافقين، وأما المؤمنين فقال الله عز وجل عن إسماعيل: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾.

المسألة السابعة: قوله: **(وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)** يدل على قُبْحِ صفة الخيانة وأنَّها من صفات المنافقين، وصفات المؤمن في ذلك ما قاله النَّبيُّ ﷺ: ((أدِّي الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)).

المسألة الثامنة: في رواية لهذا الحديث: ((وإذا عَاهَدَ غَدَرَ)) فالغدر بعد العهد من صفاتهم - والعياذ بالله -، والله ﷻ قال عن المؤمنين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾.

وأصل جميع هذه الصفات هي الكذب؛ فدلَّ على أنَّ أصل الصفات الذميمة الكذب قال ابن القيم رحمه الله: ((أصل الإيمان الصدق، وأصل الكفر الكذب)).

المسألة التاسعة: من اتَّصف بصفةٍ من تلك الصفات لا نقول عنه: أنَّه منافقٌ وإنَّما نقول: هذه صفة من صفات المنافقين كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((ومن كان فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النِّفاق)).

المسألة العاشرة: من اجتمعت - والعياذ بالله - فيه هذه الصفات فهو منافقٌ نفاقاً اعتقادياً وإلى هذا ذهب ابن القيم خلافاً للجمهور، ويؤيده - أي: ويؤيد قول ابن القيم - قول النَّبيِّ ﷺ: ((من كانت فيه كان منافقاً خالصاً)) - والعياذ بالله -.

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: ((وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)).

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذه الرواية؛ لبيان: خصلة زائدة أيضاً من خصال المنافقين.

قوله: **(وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)** معنى فجر يعني: مَالَ عن الحق وبدأ يأتي بأمورٍ كاذبةٍ؛ ليبعد المرء عن حقِّه - والعياذ بالله -.

مثالُ ذلك: لو قال شخصٌ لآخر: أعطني حقي؛ فيفجر في الخصومة فيقول كذباً: أنت أيضاً تشرب الخمر وأنت تدخن وأنت وأنت؛ ليبعده عن حقه.

وتدل هذه الرواية على تحريم الفجور في الخصومة، وأنَّ المرء يجب عليه ألاَّ يفجر لا في الخصومة ولا في غيرها.

قال سبحانه عن الخصومة في صفات المؤمنين: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ وفي غير الخصومة الله يقول عن صفات المؤمنين: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾ أي: لا تفجروا في الكلام.

١٢٧٨- وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ ﵀ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم سب المسلم.

قوله: (**سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ**) المراد بذلك هو سبُّه والإكثار منه (**فُسُوقٌ**) أي: خروج عن طاعة الله، (**وَقِتَالُهُ**) أي: بغير حق (**كُفْرٌ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ**) يدل على تحريم سبُّ المسلم، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: ((كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)) سواء انتهاك عرضه بالفاحشة أو بالسبِّ.

المسألة الثانية: يدل على حرمة ومكانة المسلم عند الله، فلا يجوز أنْ يسبَّ ومنه سبُّ الوالدين لأولادهما ونحو ذلك.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ سبَّ المسلم من كبائر الذُّنوب؛ إذْ يخرج به العبد من العدالة للفسق.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**) يدل على تحريم قتل المسلم بغير حق، ومن قَتَلَه - والعياذ بالله - وقع في الكفر.

المسألة الخامسة: قوله: (**كُفْرٌ**) هذا كفر دون كفر أي: لا يصل إلى الكفر الأكبر؛ لأنَّ الله ﷻ ذكر في قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾ فلم يكفِّر سبحانه الفئة الباغية والعكس.

المسألة السادسة: يدل على تغليظ قتال المسلم؛ فحرمته عند الله ﷻ أعظم من حرمة السماوات والأرض؛ لأنَّ الله ﷻ خلق السماوات والأرض من أجل الإنسان المسلم؛ ليعبد الله في الأرض.

المسألة السابعة: كثرة إسالة دماء المسلمين بغير حق أمارةٌ من أمارات السَّاعة؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ في آخر الزمان: ((لا يدري المقتول فيما قتل)).

١٢٧٩- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ ﵀ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم تهمة المسلم بغير بيِّنة.

قال: **(إِيَّاكُمْ)** أي: أحذركم **(وَالظَّنَّ)** أي: التُّهمة من غير بينة **(فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ)** أي: أمرٌ باطلٌ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ)** يدل على أنَّ المسلم يجب عليه ألاَّ يجري خلف الشُّكوك، وإنَّما لا يتكلم إلَّا ببينةٍ كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾.

المسألة الثانية: يدل على وجوب التَّثبت في كلِّ أمرٍ كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ وهذا مغروزٌ في الفطر قال فرعون لموسى ﵇: ﴿ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

المسألة الثالثة: يدل على المكانة العظيمة في الإسلام لأعراض الناس فلا يُقدح فيها، ولا تبتذل بالشُّكوك.

المسألة الرابعة: قوله: **(فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ)** يدل على أنَّ التُّهم ليست كذباً فحسب بل هي أكذب الكذب.

المسألة الخامسة: من اتَّهم غيره - والعياذ بالله - بغير بينة يُرمى المتَّهِم بالكذب وحديثه بالافتراء، والأصل قول النَّبيِّ ﷺ: ((دع ما يربك إلى ما لا يريبك)) والنَّبيُّ ﷺ في الحديث الآخر يقول: ((فمن اتقى الشُّبهات استبرئ لدينه وعرضه)).

المسألة السادسة: يدل على اهتمام الإسلام بقوة الرابطة بين المسلمين؛ إذْ يمنع التُّهم بينهم لما تحدثه التُّهمة من تصدع في مجتمع المسلمين.

١٢٨٠- وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اَللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اَللَّهُ عَلَيْهِ اَلْجَنَّةَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أنَّ الغاش لرعيته متوعدٌ عند الله.

قال: (**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اَللَّهُ رَعِيَّةً**) أي: يجعله الله ﷻ راعياً كوالٍ أو أميرٍ ونحو ذلك (**يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ**) الغش: ضد النَّصيحة والصدق (**إِلَّا حَرَّمَ اَللَّهُ عَلَيْهِ اَلْجَنَّةَ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَا مِنْ عَبْدٍ**) يدل على أنَّ العقاب عند الله يستوي فيه الناس سواء الأشراف في النَّسب أم الوضعاء فيه.

المسألة الثانية: قوله: (**مَا مِنْ عَبْدٍ**) يدل على أنَّ الوضيع قد يتولى شيئاً من أمر المسلمين كإدارةٍ ونحو ذلك.

المسألة الثالثة: قوله: (**يَسْتَرْعِيهِ اَللَّهُ**) يدل على أنَّ إعطاء الملك من الله - سبحانه وتعالى - كما قال جل وعلا: ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**يَسْتَرْعِيهِ اَللَّهُ رَعِيَّةً**) يدل على أنَّ ما تحت الوالي من ولايةٍ هو أمرٌ مكلفٌ فيه من عند الله - سبحانه وتعالى -، فلا يدخل فيها أصلاً الفخر ولا الخيلاء ولا التَّباهي.

المسألة الخامسة: قوله: (**يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ**) يدل على أنَّ الراعي وإنْ طال عمره بظلمٍ أو عدلٍ فمرده إلى الموت.

المسألة السادسة: قوله: (**يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ**) يدل على أنَّ المتعة بالولاية لا تطول؛ فإما أنْ تنزع وإما أنْ يموت الإنسان منها.

المسألة السابعة: قوله: (**يَوْمَ يَمُوتُ**) يدل على أنَّ الراعي وإنْ كان عظيماً جباراً فسيأتي الذي فيه يضعف وهو يوم موته.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ**) يدل على التَّحذير من الغش من الراعي للرعية، ويدخل في ذلك كلُّ مَن تحمل أيَّ أمرٍ من أمور المسلمين مثل: الأب لو غشَّ أولاده وجلب لهم المنكرات، وكذا المعلم لو لم ينصح في التَّعليم ويصدق معهم ويبذل جهده لهم، وكذا ما فوق المعلم من الإدارة وما فوقه من بقية الولاة؛ فكلُّ هؤلاء داخلون في هذا الحديث.

المسألة التاسعة: قوله: (**إِلَّا حَرَّمَ اَللَّهُ عَلَيْهِ اَلْجَنَّةَ**) يدل على أنَّ اللهﷻ توعَّد من تولَّى أمراً من أمور المسلمين وهو غاشٌّ بحرمان الجنة.

ومذهب بعض السلف في ذلك إمرار هذا الوعيد على ظاهره؛ ليكون أبلغ في الزَّجر، وإذا فُسِّر فيكون معناه أنَّه لن يدخل الجنة قبل أنْ يُعذَّب بغشه ذلك إلَّا أنْ يشاء الله أنْ يغفر له ذلك.

المسألة العاشرة: يدل على أنَّ الوالي النَّاصح لرعيَّته موعودٌ بالجنة؛ لمخالفة منطوق هذا الحديث.

المسألة الحادية عشرة: يدل على خطر الولاية؛ فقد يحرم المرء الجنة بسببها، فالمرء لا يسألها وإنْ وُكِلَت إليه فلينصح.

١٢٨١- وَعَنْ عَائِشَةَ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِﷺ: ((اَللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِم؛ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّف﵀ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من المشقة على الناس.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (اَللَّهُمَّ) يدل على رأفة النَّبيِّﷺ بأمته حيث دعا على من شقَّ عليها.

المسألة الثانية: يدل على جواز الدُّعاء على من لم يولد من هذه الأمة.

المسألة الثالثة: قوله: (اَللَّهُمَّ) يدل على جواز الدُّعاء على المسلم غير المعين.

المسألة الرابعة: يدل على جواز الدُّعاء على من ارتكب منكراً.

المسألة الخامسة: قوله: (**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا**) يدل على أنَّ من تولَّى أيَّ أمرٍ من الأمور فهو متولي أمراً من أمر أمة محمدﷺ؛ ففيه وجوب الحذر من أنْ يخالف هدي النَّبيِّ ﷺ في ذلك.

المسألة السادسة: قوله: (**شَيْئًا**) يدل على أنَّ كلَّ من شقَّ على أمة محمدﷺ ولو في أمرٍ يسيرٍ يدخل في دعوة النَّبيِّ ﷺ عليه.

المسألة السابعة: قوله: (**فَشَقَّ عَلَيْهِم**) يدل على أنَّ من الناس من يشقُّ على خلق الله - والعياذ بالله -، ومنهم مَن يرفق بهم؛ فهم ما بين مُوفَّق ومحروم في التَّعامل مع الناس.

المسألة الثامنة: قوله: (**فَشَقَّ عَلَيْهِم؛ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ**) يدل على أنَّ الجزاء من جنس العمل، فمن شقَّ على الناس دعا النَّبيُّ ﷺ أنَّ اللهﷻ يشقُّ عليه سواء في نفسه بالأمراض وغيرها، أو يشقُّ على أولاده، أو المشقة في كسب ماله ونحو ذلك.

المسألة التاسعة: هذه المشقة المتوعد عليها المشقة الدِّينية؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لما أطال معاذ صلاة العشاء بالناس قال: ((أفـتانٌ أنت يا معاذ؟)) ويدخل فيها أيضاً المشقة الدُّنيوية مثل: التَّنطع في إعطاء الناس حقوقهم أو مالهم.

المسألة العاشرة: يدل على أنَّ التَّيسير على هذه الأمة أصلٌ من أصول التَّشريع فيها قال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: ((يسِّرا ولا تعسِّرا)).

وفي هذا الحديث: ((اللَّهُمَّ من رفق بأمتي فأرفق به؛ ومن شقَّ عليهم فأشقق عليه)) وأمر النَّبيُّ ﷺ بتخفيف ركنٍ من أركان الإسلام؛ خشية أنْ يوجد أحد المرضى أو المسافرين أو الضُّعفاء؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((إذا أمَّ أحدكم بالناس فليخفف؛ فإنَّ فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة)).

المسألة الحادية عشرة: يدل على أنَّ التَّيسير على الناس من أسباب محبة الله للعبد، ومحبة الناس أيضاً للعبد؛ لأنَّه امتثل أصلاً من أصول هذه الأمة.

١٢٨٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ؛ فَلْيَتَجَنَّبِ اَلْوَجْهَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّف﵀ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم ضرب الإنسان على وجهه وكذا الدَّابة.

قال: (**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ**) أي: إذا ضرب، ويدخل فيها أيضاً القتل في غير المعركة (**فَلْيَتَجَنَّبِ اَلْوَجْهَ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ**) يدل على جواز الضرب في الإسلام في بعض الصور.

ومن ذلك: ضرب الزوج زوجته بالتَّأديب بالضرب وهذا الضرب غير مبرح يعني: غير شديد، وكذا الضرب للصلاة، وكذا ضرب المعلم لطلَّابه ضرباً غير مبرح وهذا جائز بالإجماع، وكذا تأديب السُّلطان رعيَّته، وكذا أيضاً الضرب في الحدود والتَّعزيرات.

وأما الضرب في حال القتال بين المسلمين والمشركين فيجوز الضرب في أيِّ مكان حتى في الوجه قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ والوجه قريبٌ من الرقبة قد يصاب به بالسيف وهو ما دون في ذلك، وكما قال سبحانه: ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ في كلِّ موضع من الجسد.

المسألة الثانية: قوله: (**إِذَا قَاتَلَ**) يدل على أنَّ المسلم ليس جائز ضربه في كلِّ الأحيان وإنَّما ما جاء فيه التَّخصيص كما سلف، والنَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلم قال: ((كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه)).

المسألة الثالثة: قوله: (**فَلْيَتَجَنَّبِ اَلْوَجْهَ**) يدل على تحريم ضرب الإنسان في وجهه وكذا الدَّابة، وقوله: ((فَلْيَتَجَنَّبِ اَلْوَجْهَ) أي: أيَّ وجهٍ من الإنسان والدَّابة، ويؤيد ذلك: النَّبيُّ ﷺ ((نهى عن وسم الدابة في وجهها)).

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ الوجه من أشرف الأعضاء التي في المخلوق وهذا في الصورة الظاهرة.

وأما الباطنة فأشرف الأعضاء هو القلب؛ لذلك أنزل الله ﷻ القرآن على قلب محمد ﷺ كما قال سبحانه: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾.

المسألة الخامسة: يدل على اهتمام الإسلام بالإنسان والحيوانات، فليس هناك دينٌ أعطى المخلوقات حقها سوى الإسلام؛ فأدخل الله ﷻ امرأةً بغياً الجنة بسبب سقيها كلب، وأدخل امرأةً أيضاً النار بسبب هرة حبستها.

المسألة السادسة: يقاس على الوجه في تحريم الضرب لما فيه من حواس مهمة للمخلوق: الأماكن الأخرى التي يتأثر بها المخلوق مثل: بطنه وما أسفل منه.

١٢٨٣- وَعَنْهُ ﷺ: ((أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في هذا باب التَّرهيب من مساوئ الأحلاق؛ لبيان: التَّحذير من الغضب.

وهذا الحديث العظيم يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! أَوْصِنِي**) يدل على محبة الصَّحابة رضي الله عنهم للعمل الجادِّ؛ إذْ يأتون إلى النَّبيِّ ﷺ يطلبون منه ماذا نعمل؟

المسألة الثانية: يدل على محبة الصَّحابة رضي الله عنهم للنَّبيِّ ﷺ؛ إذْ يطلبون منه ما يخصُّهم إذْ قال: ((أَوْصِنِي)) أنا.

المسألة الثالثة: (**قَالَ: لَا تَغْضَبْ**) يدل على أنَّ جماع الشرِّ الغضب، وفي صحيح البخاري: ((الرفق ما كان في شيء إلَّا زانه، وما نُزِعَ من شيء إلَّا شانه)) وأشجُّ عبد قيس قال له النَّبيُّ ﷺ: ((إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلمُ والأناة)) وهما ضدُّ الغضب.

المسألة الرابعة: من مساوئ الغضب قد يُحدث القتل والحروب، والطلاق وقطعُ الرزقِ، وتفكُّك المجتمعات وإثارة العداوات.

وقد أثنى الله ﷻ على إبراهيم بالحلم ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾، وقال عن ابنه: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**فَرَدَّدَ مِرَارًا**) يدل على حرص الصَّحابة رضي الله عنهم على التَّزود أيضاً من وصايا النَّبيِّ ﷺ.

المسألة السادسة: قوله: (**قَالَ: لَا تَغْضَبْ**) دلَّ على أنَّ جماع الخير في عدم الغضب؛ إذْ في عدم الغضب أداء العبادات بسكينة ومحبة الناس.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ هذا الإسلام شاملٌ في العبادات والأخلاق والآداب وغير ذلك.

١٢٨٤- وَعَنْ خَوْلَةَ ٱلْأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ رِجَالاً يتخوَّضُونَ فِي مَالِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمْ ٱلنَّارُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)) أَخْرَجَهُ ٱلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم أكل أموال الناس بالباطل.

قوله: (**إِنَّ رِجَالاً يتخوَّضُونَ**) أي: يأخذون بغير حق أمول الناس (**فِي مَالِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمْ ٱلنَّارُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ**)

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ رِجَالاً**) يدل على وجود فئة من الناس يأكلون - والعياذ بالله - أموال الناس بالباطل.

المسألة الثانية: قوله: (**رِجَالاً**) يدل على أنَّ من يفعل ذلك الرجال أكثر من النساء.

المسألة الثالثة: قوله: (**يتخوَّضُونَ**) يدل على من الناس مَن يأخذ أموال الناس - والعياذ بالله – بالباطل، وقال النَّبيُّ ﷺ في الحديث الآخر: ((ستجدون بعدي أثره)) يعني: كلٌّ يُؤثر المال لنفسه يأخذ قال النَّبيُّ ﷺ: ((فصبروا حتى تلقوني على الحوض)).

المسألة الرابعة: قوله: (**فِي مَالِ ٱللَّهِ**) إضافة هذا المال لله يدل على شدة تحريم ذلك الفعل؛ فهو ليس مالهم وإنَّما هو مال الله أعطاه أهله.

المسألة الخامسة: قوله: (**مَالِ ٱللَّهِ**) يدل على أنَّ ما يتملَّكه الإنسان من مال في حقيقته وديعةٌ مؤقتةٌ يرحل عنها، أو يرحل المال عنه.

المسألة السادسة: قوله: (**بِغَيْرِ حَقٍّ**) دلَّ على أنَّ أخذ أموال الناس بحقٍّ مشروع مثل: أخذ الزكاة من الناس، أو أخذ المال من الظالم وإعادته للمظلوم وهكذا.

المسألة السابعة: قوله: (**فَلَهُمْ اَلنَّارُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) - والعياذ بالله - يدل على أنَّ عقوبة أكل أموال الناس هي النار وهذا الجزاء من جنس العمل، أكل الأموال؛ فأكلته النار - والعياذ بالله -.

المسألة الثامنة: قوله: (**فَلَهُمْ اَلنَّارُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) فيه إيماء بالحثّ على مَن أُخِذَ ماله على الصبر، وأنَّ الظالم سيلقى عقابه في الآخرة إنْ لم يعجّله الله عليه في الدنيا.

المسألة التاسعة: قوله: (**فَلَهُمْ اَلنَّارُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) يدل على أنَّ المال قد يكون سبباً لإدخال المرء النار، وقد يكون من أسباب دخول المرء الجنة كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

وفي كلا الحالين هو فتنة أي: ابتلاءٌ عظيمٌ تملُّك المال قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأنَّه نوعٌ من التَّزين في الحياة قال سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾.

١٢٨٥- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ - فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ - قَالَ: ((يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ اَلظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَّالَمُوا)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم الظلم.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ**) يدل على أنَّ الحديث القدسي هو كلام الله عز وجل لفظاً ومعنىً، ومن قال: إنَّ الحديث القدسي لفظه من النَّبيِّ ﷺ ومعناه مَن الله فقد أخطأ ونفى الكلام عن الله؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((قَالَ: اللهُ)) فهو كلام الله.

المسألة الثانية: قوله: (**يَا عِبَادِي!**) يدل على أنَّ الله عز وجل يتودَّد إلى عباده في ترك المعاصي مع غناه عنهم - سبحانه تعالى -، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**إِنِّي حَرَّمْتُ ٱلظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي**) يدل على أنَّ الله - سبحانه وتعالى - متنزِّهٌ عن الظلم وقد قال اللهﷻ ذلك في الحديث القدسي، وقاله أيضاً سبحانه في كتابه العزيز في قوله: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾، وقال: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا**) يدل على أنَّ الظلم أياً كان نوعه بين أفراد الناس محرم، فظلم الزوج زوجته حرام، وظلم الأم ولدها حرام، والظلم خارج الدار حرام وهكذا.

المسألة الخامسة: قوله: (**فَلَا تَظَّالَمُوا**) يدل على أنَّ تحريم الظلم لأمور:

أولاً: لأنَّ الله حرَّمه على نفسه.

ثانياً: لأنَّ فيه تسلَّط على المظلوم الضعيف؛ إذْ لا يظلم الظالم إلَّا من هو أضعف منه؛ لذلك يُستجيب الله لدعاء المظلوم لضعفه.

المسألة السادسة: يدل على عظم شأن الظلم قال ابن حزم: ((وما سقطت الأمم إلَّا بالظلم، والعدل هو أساس البقاء والقوة)) والله يقول: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾.

١٢٨٦- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِﷺ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَا ٱلْغِيبَةُ؟ قَالُوا: ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ.

قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اِغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من الغيبة.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**أَتَدْرُونَ مَا ٱلْغِيبَةُ؟**) يدل على عظم شأن الغيبة؛ إذْ صدَّر النَّبيُّ ﷺ أمرها بالاستفهام.

المسألة الثانية: قوله: (**قَالُوا: ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**) في حياة النَّبيِّ ﷺ يجوز أنْ يقال لمن سئل عن مسألة أنْ يقول: الله ورسوله أعلم.

وأما بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ فقد انقطع عِلْمُ النَّبيِّ ﷺ بموته؛ إذْ أنَّ الوحي انقطع فلا يجوز أنْ يقال سوى: الله أعلم.

المسألة الثالثة: قوله: (**اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**) يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ يوحى إليه.

المسألة الرابعة: عِلْمُ النَّبيِّ ﷺ مقصورٌ على ما جاء به الوحي من أمور الدين، أو ما أطلعه الله ﷻ عليه من الغيب كما قال سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ أي: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يعلم الغيب إلَّا إذا أطلعه الله ﷻ عليه.

المسألة الخامسة: (**قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ**) يدل على التَّحذير من الغيبة؛ إذْ المغتاب أخوك - أي: في الدين -.

المسألة السادسة: مفهوم قوله: (**ذِكْرُكَ أَخَاكَ**) بأنَّ غير المسلم تجوز غيبته ولكنْ هذا المفهوم لا يُراد؛ إذْ أنَّ الله ﷻ وما جاء في النُّصوص شاملٌ للمسلم وغير المسلم؛ كما في مسند الإمام أحمد: ((فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يقعون في أعراض الناس)) سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ غيبة الفاسق لا تجوز، وأما ذكر بيان ما أخطأ فيه؛ لئلا يُلبِّس على الناس فذكر البيان ليس بغيبة وإنَّما نُصْحٌ للمسلمين، وأما الوقوع في أعراض أهل العلم وغير ذلك فلا يدخل في هذا الباب في غير النُّصح فيما أخطوا فيه من مسائل الدّين.

المسألة الثامنة: قوله: (**أَخَاكَ**) يدخل في تحريم الغيبة أيضاً الصبي فلا يجوز أنْ يغتاب الصبي.

المسألة التاسعة: قوله: (**بِمَا يَكْرَهُ**) يدل على أنَّ ضابط الغيبة: هو كره السامع لها إذا كان قدحاً، وأما إذا كان مدحاً فلا يدخل في ذلك حتى ولو كره الممدوح هذا؛ لأنَّ المدح لا يقدح فيه.

المسألة العاشرة: (**قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِغْتَبْتَهُ**) يدل على أنَّ الكلام في الغائب بالذمِّ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أنَّه غيبة وهو إذا كان العيب فيه؛ لذلك قال: ((أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟))

المسألة الحادية عشرة: قوله: ﴿**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ**﴾ يدل على القسم الثاني: وهو إذا كان مقدوحاً فيه بوصفٍ غير صحيح فهذا بهتان، والبُهتان جمع فيه بين الغيبة والكذب - والعياذ بالله -.

المسألة الثانية عشرة: يدل على أنَّ ذمَّ الغائب بما ليس فيه تحذير من أمر الدين محرمٌ على كلِّ حال.

المسألة الثالثة عشرة: الغيبة - والعياذ بالله - من الأعمال الماحية للحسنات والجالبة للعذاب في النار، قال النَّبيُّ ﷺ: ((أتدرون من المفلس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: الذي يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا وضرب هذا وهتك عرض هذا إلى آخره)).

المسألة الرابعة عشرة: أنَّ عقوبة المغتاب تكون بنقيض قصده؛ فهو يسبُّ غائباً لا يحبه ولكنّه يعطيه من حسناته، أي: أنَّه أنعم على من تُكُلِّم فيه بالحسنات.

المسألة الخامسة عشرة: ومن عقوبة المغتاب - والعياذ بالله - في الآخرة ما قاله النَّبيُّ ﷺ: ((قد اطلعت على أهل النار فرأيت قوماً يخمشون وجوههم بأظفار من نحاس فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يقعون في أعراض الناس)).

المسألة السادسة عشرة: يجب على المسلم أنْ يحفظ لسانه من الوقوع في أعراض الناس، والشيطان يُيسِّر للمسلم أنْ يقع في هذه الكبيرة؛ لأنَّ عواقبها سيئة.

وحَفِظَ السَّلف ألسنتهم من هذه الكبيرة قال البخاري رحمه الله: ((لم أغتب أحداً مُنْذ أنْ علمت أنَّ الغيبة حرام)) وكذا الشَّافعي رحمه الله يقول: ((لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت أمي؛ فإنَّها أحقُّ الناس بحسناتي)).

١٢٨٧- **وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اَللَّهِ إِخْوَانًا.**

اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، اَلتَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَّاتٍ -.

بِحَسْبِ اِمْرِئٍ مِنْ اَلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ اَلْمُسْلِمَ، كُلُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَى اَلْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: جملةٍ من أخلاقٍ سيئةٍ قد تقع بين المسلمين للحذر منها.

قال: (**لَا تَحَاسَدُوا**) الحسد - والعياذ بالله - تمني زوال نعمة في يد غيرك، (**وَلَا تَنَاجَشُوا**) النَّجش: الزيادة في السِّعر عند البيع مع عدم رغبته في البيع وإنَّما ليضر المشتري وينتفع البائع، (**وَلَا تَبَاغَضُوا**) أي: لا يكره بعضكم بعضاً، (**وَلَا تَدَابَرُوا**) التَّدابر: هو الهجر والقطيعة، (**وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**) أي: لو باع شخصٌ سلعةً بمئة ألف على الآخر يأتي طرفٌ ثالثٌ فيقول: أنا أشتريها منك بمئة وخمسين؛ لئلا يبيع للمشتري الذي قبله؛ ليحرمه من السَّلعة (**وَكُونُوا عِبَادَ اَللَّهِ إِخْوَانًا**).

قال: (**اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ**) الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، (**وَلَا يَخْذُلُهُ**) الخُذلان - والعياذ بالله - ترك نصره وتأييده، (**وَلَا يَحْقِرُهُ**) الاحتقار: أنْ يرى غيره أدنى منه في الدنيا (**اَلتَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَّاتٍ -**) يعني: محل التقوى في الجسد هي القلب، والقلب هو الذي يُحرِّك الجوارح.

قال: (**بِحَسْبِ اِمْرِئٍ مِنْ اَلشَّرِّ**) أي: يكفي المسلم شراً (**أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ اَلْمُسْلِمَ**) - والعياذ بالله - (**كُلُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَى اَلْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ**) أي: الاعتداء عليه بسفك دمه بالقتل أو ما دونه، (**وَمَالُهُ**) أي: سلب ماله أو أخذه بغير حقٍّ، (**وَعِرْضُهُ**) سواء الاعتداء على عرضه بالفاحشة، أو الوقوع في عرضه بالغيبة والبُّهتان.

هذا حديثٌ عظيمٌ جليلٌ، فيه فوائد وقواعد للإصلاح المجتمع وإبعاد البغضاء منهم، وهو يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا تَحَاسَدُوا**) يدل على أنَّ الحسد من أبغض الخصال عند الله ﷻ، وهو أخصُّ صفةٍ من صفات إبليس والحسد هو الذي أخرج إبليس من الجنة قال سبحانه لإبليس في قصته مع آدم ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ هذا حسد - والعياذ بالله -.

المسألة الثانية: الحسد ظلمةٌ في القلب لا يرتفع فيها العبد عند الله ﷻ، ولا يرتفع إلَّا صاحب القلب السليم ولو قلَّ عمله كما في المسند في الرجل في قصته مع ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كنا جلوساً عند النَّبيِّ ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: ألا أخبركم برجل من أهل الجنة؟ فدخل علينا رجل فصحبه ابن عمر فلم يجد منه كثيرُ صلاةٍ ولا صيام، وإنَّما هو سلامة الصدر كان ينام وليس في صدره شيءٌ)).

المسألة الثالثة: قوله: (**وَلَا تَنَاجَشُوا**) يدل على تحريم التَّجش، وهو نوعٌ من أنواع الخديعة للمسلمين في معاملاتهم في البيع.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَلَا تَبَاغَضُوا**) يدل على تحريم البَّغضاء بين المسلمين كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وسبب البَّغضاء عدم الغضِّ عن أخطاء الآخرين.

والتَّغافل عن أخطاء الآخرين سببه المحبة، أي: إذا أخطأ أحدٌ لا تحاسبه على خطئه وإنَّما تغافل عن خطئه قال سبحانه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَلَا تَدَابَرُوا**) يدل على تحريم مقطعة المسلمين مع بعضهم؛ فقد جاء الوعيد بأنَّ العمل لا يُرفع - والعياذ بالله - حتى يصطلحا.

المسألة السادسة: قوله: (**وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**) يدل على تحريم ذلك، ويجب التَّوكل على الله في الرزق.

المسألة السابعة: قوله: (**وَكُونُوا عِبَادَ اَللَّهِ إِخْوَانًا**) أي: أنَّ تلك الصفات الخمس إذا اجتنبت؛ حلَّت الأخوة في المجتمع.

المسألة الثامنة: قوله: (**اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ**) يدل على أنَّ رابط الأخوة الدِّينية أعظمُ رابطةٍ؛ لذلك يحرم وقوع شيءٍ فيها من التَّدابر مثلاً أو عدم الموالاة بخلاف الأخوة النَّسبية، فإذا كان أحدهما غير مسلم يجب أنْ يعادى في الله.

المسألة التاسعة: قوله: (**لَا يَظْلِمُهُ**) يعني: من الأخوة تحريم ظلم أخيك.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَلَا يَخْذُلُهُ**) يدل على تحريم خذلان الأخ المسلم عند احتياجه إليك من: الإعانة، أو بذل المال له، أو منع نفع العلم إليه وهكذا.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَلَا يَحْقِرُهُ**) يدل على تحريم احتقار المسلم؛ لوضاعته في الدنيا. وكم من شخصٍ احْتُقر خَرَجَ عظيماً؟! فالنَّبيُّ ﷺ يتيم خَرَجَ أفضل الخلق عند الله، وأبو هريرة رضي الله عنه فقيرٌ في صحيح البخاري: ((كان يسقط في الطرقات، ويظنُّون أنَّه مجنون قال: ليس بي جنون وإنَّما الجوع)) ومع ذلك هذا الرجل الذي يسقط في الطرقات من الجوع هو رَاوِيةُ الإسلامِ للحديث، وموسى عليه السلام لا يستطيع النُّطق ومع هذا فهو من أولي العزم بل قال الله عنه: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ وعيسى عليه السلام ليس له أبٌ قال الله عنه: ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**اَلتَّقْوَى هَهُنَا**) يدل على أنَّ جميع العبادات التي شرعها الله هي من أجل صلاح القلب من: الحسد والبَّغضاء وغير ذلك، وإذا صفى القلب أطاعت الجوارح ربَّها.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَّاتٍ**) يدل على علم من أعلام النُّبوة؛ إذْ أنَّ القلب تحت الصدر.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**بِحَسْبِ اِمْرِئٍ مِنْ اَلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ اَلْمُسْلِمَ**) يدل على أنَّ جامع الشرِّ الكِبر واحتقار الآخرين، فإبليس احتقر آدم ألاَّ يسجد له، واليهود احتقروا النَّبيَّ ﷺ لم يؤمنوا به، وفرعون احتقر موسى ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾، وقوم نوح قالوا له: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ وهكذا.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: (**كُلُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَى اَلْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ**) يدل على المكانة العظيمة للمسلم عند الله.

المسألة السادسة عشرة: يدل على أنَّ دم المسلم وعرضه وماله الأصل فيه التَّحريم؛ وهذا لمكانته عند الله عز وجل.

١٢٨٨- وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((اَللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو ربَّه أنْ يجنبه مساوئ الأخلاق.

قال: (**كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ**: ((**اَللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ**) أي: جنبني الأخلاق المنكرة، والمراد بها الأخلاق الباطنة مثل: الحسد والحقد والبخل وغير ذلك، (**وَالْأَعْمَالِ**) أي: جنبني منكرات الأعمال والمراد بها: الأعمال الظاهرة، مثل: عمل السرقة عمل الزنا عمل شُرْبِ الخمر وهكذا، (**وَالْأَهْوَاءِ**) أي: جنبني الأهواء المنكرة، أي: الهوى الذي يخالف الشرع مثل: محبة المعاصي والفسق وأهله وغير ذلك، (**وَالْأَدْوَاءِ**) أي: الأمراض، أي: اللَّهُمَّ جنبني الأمراض المنكرة، أي: التي يُستعصى علاجها أو يطول.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ جَنِّبْنِي**) يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يتعلَّق بالله - سبحانه وتعالى -، ويدعو ربَّه بالأمور الحسنة، ويجب عليه أيضاً أنْ يدعو ربَّه أنْ يجنبه الأمور القبيحة.

المسألة الثانية: قوله: (**اَللَّهُمَّ**) هذا يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وإنَّما الأمر كله بيد الله.

المسألة الثالثة: قوله: (**مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ**) يدل على أنَّ الأخلاق منها ما هو حَسَنٌ ومنها ما هو منكرٌ، فمن الحَسَنِ البشاشة ونحو ذلك قال سبحانه عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾، وقال عن الوصف السيئ عن قوم عاد: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَالْأَعْمَالِ**) يدل على أنَّ الهادي للأعمال الصالحة هو ربُّ العالمين، فيجب أنْ يدعى الرب أنْ يحققها للعبد، وكذا يجب عليه أنْ يدعو ربَّه أنْ يجب الأعمال السيئة قال سبحانه: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَالْأَهْوَاءِ**) يدل على أنَّه يجب على المسلم أنْ يجعل هواه تبعاً بما جاء به الكتاب والسُّنَّة، وهذا هواً محمود ودلَّت عليه الفطرة قال النَّبيُّ ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)).

وأما الهوى المذموم فهو ما كان في معصية الله من الفسق إلى الكفر قال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ فقد يكون الهوى - والعياذ بالله - إلهاً.

المسألة السادسة: قوله: (**وَالْأَدْوَاءِ**) يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يدعو ربَّه أنْ يسلمه من جميع الأمراض قليلها وكثيرها؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ إني أسألك العفو)) يعني: فيما مضى ((والعافية)) يعني: في الحاضر ((والمعافاة الدائمة)) أي: في المستقبل، أي: اجعلني يا رب معافى دائماً سواء من المعاصي أو من الأمراض، في هذا الحديث ((وَالْأَدْوَاءِ)) إما منكرات الأدواء أو عموم الأمراض، وكذا ما سَبَقَ.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ المرء إذا حقَّق الله ﷻ له هذه الأمور يكون من عباد الله الصالحين فيكون عمل صالحاً، وأخلاقه حسنةً، وهواه لله، ومعافىً في بدنه ودينه.

١٢٨٩- وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أخلاقٍ سيئةٍ تفسد الصُّحبة.

قال: (**لَا تُمَارِ أَخَاكَ**) المراء: هو الجدال، والمراد به هنا: الطعن في كلام أخيك؛ لإظهار فضلك عليه (**وَلَا تُمَازِحْهُ**) المزاح ضدُّ الجد وهو معروفٌ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا تُمَارِ أَخَاكَ**) يدل على تحريم المراء بين الإخوة إذا كان الانتصار للنَّفس، أما المدارسة بين الأخوة فذلك أمرٌ محمودٌ كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم)).

والجدال مع مَن خالف السُّنَّة أو مع أهل الكفر بالحكمة مأذونٌ فيه قال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والمراد به إظهار الحجج.

المسألة الثانية: قوله: (**أَخَاكَ**) يدل على أنَّه حين المدارسة يجب أنْ يستشعر المسلم أنَّ من أمامك هو أخوك؛ فترفق به.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَلَا تُمَازِحْهُ**) يدل على أنَّ النهي عن المزاح الذي يُوصل إلى الطعن في أخيك والاستهزاء به والسُّخرية.

وأما المزاح الذي لا طعن فيه فلا بأس، وقد مازح النَّبيُّ ﷺ صحابته في صحيح البخاري: ((يا أبا عمير ما فعل النُّغير)).

المسألة الرابعة: قوله: (**وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ**) يدل على تحريم إخلاف الوعد ويشتدُّ حرمةً إذا كان مع المسلم، ومِن إخلاف الوعد أنْ يعلَّق أمره بالمشيئة وهو ينوي عدم الوفاء مثل: لو دعي إلى وليمة فقال: إنْ شاء الله آتي وفي باطنه إخلاف الوعد، فهذا إخلاف وعد كما ذكر ذلك ابن رجب رحمه الله.

المسألة الخامسة: يدل هذا الحديث على عظم منزلة المسلم؛ إذْ نَهَى الإسلام عن كلِّ ما يسوؤه.

المسألة السادسة: يدل على عناية الإسلام بكمال الأخوة وبقائها، قال النَّبيُّ ﷺ: ((وَكُونُوا عِبَادَ اَللَّهِ إِخْوَانًا)) وإنْ كان الحديث هذا ضعيفاً لكنْ ما جاء فيه موافقٌ للنصوص أخرى كما سَبَقَ.

١٢٩٠- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: اَلْبُخْلُ، وَسُوءُ اَلْخُلُقِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه اله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من خصلتين هما من مساوئ الأخلاق.

قال: (**خَصْلَتَانِ**) أي خلَّتان أو صفتان (**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ**) أي: لا ينبغي أنْ تجتمعا في مؤمن: (**اَلْبُخْلُ**) وهو منع ما أوجب الله عز وجل فيه الدُّفع من النَّفقة، أو حق المسكين وحق الضيف، أو حق النَّفس (**وَسُوءُ اَلْخُلُقِ**) الأخلاق السيئة: هي الأخلاق المنكرة التي حذَّر منها الإسلام.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ**) يدل على أنَّ المؤمن أنْ يبعد عن نفسه الخصال السيئة.

المسألة الثانية: يدل على أنَّه قد يجتمع في المؤمن خصلة أو خصلتين لكنْ ليست بسوء هاتين الخصلتين مثل: الجبن، والعجز ونحو ذلك.

المسألة الثالثة: قوله: **(اَلْبُخْلُ)** يدل على التَّحذير من البخل وهو من أسباب كراهة الناس للمرء، وقد أخبر اللهﷻ أنَّه من صفات الكافرين قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ ﴾ وهو من أخصِّ صفات اليهود قالوا عن الغني سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾ لأنَّهم يريدون مالاً كثيراً، واللهﷻ منع عنهم لحكمة.

المسألة الرابعة: قوله: **(وَسُوءُ اَلْخُلُقِ)** يدل على أنَّ سوء الخلق ليس من صفات المؤمنين، وقد تعوَّذ النَّبيُّ ﷺ منه في قوله: ((اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ)) وهو مِن الأسباب المنفِّرة عن الناس.

المسألة الخامسة: يجب على طالب العلم أنْ يحذر خصلة سوء الخلق؛ لينتفع من علمه بين الناس فسيء الخلق يقلُّ انتفاع الناس بعلمه.

١٢٩١- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى اَلْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ اَلْمَظْلُومُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ ﷺ هذا الحديث في هذا باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من السِّباب.

قال: **(اَلْمُسْتَبَّانِ)** أي: المتخاصمان **(مَا قَالَا)** أي: إثم المتخاصمين على الذي قال الأول في السبِّ **(فَعَلَى اَلْبَادِئِ)** في السِّباب الإثم (م **مَا لَمْ يَعْتَدِ اَلْمَظْلُومُ)** في زيادة السبِّ.

مثالُ هذا الحديث: لو قال شخصٌ لآخر: أنت تكذب فأجاب الآخر: أنت تكذب هنا الإثم على الأول؛ لأنَّه بدأ بالسبِّ والآخر لا يأثم؛ لأنَّه عاقب بمثل عقوبته كما سيأتي.

ولو زاد المسبوب فقال له: أنت كذَّاب وأنت تسرق أموال الناس هنا زاد في الردِّ فيأثم المسبوب؛ لأنَّه زاد في الردِّ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا**) يدل على تحريم سبِّ المسلم في الحديث الآخر قال النَّبيُّ ﷺ: ((سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) - والعياذ بالله - رواه مسلم، وقال النَّبيُّ ﷺ: ((لعن المؤمن كقتله)).

المسألة الثانية: السبُّ من أعمال الشيطان قال النَّبيُّ ﷺ: ((المستبان شيطانان يتهاذيان ويتكاذبان)) رواه أحمد، وأصل السبِّ هو الغضب.

المسألة الثالثة: قوله: (**مَا قَالَا**) يدل على أنَّ سبَّ المسلم فيه وزرٌ عظيمٌ، فيجب الحذر من ذلك.

المسألة الرابعة: قوله: (**فَعَلَى اَلْبَادِئِ**) يدل على ضعف المسلم؛ إذْ يستهويه الشيطان بالسبِّ فيقع في الإثم، فيجب على السلم أنْ يحفظك لسانه.

المسألة الخامسة: قوله: (**مَا لَمْ يَعْتَدِ اَلْمَظْلُومُ**) يدل على أنَّ النَّفس البشرية إنْ سُبَّت سَبَّت إلَّا إذا حبسها الإنسان بالحلم وهو أكمل الصفات وقال سبحانه: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، وقال: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ من ردَّ على السَّاب بمثل سوءته لا يأثم؛ لقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾.

المسألة السابعة: على المسلم ابتداءً أو رداً أنْ يكف لسانه في السبِّ أو الردِّ؛ لأنَّ الشيطان قد يزيد من ذلك إلى ما لا تُحمد عقباه.

قال المصنِّفُ رحمه الله:

١٢٩٢- وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اَللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسَلِّمًا شَقَّ اَللَّهُ عَلَيْهِ)) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من المشقة والضرر على الناس.

قال: (**مَنْ ضَارَّ**) مِن الضرر وهو الأذية سواء في المال أو في الأهل أو البنين أو غير ذلك (**مُسْلِمًا ضَارَّهُ اَللَّهُ**) أي: أوقع عليه الضرر، (**وَمَنْ شَاقَّ مُسَلِّمًا**) أي: أحدث على الناس مشقة (**شَقَّ اَللَّهُ عَلَيْهِ**)

قال: (**أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَاَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ**) الحديث فيه ضعف ولكن دلَّ على أصله في عدَّة أحاديث كقوله: ((لا ضرر ولا ضرار))، وكقوله سبحانه: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾، وقوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا**) هذا اللَّفظ لا مفهوم له؛ فمضارة غير المسلم أيضاً بغير حق لا تجوز، ولهذا: هذه اللَّفظة غير موجودة في بعض الروايات.

المسألة الثانية: قوله: (**مَنْ ضَارَّ**) يدل على أنَّ الإسلام لم يأتِ بالمضرة وإنَّما أتى بالنفع للناس، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**ضَارَّهُ اَللَّهُ**) يدل على أنَّ الجزاء من جنس العمل والواقع يثبت ذلك؛ فمن ضارَّ الناس سُلِّط عليه.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَمَنْ شَاقَّ مُسَلِّمًا شَقَّ اَللَّهُ عَلَيْهِ**) يدل على تحريم المشقة على الناس قال النَّبيِّ ﷺ: ((يسرا ولا تعسرا)) والنَّبيُّ ﷺ بُعِثَ بالحنيفية السمحة.

المسألة الخامسة: يدل على أنَّ من أسباب نشر الدِّين في الآفاق نفع الناس والتَّيسير عليهم، بل جاء الحثُّ على التَّيسير على أمور الناس كقوله ﷺ: ((من يسَّر على مسلمٍ: يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة)).

ثم بعد ذلك قال المصنِّف رحمه الله:

١٢٩٣- وَعَنْ أَبِي اَلدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اَللَّهَ يُبْغِضُ اَلْفَاحِشَ اَلْبَذِيَّ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم الفحش والبذاءة في القول وكذا الفعل.

قال: (**إِنَّ اَللَّهَ يُبْغِضُ اَلْفَاحِشَ**) أي: الذي يُكثر من الكلام السيئ القبيح (**اَلْبَذِيَّ**) أي: الذي فيه سوء، أي: القليل والكثير منه محرمٌ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ اَللَّهَ يُبْغِضُ**) فيه إثبات صفة البغض لله - سبحانه وتعالى -، وفي صحيح مسلم: ((إذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إنِّي أبغض فلاناً فأبغضه.. إلى آخره)).

المسألة الثانية: يدل مفهوم هذا الحديث على أنَّ - الله سبحانه وتعالى - يحب القول والفعل الطيب قال سبحانه: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ قال النَّبيُّ ﷺ: ((إن الله طيبٌ لا يقبل - أي: من الأعمال – إلَّا طيباً))، وقال سبحانه عن صفات أهل الجنة: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**اَلْفَاحِشَ**) يدل على تحريم إطلاق اللِّسان بالألفاظ السيئة القبيحة، وكما سيأتي ليس المؤمن بالفاحش البذيِّ.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَلْبَذِيَّ**) يدل على تحريم الكلام السيئ وإنْ كان يسيراً، وضدّه ما قاله النَّبيُّ ﷺ: ((الكلمة الطيبة صدقة)).

المسألة الخامسة: الفحش والبذاءة كما هي في القول أيضاً تكون في الفعل مثل: اللِّباس العاري، ورفع صوت المعازف وهكذا.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ من أسباب البغضاء في المجتمع القول القبيح فيه، مِن أسباب صلاحه القول الطيب.

ثم بعد ذلك قال المصنِّفُ رحمه الله:

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه – رَفَعَهُ -: ((لَيْسَ اَلْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اَللَّعَّانِ، وَلَا اَلْفَاحِشِ، وَلَا اَلْبَذِيِّ)) وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ اَلدَّارَقُطْنِيُّ وَقْفَهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذه الرواية في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم الطَّعن ولعنُ المسلمِ.

قال: (**وَلَهُ**) أي: للتِّرمذيِّ (**مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه – رَفَعَهُ -: ((لَيْسَ اَلْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ**) أي: يقع في أعراض الناس بالغيبة والنميمة ونحو ذلك، (**وَلَا اَللَّعَّانِ**) أي: يلعن من لا يستحق اللَّعن، (**وَلَا اَلْفَاحِشِ، وَلَا اَلْبَذِيِّ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَيْسَ ٱلْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ**) يدل على تحريم الطَّعن - والعياذ بالله - في أعراض المسلمين، قال النَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلم: ((كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه)).

المسألة الثانية: يدل على مكانة المسلم العظيمة عند الله فلا يجوز الطَّعن فيه، وقد توعَّد الله ﷻ من فعل ذلك في قوله: ﴿وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ يهمز ويلمز في الناس.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَلَا ٱللَّعَّانِ**) يدل على تحريم لعن المسلم، وفي الحديث الصحيح النَّبيُّ ﷺ قال: ((لعن المسلم كقتله)) ومن أطلق لسانه في لعن مَن لا يستحق اللَّعن يُحرم من مرتبة الصِّدِّيقية يوم القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلم: ((لا ينبغي لعَّان أنْ يكون صدِّيقاً)) بل حرمه الله ﷻ من الشَّفاعة والشَّهادة للناس يوم القيامة، قال النَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلم: ((إنَّ اللَّعانين لا يكونوا شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)).

المسألة الرابعة: يدل على خطورة لعن مَن لا يستحق اللَّعن، وممَّن يستحق اللَّعن من لعنه الله سواء بعينه كفرعون وإبليس، أو على سبيل العموم كالكافرين والظالمين.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَلَا ٱلْفَاحِشِ، وَلَا ٱلْبَذِيِّ**) يدل على تحريم البذاءة والفحشاء وسَبَقَ بيان ذلك.

قال: (**وَحَسَّنَهُ**) أي: التِّرمذيُّ (**وَصَحَّحَهُ ٱلْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ ٱلدَّارَقُطْنِيُّ وَقْفَهُ**) أي: على ابن مسعود رضي الله عنه.

١٢٩٤- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((لَا تَسُبُّوا ٱلْأَمْوَاتَ; فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا)) أَخْرَجَهُ ٱلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم سبِّ الأموات.

قال: (**لَا تَسُبُّوا ٱلْأَمْوَاتَ**) أي: لا تتحدثوا فيهم لما فيه مسبَّةٌ لهم، أو بما فيه أذيةٌ لأهله؛ (**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا**) أي: انقلبوا وصاروا ووصلوا (**إِلَى مَا قَدَّمُوا**) أي: ما عملوه من أعمالٍ ساروا إلى الله ﷻ ليحاسبهم عليها.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا تَسُبُّوا ٱلْأَمْوَاتَ**) يدل على عظمة الإسلام في حفظ اللِّسان للأحياء والأموات.

المسألة الثانية: يدل على تحريم سبِّ الأموات بما يخصُّ ذواتهم، وأما إذا كان صاحب بدعةٍ وشرٍّ فإنَّه لا يعدُّ من السبِّ المنهي عنه.

والدليل على ذلك ما جاء في الصحيح: ((أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ على جنازةٍ فأثنوا عليها خيراً، ومرَّ على جنازةٍ أخرى فأثنوا عليها شراً)) فيحمل هذا على مَن كان فيه شرٌّ مستطيرٌ أو صاحب بدعة؛ ليُحذر من بدعته حتى لو بعد مماته.

المسألة الثالثة: قوله: (**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**) هذه هي العلَّة في تحريم سبِّهم وهي: وصولهم لله ﷻ ليحاسبهم على ما عملوه، فسبُّهم لن يضرهم؛ فقد وصلوا إلى من يحاسبهم - سبحانه وتعالى -.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ الله ﷻ يُحاسب الخلائق على كلِّ شيء فيجب على المسلم أنْ يفوِّض أمر الناس إليه سبحانه، وأنْ يكفَّ لسانه عنهم.

١٢٩٥- وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ قَتَّاتٌ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم التَّميمة.

قوله: (**قَتَّاتٌ**) فسَّرته الرواية الأخرى عند مسلم: ((نمَّام)) وهي: نقل الحديث بين الناس لقصد الإفساد - والعياذ بالله -.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ**) يدل على أنَّ الجنة مطمع جميع الناس مسلمهم وكفارهم فيرغَّب بها ويرهَّب من عدم دخولها لذلك قال الله عن أهل الكتاب: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**لَا يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ**) الأصل أنْ تبقى على ظاهرها في الوعيد - أي: هذه اللَّفظة -.

المسألة الثالثة: قوله: (**قَتَّاتٌ**) يدل على أنَّ النَّميمة - والعياذ بالله - كبيرةٌ من كبائر الذُّنوب تُوعِّد صاحبها بعدم دخول الجنة.

المسألة الرابعة: يدل على اهتمام الإسلام بالألفة بين أفراد المجتمع؛ إذْ رتَّب وعيداً شديداً على مَن أراد تفرقته وهو عدم دخول الجنة.

المسألة الخامسة: تُحدِث النَّميمة ما يحدثه السِّحر في التَّفريق وتزيد عليه أنَّها أسرع؛ لذلك قال النَّبيُّ ﷺ: ((ألا هَلْ أنبِّئكُم العَضْه؟ هِيَ النَّميمة - القالة بين الناس-)) والله ﷻ يقول: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾.

١٢٩٦- وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اَللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ)) أَخْرَجَهُ اَلطَّبَرَانِيُّ - فِي اَلْأَوْسَطِ -.

وَلَهُ شَاهِدٌ: مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ عُمَرَ ﷺ عِنْدَ اِبْنِ أَبِي اَلدُّنْيَا.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّرغيب في عدم إظهار الغضب.

قال: (**مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ**) أي: عالج غضبه بالحلم (**كَفَّ اَللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ**).

وهذا الحديث ضعيفٌ وأخذ منه بعض أهل العلم عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: أنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما أنَّ الغاضب منع ما يحدثه له الغضب من أذية الآخرين، والجزاء أنَّ الله ﷻ يكفُّ عذابه عنه.

المسألة الثانية: يدل على الضرر العظيم لما يحدثه الغضب.

المسألة الثالثة: يدل على فضل الله ﷻ؛ فبكفِّ غضبٍ يُكفُّ عنه العذاب، وهذا الحديث مع روايته الضَّعيفة ولا تَنْهض من مرتبة الحُسْنِ.

١٢٩٧- وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ اَلصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ خِبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ اَلْمَلَكَةِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: ثلاثة صفات محرمة.

قال: (**لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ خِبٌّ**) الخبُّ: هو الذي يُفسد بين الناس بالخديعة، (**وَلَا بَخِيلٌ**) هو الذي يمنع ما أوجبه اللهﷻ عليه سواء من حق الله أو حقوق الآدميين، (**وَلَا سَيِّئُ اَلْمَلَكَةِ**) يعني: ولا سيئ صحبة مماليكه.

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ**) الحديث الأول لفظه: ((لا يدخل الجنة سيئ الملكة)) والحديث الثاني: ((لا يدخل الجنة خبٌّ ولا منانٌ ولا بخيلٌ)) وكذا الحديثين ضعيفان.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل مجملة من الحديث الأول:

المسألة الأولى: قوله: (**لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ خِبٌّ**) يدل على تحريم خديعة الناس؛ لأخذ حقوقهم أو المكر بهم مثل: أنْ يبغِّض الزوجة في زوجها، وكذا يبغِّض الصاحب في صاحبه، والجار لجاره وهكذا.

المسألة الثانية: يدل على اهتمام الإسلام بقوة الرابطة الاجتماعية؛ إذْ بها إظهار شعائر الإسلام.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَلَا بَخِيلٌ**) يدل على قبح صفة البُخل، واللهﷻ يقول: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ المراد بالفحشاء هنا: البُخل؛ فدلَّ على أنَّ البخل ممَّا يأمر به الشيطان، وأخبر سبحانه أنَّ من صفات الكفار البُخل قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَلَا سَيِّئُ اَلْمَلَكَةِ**) يدل على تحريم الإساءة للمماليك وجاء الوعيد بحقِّهم؛ لضعفهم.

المسألة الخامسة: يدل على أنَّ المسلم يجب أنْ يحسن خلقه مع جميع أفراد المجتمع غنيهم وفقيرهم، وشريفهم ووضيعهم؛ لأنَّ حُسْنَ الخلق عبادةٌ مع الجميع.

المسألة السادسة: يدل على تحريم احتقار الآخرين، والنَّبيُّ ﷺ يقول: ((بحسب امرئ من الشَّر - أي: يكفيه من صفات الشرِّ - أنْ يحقر أخاه المسلم)) ومن ذلك احتقار الضُّعفاء.

١٢٩٨- وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ﷞ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ اَلْآنُكُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ - يَعْنِي: اَلرَّصَاصَ -)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ﵀ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: الوعيد مِن الاستماع إلى حديث قومٍ لم يأذنوا له.

قال: (**مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ**) أي: أدخل (**فِي أُذُنَيْهِ اَلْآنُكُ - يَعْنِي: اَلرَّصَاصَ -**) وهو الرصاص المذاب، وخصُّ الآنك هنا بالعذاب لعدَّة أسباب:

السبب الأول: لأنَّ الرُّصاص أسرع المعادن ذوبان في النار فيذوب بسرعة.

والأمر الثاني: أنَّه هو أقوى المعادن حرارةً - والعياذ بالله -.

والأمر الثالث: لأنَّه هو المعدن الوحيد الذي يلصق في اللَّحم، وهذا من شدَّة العذاب.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ**) يدل على تحريم الاستماع إلى حديث الجماعة إذا لم يأذنوا بذلك.

المسألة الثانية: قوله: (**قَوْمٍ**) هذه اللَّفظة لا مفهوم لها؛ فيدخل في الوعيد من استمع لحديث فردٍ لم يأذن بالسَّماع.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ**) يدل على أنَّ لكلِّ فئةٍ من الناس حديثٌ يخصُّهم؛ فحديث عائلة ونحو ذلك فقد لا يأذنون بالسَّماع لها.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ كتمان بعض الأحوال لا محذور له في الشرع إذا كان فيه مصلحة.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ**) ظاهر اللَّفظ أنَّهم أَذِنَوا له بالجلوس لكن كرهوا استماعه، ولكنَّ المراد: أنَّه إذا استمع وهم لا يشعرون باستماعه، أما إذا أذنوا زاد الحذر أو كانوا يعلمون.

المسألة السادسة: قوله: (**صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ اَلْآنُكُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) يدل على أنَّ العذاب يوم القيامة يتنوَّع بحسب المعاصي؛ فالاستماع وَرَدَ فيه هذا الحديث، والزُّناة - والعياذ بالله - في صحيح البخاري: ((أنَّهم يلقون في تنور فتصيب فروجهم النار)) وكذا آكل الربا يُلقم حجراً وهكذا.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ الاستماع المذكور كبيرةٌ من كبائر الذُّنوب - والعياذ بالله - لا يغفر لصاحبه إلَّا بالتَّوبة.

المسألة الثامنة: يدل على أنَّ اللهﷻ قد يمهل صاحب المعصية إلى يوم القيامة؛ لقوله: ((يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)) فمن أوذي فليصبر الله يقول: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ فقد يُعجِّل اللهﷻ العذاب وقد يؤخره لحكمة.

قال المصنِّفُ رحمه الله:

١٢٩٩- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ اَلنَّاسِ)) أَخْرَجَهُ اَلْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أنَّ من مساوئ الأخلاق الاشتغال بذكر عيوب الناس.

قال: (**طُوبَى**) هذه كلمة يراد بها إما ما يعني: هنيئاً (**لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ**) وإما أنْ يراد بها اسم من أسماء الجنة أي: الجنة أُعدَّت لمن شغله عيبه (**عَنْ عُيُوبِ اَلنَّاسِ**).

وهذا الحديث قال عنه المصنِّفُ رحمه الله في مختصر زوائد البزَّار: ((هذا حديثٌ موضوعٌ وإنَّما هو من قول الحسن البصري رحمه الله))

وهذا النَّص يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ اَلنَّاسِ**) يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ ينشغل بإصلاح نفسه؛ لقولهﷺ: ((احرص على ما ينفعك)).

المسألة الثانية: من قلَّة الدِّين والعقل أنَّ الإنسان يذكر عيوب الآخرين وينشغل عن إصلاح عيبه.

المسألة الثالثة: قوله: (**عَيْبُهُ**) يدل على أنَّ كلَّ إنسانٍ فيه عيبٌ، والناس فيه ما بين مكثرٍ ومقل، وما بين ظاهرٍ وعيبٍ باطنٍ.

المسألة الرابعة: يدل على وجوب حفظ اللِّسان عن الوقيعة في أعراض الناس، فإنْ كان ذكر عيبهم في غيبتهم فهو غيبة، وإنْ كان في حضورهم فهو احتقارٌ لمسلم وكلاهما من كبائر الذُّنوب.

١٣٠٠- وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اَللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)) أَخْرَجَهُ اَلْحَاكِمُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: نوعين من أنواع الكِبر.

قال: (**مَنْ تَعَاظَمَ**) أي: رأى (**فِي نَفْسِهِ**) العظمة أو تكلَّف العظمة، (**وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ**) أي: تكبَّر فيها وتبختر (**لَقِيَ اَللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ**) يدل على أنَّ أصل الصفات السيئة هو الكبر، وهو الذي أخرج إبليس من الجنة قال سبحانه إخباراً عنه: ﴿ قَالَ ﴾ أي: إبليس ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ ﴾ أي: تكبَّر على آدم، وقال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ﴾.

المسألة الثانية: جماع صفات الخير التَّواضع وهو أصل قبول الحق، ولهذا اتَّصف به الصَّحابة رضي الله عنهم فتواضع للنَّبيِّ ﷺ وللحق فأعلاهم الله.

المسألة الثالثة: قوله: (**مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ**) يدل على أنَّ من كبائر الذُّنوب ما هو باطنٌ، ومِن ذلك ما يراه الإنسان في نفسه من العظمة.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ من أنواع الكبر أنَّ الإنسان يرى نفسه عظيماً ثم يقع في محظور آخر وهو احتقار الآخرين؛ فوقع في ذنبين من كبائر الذُّنوب - والعياذ بالله -.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ**) يدل على أنَّ من أنواع الكبر التَّعالي حال المشي - والعياذ بالله -.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ من أنواع الكِبر ما يظهر على الجوارح مثل: المشي ومنه أيضاً التَّشدق في الكلام والتَّفيهق فيه، ومنه أيضاً في اللُّبس لبس الشُّهرة.

المسألة السابعة: قوله: (**لَقِيَ اَللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**) يدل على أنَّ الله -سبحانه وتعالى- يغضب إذا تكبَّر الإنسان.

والعلَّة في ذلك: أنَّ الكبر صفةٌ من صفات الله لا يجوز للبشر أنْ يتمثلوا بها، قال النَّبيُّ ﷺ: ((الفخر ردائي والكبر إزاري، لا ينازعني فيه أحدٌ إلاَّ عذبته)) ولهذا مقولة: الكبر لله صحيحة يعني: له وحده سبحانه.

المسألة الثامنة: فيه إثبات صفةٌ من صفات الله وهي الغضب، وهو سبحانه يغضب متى شاء كيف شاء إذا شاء - سبحانه وتعالى -.

١٣٠١- وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((اَلْعَجَلَةُ مِنَ اَلشَّيْطَانِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: ((حَسَنٌ)).

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أنَّ العجلة من مساوئ الأخلاق.

والحديث ضعيفٌ، ويدل هذا الحديث على مسائل دلَّ عليها أحاديث أخرى صحيحة:

المسألة الأولى: قوله: **(اَلْعَجَلَةُ مِنَ اَلشَّيْطَانِ)** يدل على ذمِّ العجلة إذا كانت في غير الأمور الشرعية؛ لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري: ((ما كان الرِّفق في شيءٍ إلَّا زانه، وما نُزِعَ في شيءٍ إلَّا شانه)).

المسألة الثانية: العجلة إنْ كانت في إرضاء الله - سبحانه وتعالى - مثل: المبادرة إلى الذهاب إلى المسجد بعد الآذان، وكذا المبادرة إلى قيام الليل والمبادرة إلى الصدقة هذا أمرٌ محمودٌ قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ والله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقال: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ التَّأني وهو ضد العجلة صفةٌ يحبها الله عز وجل ورسوله؛ كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري لأشجِّ عبد قيس: ((إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلمُ والأناة)).

المسألة الرابعة: يجب على المسلم أنْ يكون متأنياً في أمور الدنيا غير عجلٍ عليها؛ فالرِّزق مكتوبٌ له ولا يُكثِره أو يُعجِّله العجلة.

١٣٠٢- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((اَلشُّؤْمُ: سُوءُ اَلْخُلُقِ)) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: ضرر سوء الخلق.

قال: (**اَلشُّؤْمُ**) أي: الضرر والمفسدة سببها (**سُوءُ اَلْخُلُقِ**).

وهذا النَّص يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: يدل على أنَّ ضرر سوء الخلق كبيرٌ؛ فقد يقطع المرء رزقه بسبب سوء الخلق، وقد يُفرِّق بيته بسبب سوء الخلق وهكذا.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ جماع الخير هو حُسْنُ الخلق سواء بالقول كما قال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾، أو بالفعل كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((تبسمك في وجه أخيك صدقة)).

١٣٠٣- وَعَنْ أَبِي اَلدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ ((إِنَّ اَللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قال: (**إِنَّ اَللَّعَّانِينَ**) أي: المكثرين من اللَّعن (**لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ**) أي: لمن يستحق دخول النار ألاَّ يدخلها من أهل التَّوحيد، أو رفع منزلة من دخل الجنة في الجنة، (**وَلَا شُهَدَاءَ**) أي: يحرمون من فضل الشَّهادة (**يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) بأنَّ الرُّسل بلغوا دعوتهم إلى أقوامهم.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ اَللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ**) يدل على خطر اللَّعن إذا لم يأذن به الشرع.

المسألة الثانية: هذا الوعيد في حق مَن لا يستحق اللَّعن وهو المسلم بعينه، وكذا الكافر بعينه.

المسألة الثالثة: ممَّا أذن الشرع فيه باللَّعن لَعْنُ من جاء النَّص بلعنه كإبليس وفرعون، أو ما جاء النَّص بلعن أوصافهم مثل: لعن الله آكل الربا وموكله، لعن الله السارق وهكذا.

المسألة الرابعة: قوله: (**لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ**) يدل على أنَّ منزلة الشفاعة عند الله عظيمة؛ إذْ أنَّ الشَّافع مكرمٌ عند الله ولا يأذن الله لأحدٍ أنْ يشفع إلَّا الله عز وجل يحبه.

المسألة الخامسة: فيه دليل على إثبات الشفاعة لأفراد الأمم، وشرطه: إذن الله للشافع ورضاه عنه.

المسألة السادسة: قوله: (**وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) يدل على عظم منزلة الشهادة؛ إذْ يؤيد الشَّاهد ما أقرَّ به نبيه أو الأنبياء من قبله على تبليغ دعوة الله وكما قال سبحانه: ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ يوم القيامة فيه أمور عظيمة من: الشفاعة، والشَّهادة، والأهوال، والتَّكريم، والإهانة وغير ذلك، فيجب على المسلم أنْ يسأله سبحانه تخفيف كربه في ذلك اليوم العظيم.

١٣٠٤- وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ؛ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: التَّحذير من السُّخرية بالآخرين.

قال: (**مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ**) أي: لو أنَّ الإنسان عمل ذنباً ثم تاب ثم عُيِّر به لا يجوز؛ لقوله سبحانه: ﴿ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ**) يدل على أنَّ جميع الناس معرضون للذُّنوب، وخير المذنبين التائبون، وخير المشاهدين للذُّنوب السَّاترون.

المسألة الثانية: قوله: (**لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ**) هذا يدل على أنَّ الجزاء من جنس العمل، لكنْ هذا الحديث لا يصح في هذا الأمر.

المسألة الثالثة: يجب على الإنسان أنْ يحفظ لسانه عن أخطاء الآخرين، قال سبحانه: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ والنَّبيُّ ﷺ قال لعائشة لما عيَّرت صفية بقصرها قال: ((قد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)).

١٣٠٥- وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيَضْحَكَ بِهِ اَلْقَوْمَ؛ وَيْلٌ لَهُ! ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ!)) أَخْرَجَهُ اَلثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: تحريم الكذب لإضحاك الناس.

قال: (**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ**) أي: يتكلم (**فَيَكْذِبُ لِيَضْحَكَ بِهِ اَلْقَوْمَ؛ وَيْلٌ لَهُ؛ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ**). قال: (**أَخْرَجَهُ اَلثَّلَاثَةُ**) وهم: أبو داود، والنسائي، والتِّرمذيُّ (**وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**وَيْلٌ**) يدل على أنَّ من ارتكب هذا الذَّنب متوعدٌ بهذه الكلمة وقيل هي: وادي في جهنم - والعياذ بالله -.

المسألة الثانية: قوله: (**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ**) يدل هذا اللَّفظ على تحريم الكذب في الحديث.

المسألة الثالثة: قوله: (**لِيَضْحَكَ بِهِ اَلْقَوْمَ!**) يدل على أنَّ هذا الوعيد مترتب من أجل أمرين قبيحين:

الأمر الأول: الكذب في الحديث.

والأمر الثاني: قصده إضحاك الناس.

المسألة الرابعة: الحكمة من هذا الوعيد أنَّه فِعْلُ معصيةٍ؛ فكثرة الكذب تقسِّي القلب وتعرض عن ذكر الله - والعياذ بالله -، وقد يصاحبه ذنبٌ آخر أيضاً من حبِّ الرياء، أو يريد بعمله هذا الدنيا.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَيْلٌ لَهُ! ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ!**) هذا يدل على شدَّة الوعيد.

المسألة السادسة: هذا الوعيد لا يقتصر فقط على الكلام وإنَّما يدخل فيه من في حكمه من الكتابة، ويدخل فيها أيضاً ما ظهر من الآلات الحديثة مِن الكتابة فيها.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ السيئة تجلب السيئة؛ فسيئة الكذب جلبة سيئةً أخرى وهي إضحاك الناس.

المسألة الثامنة: يدل هذا الحديث على أنَّ إضحاك الناس بحق لا بأس به، أما إضحاكهم بالكذب فلا.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ الإسلام فيه امتاعٌ للنفس بالإذن بالضحك، وإنَّما أنكَر أنْ يكون ذلك بالكذب.

١٣٠٦- وَعَنْ أَنَسٍ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((كَفَّارَةُ مَنْ اِغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ)) رَوَاهُ اَلْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

ساق المصنِّفُ هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: كفارةُ الغيبةِ.

قال: (**كَفَّارَةُ مَنْ اِغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ**) أي: أنْ تدعوا له بالمغفرة.
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: (**كَفَّارَةُ مَنْ اِغْتَبْتَهُ**) يدل على أنَّ الغيبة ذنبٌ عظيمٌ يَحتاج إلى كفارة.
المسألة الثانية: قوله: (**أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ**) الدُّعاء للمغتاب بعد غيبته إما أنْ يكون في حال غيبة من اغتيب، أو في حضرته.
المسألة الثالثة: ذهب بعض أهل العلم وهي رواية عن الإمام أحمد إلى أنَّ كفارة الغيبة هذا الحديث فتعدوا له بأنَّ الله يغفر له ذنوبه؛ بسبب ما وقعت في عرضه وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام وابن القيمرحمه الله.
والقول الثاني: أنَّ كفارة الغيبة أنْ تذهب إليه وتتحلَّل منه من بأنْ تطلب منه أنْ يعفوا عنك؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلَّله منها)) وإلى هذا ذهب الأحناف والمالكية والشافعية ورواية عن الإمام مالك.
والراجح: أنَّ الإنسان إذا كان يعلم أنَّه لن يحصل مِن التَّحلل ضررٌ كإفساد المودة؛ فإنَّه يتحلَّل منه مثل: لو اغتاب أمه أو أباه فهذا علاقته بهما وطيدة لا تضرها التَّحلل.
وأما إنْ كان يظنُّ أنَّ في التَّحلل مفسدةٌ أكبر فلا يتحلل منه، وإنَّما يدعو له ويتوب فيما بينه وبين الله؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار)).
المسألة الرابعة: يدل هذا الحديث على أنَّ الإنسان يجب أنْ يحفظ لسانه؛ لئلا يقع في هذا الذَّنب العظيم.

١٣٠٦- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((أَبْغَضُ اَلرِّجَالِ إِلَى اَللَّهِ اَلْأَلَدُّ اَلْخَصِمُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.
ساق المصنِّفُرحمه الله هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أنَّ الألدَّ الخَصِمَ مبغوضٌ عند الله.
قال: (**أَبْغَضُ اَلرِّجَالِ إِلَى اَللَّهِ اَلْأَلَدُّ**) الألدُّ: يعني شديد الخصومة قال سبحانه: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾ (**اَلْخَصِمُ**) يعني: كثير الخصوم، ومعنى الحديث: أنَّ الله يبغض مَن يكثر الخصومة وشديدٌ فيها.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**أَبْغَضُ ٱلرِّجَالِ إِلَى ٱللَّهِ**) يدل على إثبات صفة الغضب لله - سبحانه وتعالى - وهو من الصفات الفعلية يغضب متى شاء إذا شاء كيف شاء -سبحانه وتعالى-.

المسألة الثانية: قوله: (**ٱلرِّجَالِ**) هذا اللَّفظ لا مفهوم له؛ فيدخل فيه أيضاً النساء.

المسألة الثالثة: قوله: (**ٱلْأَلَدُّ ٱلْخَصِمُ**) يدل على قبح مَن يُكثر من الخصومات، وإذا خاصم كان شديد التَّلاحي فيها.

المسألة الرابعة: هذه الصفة من صفات المشركين كما قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

المسألة الخامسة: يجب على المسلم ألاَّ يُكثر من الخصومة، وإذا خاصم فيها لا يكون شديداً وإنَّما يكون جانبه العفو.

المسألة السادسة: دلَّ مفهوم هذا الحديث على أنَّ الله ﷻ يحبُّ الرجلَ عديم الخصومة غير شديدٍ فيها إذا خاصم، النَّبيُّ ﷺ قال: ((كُفَّ عليك لسانك)).

ويكون المصنِّفُ ؒ بهذا قد انتهى من باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق، ويليه بإذن الله بعد ذلك باب الآنية التَّرغيب في مكارم الأخلاق.

(بَابُ اَلتَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ اَلْأَخْلَاقِ)

((اَلتَّرْغِيبِ)) أي: الحثُّ ((فِي مَكَارِمِ اَلْأَخْلَاقِ)) أي: التَّرغيب في الأخلاق الكريمة، ومكارمُ الأخلاق أي: أعلاها وأفضلها. أي: أنَّ المصنِّفَ رحمه الله لم يذكر جميع الأخلاق وإنَّما ذكر صفوتها.

وحُسْنُ الخلق عبادةٌ عظيمةٌ مِن أسباب رُقيِّ المسلم إلى أعلى جنَّات النَّعيم، ومن أسباب قُرب المسلم من النَّبيِّ ﷺ في الآخرة كما قال عليه السلام: ((أقربكم منِّي مجلساً أحاسنكم أخلاقاً)).

١٣٠٧- عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ اَلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى اَلْبِرِّ، وَإِنَّ اَلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى اَلْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ اَلرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى اَلصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اَللَّهِ صِدِّيقًا.

وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ اَلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى اَلْفُجُورِ، وَإِنَّ اَلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى اَلنَّارِ، وَمَا يَزَالُ اَلرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى اَلْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اَللَّهِ كَذَّابًا)) الحَدِيث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ الصدق هو أساس الصفات.

قال: (**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**) أي: الزموا الصدق (**فَإِنَّ اَلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى اَلْبِرِّ**) أي: يهدي إلى كلِّ خيرٍ، (**وَإِنَّ اَلْبِرَّ**) أي: الخير (**يَهْدِي إِلَى اَلْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ اَلرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى**) أي: يقصد (**اَلصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اَللَّهِ صِدِّيقًا**) أي: في درجة الصِّدِّيقين.

(**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ اَلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى اَلْفُجُورِ**) أي: يهدي إلى الشرِّ (**وَإِنَّ اَلْفُجُورَ**) أي: جماع الشرِّ (**يَهْدِي**) - والعياذ بالله - (**إِلَى اَلنَّارِ، وَمَا يَزَالُ اَلرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى اَلْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اَللَّهِ كَذَّابًا**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**) يدل على وجوب الصدق سواء الصدق مع الله في القلب، أو الصدق باللِّسان مع الخلق، أو الصدق في المعاملات.

المسألة الثانية: قوله: (**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**) يدل على أنَّ أساس الأخلاق هي الصدق؛ لأنَّه يؤدِّي إلى الجنة قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ قال شيخ الإسلامﷺ: ((ولم يعهد عن النَّبيِّ ﷺ ولا عن أبي بكر كذبةً واحدةً لا قبل البعثة ولا بعد البعثة)).

المسألة الثالثة: قوله: (**فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ**) يدل على أنَّ الصدق هو باب كلِّ خير من الرزق، أو من العلم، أو من التَّوفيق، أو من السَّداد وغير ذلك.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَإِنَّ ٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ**) يدل على أنَّ الذي يجمع الخصال التي تؤدِّي إلى الجنة هو الصدق.

المسالة الخامسة: قوله: (**وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى ٱلصِّدْقَ**) يدل على أنَّ مَن كان همه الصدق الله ﷻ يعينه عليه.

المسألة السادسة: قوله: (**حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللَّهِ صِدِّيقًا**) يدل على أنَّ الكذَّاب لا ينال مرتبة الصِّدِّيقين، ويكون المرء صدِّيقاً إلَّا إذا كان الصدق سجيَّةً له فلا يعرف للكذب وجهاً.

المسألة السابعة: قوله: (**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ**) يدل على تحريم الكذب، وأعظمه الكذب على الله بعدم الإيمان، أو الكذب على الخلق بالقول، أو في المعاملات قال شيخ الإسلامﷺ: ((أصل الإيمان الصدق، وأصل الكفر الكذب)).

المسألة الثامنة: قوله: (**فَإِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ**) يدل على أنَّ جماع الشرِّ هو الكذب؛ فبسببه يُبغض الكذَّاب وقد يُقطع رزقه وقد ينبذُّ، وهو من أسباب فَقْدُ لذَّة العبادة والعلم.

المسألة التاسعة: قوله: (**ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ**) يدل على أنَّ الكذب - والعياذ بالله - يأتي بسيئةٍ أخرى أعظم منه.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَإِنَّ ٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ**) يدل على أنَّ عاقبة الكذَّاب النار - والعياذ بالله -.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى ٱلْكَذِبَ**) يدل على أنَّ من كان يكذب لا يتوقف عن الكذب بل ينتظر كذبةً أخرى - والعياذ بالله -، ودواء الكذب: الإقلاع عنه.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللَّهِ كَذَّابًا**) يدل على أنَّه يكفيك من ذمِّ الكذب أنَّ الله يكتبك عنده أنَّك كذَّابٌ.

١٣٠٩- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ من أسباب الصدق تجنب الظن.

والمصنِّفُ رحمه الله ساق هذا الحديث في باب التَّرهيب من مساوئ الأخلاق؛ لبيان: أنَّ الظنَّ مفتاح الكذب، وهنا ترك الظنِّ مفتاح الصدق.

قال: (**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**) أي: أحذركم من الظنِّ السيئ (**فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ**) أي: لا حديث أكذب من الأمر المبني على الظنِّ، مثل: لو رأى إنسانٌ رجلاً معه امرأةً وهي زوجته، فإذا كان يظنُّ الظنَّ السيئ يبدأ الكذب فيقول: اختلى بها زنا بها سرق مالها وهكذا.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل في مكارم الأخلاق:

المسألة الأولى: قوله: (**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**) يدل على وجوب إحسان الظنَّ بالناس إلَّا مَن ظهرت منه ريبةٌ ظاهرةٌ.

المسألة الثانية: قوله: (**فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ**) يدل على أنَّ مِن صدق الإنسان ألاَّ يبني كلامه على الظنِّ، بل على اليقين.

المسألة الثالثة: من أسباب تقطّع أواصل المجتمع بناؤه على الظنِّ والشكِّ والريبةِ.

١٣١٠- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدْرِيِّﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا; نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا اَلطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: غَضُّ اَلْبَصَرِ، وَكَفُّ اَلْأَذَى، وَرَدُّ اَلسَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ اَلْمُنْكَرِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ إعطاء الطريق حقَّه من مكارم الأخلاق.

قال: (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**) أي: أحذركم من الجلوس في الطرقات، (**قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا**) أي: لا نستطيع أنْ نترك الجلوس في الطرقات؛ لحاجتنا إليها

(**نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا اَلطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: غَضُّ اَلْبَصَرِ، وَكَفُّ اَلْأَذَى، وَرَدُّ اَلسَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ اَلْمُنْكَرِ**)

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**) يدل على تحريم الجلوس في الطريق إلَّا لحاجة كما سياتي.

المسألة الثانية: قوله: (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**) من أسباب النهي من الجلوس فيها ما قد يُفتتن المرء فيها إما قد يرى فيها من معصية الله.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّه من أسباب صيانة المرء لدينه هو الجلوس في البيت ولا يجلس في الطريق.

المسألة الرابعة: قوله: (**قَالُوا: يَا رَسُولَ اَللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا**) يدل على صِغَرِ مساكن الصَّحابةرضي الله عنهم؛ إذْ كان جلوسهم فيها للحديث.

المسألة الخامسة: قوله: (**قَالَ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ**) يدل على أنَّ الإسلام دين يُسر لا عُسر، فإذا احتاج الجلوس في الطرقات لحاجة فلا بأس.

المسألة السادسة: قوله: (**فَأَعْطُوا اَلطَّرِيقَ حَقَّهُ**) يدل على أنَّ لكلِّ شيءٍ حقاً، فللبيت حق، وللطريق أيضاً حق؛ لأنَّه لا يخصُّ الجالس وحده وأيضاً لا يخصُّ المارَّ فيه.

المسألة السابعة: قوله: (**قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟**) يدل على حبُّ الصَّحابةرضي الله عنهم للعلم للعمل به؛ لئلا يقعوا في محذورٍ.

المسألة الثامنة: قوله: (**غَضُّ اَلْبَصَرِ**) يدل على أنَّ من أسباب المنع من الجلوس في الطرقات ما يقع للإنسان من الفتنة في النساء.

المسألة التاسعة: يدل على حرص الإسلام على مجانبة الفتنة بالنساء، النَّبيُّﷺ يقول عن المرأة: ((إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان)) أي: زيَّنها للناس.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَكَفُّ اَلْأَذَى**) يدل على أنَّ من أضرار الجلوس في الطريق أذيَّة المارِّين، ومن حقه ألاَّ تضرَّ أحداً من المارَّة بقولٍ إما بأذيَّة له، أو بتعدِّي عليه برميه بحجرٍ ونحوه.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَرَدُّ ٱلسَّلَامِ**) يدل على أنَّ الإسلام يحرص على قوة أواصل المودة بين أفراد المجتمع؛ فكلُّ ما رأيت مسلماً سلِّم عليه وعلى الجالس أنْ يردَّ السلام.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ ٱلْمُنْكَرِ**) يدل على أهمية هذه الشعيرة حتى تؤدَّى وهي في الطرقات.

المسألة الثالثة عشرة: يدل هذا الحديث على فضل الله الواسع؛ وذلك باغتنام كلِّ لحظةٍ في حياة المرء ولو بالجلوس في الطرقات بأداء أنواعٍ كثيرةٍ من العبادات.

المسألة الرابعة عشرة: يدل هذا الحديث على اهتمام الإسلام بتعليم الآخرين ولو في لحظةٍ يسيرةٍ وهي المرور، وذلك بنصحه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣١١- وَعَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ بِهِ خَيْرًا؛ يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ من أعظم مكارم الأخلاق العلم.

قوله: (**مَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ بِهِ خَيْرًا؛ يُفَقِّهْهُ**) أي: يفهمه ويعلِّمه (**فِي ٱلدِّينِ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ بِهِ خَيْرًا**) يدل على أنَّ الله سبحانه خلق خلقه أراد لبعضهم خيراً، وأراد لبعضهم شراً وهو سبحانه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

المسألة الثانية: قوله: (**يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ**) يدل على أنَّ أمارة إرادة الله لعبده الخير أنْ يتفقَّه في الدين.

المسألة الثالثة: يدل المفهوم المخالف لهذا الحديث على أنَّ من لم يرد الله به خيراً يحرمه من العلم.

المسألة الرابعة: دلَّ هذا الحديث في قوله: ((خَيْرًا)) أنَّ القائد والهادي إلى الخير هو العلم فحسب، فيجب على المسلم أنْ يتزوَّد منه كلَّما تزوَّد منه زادت الخيريَّة له عند الله - سبحانه وتعالى -.

١٣١٢- وَعَنْ أَبِي اَلدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ اَلْخُلُقِ)) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ حُسْنَ الخلق من مكارم الأخلاق.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ**) يدل على تفاضل الأعمال عند الله - سبحانه وتعالى - فمنها ما يثقل الميزان كثيراً، ومنها ما هو دون ذلك كما قال عليه السلام: ((والحمد لله تملأ الميزان)).

المسألة الثانية: قوله: (**مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ**) يدل على أنَّ الحسنات يوم القيامة يكون لها جرمٌ توزن بها.

المسألة الثالثة: قوله: (**اَلْمِيزَانِ**) يدل على إثبات الميزان يوم القيامة، وجاء في وصفه أنَّ له كفتين ويوزن العمل ويوزن أيضاً صاحب العمل؛ لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: ((يؤتى بالرجل السمين عند الله فلا يساوي عند الله جناح بعوضة)) لكنَّ العبرة بوزن العمل.

المسألة الرابعة: قوله: (**مِنْ حُسْنِ اَلْخُلُقِ**) يدل على أنَّ حُسْنَ الخلق عبادةٌ فاضلةٌ لها حسناتٌ كثيرةٌ، وضابط حُسْنُ الخلق: بذل المعروف وكفُّ الأذى وطلاقة الوجه.

المسألة الخامسة: قوله: (**مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ اَلْخُلُقِ**) هذا مشروطٌ بالإيمان كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ وأما الكافر حَسَنُ الخلق فقال سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

المسألة السادسة: يدل على أنَّه يجب على المسلم أنْ يتحلَّى بهذه العبادة؛ فهي من مكارم الأخلاق وذات حسناتٍ كثيرةٍ تثقل الميزان.

١٣١٣- وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((اَلْحَيَاءُ مِنْ اَلْإِيمَانِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ الحياء من أعظم الأخلاق.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(اَلْحَيَاءُ)** الحياء ينقسم إلى قسمين:

قسمٌ: محمودٌ.

وقسمٌ: مذمومٌ.

القسم المحمود: هو ترك المناهي وفعل الطاعات، فستحي أنْ تترك الطاعة وتستحي أنْ تفعل المعصية، وهذا هو المراد من هذا الحديث.

والقسم الثاني: الحياء المذموم وهو ترك ما أمرت به وفعل ما نهيت عنه خجلاً من الناس مثل: تترك الإمامة في الصلاة أو الخطابة والوعظ خجلاً من الناس، وهذا حياءٌ مذمومٌ.

المسألة الثانية: قوله: **(اَلْحَيَاءُ مِنْ اَلْإِيمَانِ)** يدل على أنَّ الحياء خصلةٌ من خصال الإيمان؛ فقد بيَّنها النَّبيُّ ﷺ في قوله: ((والحياء شعبة من الإيمان)).

المسألة الثالثة: يدل على فضل الله - سبحانه وتعالى -؛ إذْ نوَّع العبادات فجعل المسلم يؤجر حتى على الحياء.

مثالُ ذلك: أنَّ الإنسان يخجل أنْ يستمع المعازف عند الناس مثلاً هذا حياءٌ محمودٌ ويؤجر عليه المرء، حياؤه هذا يجرُّه على الخوف من الله ﷻ.

المسألة الرابعة: يدل مفهوم هذا الحديث على أنَّ الانسلاخ من الحياء ليس من الإيمان، ومنه إعلان المعصية وعُريِّ المرأة أمام الرجال وهكذا.

المسألة الخامسة: يجب على المسلم أنْ يلزم صفة الحياء؛ فإنَّ الحياء إذا اكتمل يستحي منه الخلق كما قال النَّبيُّ ﷺ عن عثمان رضي الله عنه: ((ألا استحي ممَّن تستحي منه الملائكة)) فصفة هذه العبادة جعلت الملائكة تستحي من عثمان رضي الله عنه، وفي صحيح البخاري: ((كان موسى عليه السلام لا يظهر عورته وهو وحده عند الاغتسال؛ حياءً)).

١٣١٤- وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ اَلنَّاسُ مِنْ كَلَامِ اَلنُّبُوَّةِ اَلْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي؛ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: ضابط الحياء.

قال: (**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ اَلنَّاسُ**) أي: ممَّا تلقوه بعضهم من بعض (**مِنْ كَلَامِ اَلنُّبُوَّةِ اَلْأُولَى**) أي: ممَّا وصلهم من كلام الأنبياء السَّابقين (**إِذَا لَمْ تَسْتَحِيِ؛ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**) أي: إذا كان الفعل لا يُستحى منه فافعله، مثل: لبس الرجل الثوب الأبيض لا يُستحى منه افعله، ومثل: المرأة تغطي وجهها وإذا غطَّت وجهها عند الرجال لا يسحى من هذا الفعل فتفعله وهكذا.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ اَلنَّاسُ مِنْ كَلَامِ اَلنُّبُوَّةِ اَلْأُولَى**) يدل على أنَّ محاسن الأخلاق ممَّا اتَّفقت عليه النُّبوات والرُّسل، ومنه الصدق والكرم والحياء.

المسألة الثانية: قوله: (**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ اَلنَّاسُ مِنْ كَلَامِ اَلنُّبُوَّةِ اَلْأُولَى**) يدل على حفظ الله للصفات التي كان يأمر بها الأنبياء؛ فدلَّ على أنَّ الله تكفَّل بالدين الذي ينفع الناس.

المسألة الثالثة: قوله: (**مِنْ كَلَامِ اَلنُّبُوَّةِ اَلْأُولَى**) يدل على كثرت الأنبياء قبل النَّبيِّ ﷺ.

المسألة الرابعة: قوله: (**مِنْ كَلَامِ اَلنُّبُوَّةِ**) يدل على أنَّ الأنبياء نصحوا أقوامهم بكلامٍ كثيرٍ ينفعهم في دينهم ودنياهم.

المسألة الخامسة: قوله: (**اَلْأُولَى**) يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ ختم النُّبوات، فنبوته هي الأخيرة.

المسألة السادسة: قوله: (**إِذَا لَمْ تَسْتَحِيِ؛ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**) بهذا اللَّفظ عدَّة معاني منها:

المعنى الأول: التَّهديد كقوله سبحانه: ﱡ بي تر **تز تم** تن تى تي ﱠ فكأنَّك تقول للذي لا يستحي: اعمل ما شئت سوف تعاقب عليه.

والمعنى الثاني: الخبر يعني: إذا لم تستحي اعمل ما شئت سوف الناس ينتقدونك.

والمعنى الثالث: معناه أنَّ أيَّ أمرٍ لا يستحى منه فافعله مثل: الصلاة لا يستحى منها افعلها وهكذا، والضابط فيه: أنَّ كلَّ ما شرعه الله لا يستحى منه.

١٣١٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلْمُؤْمِنُ اَلْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ مِنْ اَلْمُؤْمِنِ اَلضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ; فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: لبيان أنَّ من أسباب كمال الأخلاق كمال الإيمان.

قال: (**اَلْمُؤْمِنُ اَلْقَوِيُّ**) أي: في إيمانه (**خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ مِنْ اَلْمُؤْمِنِ اَلضَّعِيفِ**) أي: الضعيف في إيمانه، (**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**) أي: فيمن إيمانه قوي وضعيف؛ لأنَّ أصل الإيمان معهما وكلٌّ منهما موعود بالجنة لكن كمال الإيمان قد يدخل به الإنسان الجنة بغير حساب ولا عذاب وتزيد مرتبته في الجنة.

(**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ**) أي: لا تضعف (**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ**) أي: لا تضعف وتقل (**لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ**) أي: هذا ما قدَّره الله، أو قَدَرُ الله أي: هذا هو قدر الله الذي قدَّره الله عليَّ (**وَمَا شَاءَ فَعَلَ**) أي: الله - سبحانه وتعالى -.

وهذا الحديث العظيم بالعمل به - بإذن الله - سعادة الدنيا والآخرة، ففيه إرشاد لما يعمله الإنسان في حياته، وكيف يصنع مع المصائب والمصاعب؟ ويدل على عدة مسائل:

المسألة الأولى قوله: (**اَلْمُؤْمِنُ اَلْقَوِيُّ**) يدل على أنَّ الإيمان يزيد في قلوب الناس وينقص، وبزيادته يقوى إيمانه.

المسألة الثانية: قوله: (**خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ**) يدل على أنَّ المؤمن القويَّ أفضل عند الله من ضعيف الإيمان.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَأَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ**) يدل على أنَّ الله يحبُّ المؤمن القوي في إيمانه.

المسألة الرابعة قوله: (**مِنْ اَلْمُؤْمِنِ اَلضَّعِيفِ**) يدل على أنَّ الناس يتفاوتون في الإيمان كما يتفاوتون في أجسامهم.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**) هذا يدل على أنَّ مآل الموحدين إلى الجنة وهذا بإجماع أهل العلم، ومن كان منهم من أهل المعاصي ولم يغفرها الله ﷻ فإنَّه يُعذَّب ثم يدخل الجنة.

المسألة السادسة: قوله: (**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**) هذه قاعدة نبوية عظيمة مفيدة؛ لاغتنام الوقت وتخيُّر الأفضل من الأعمال وكذا الأشخاص.

المسألة السابعة: يدل أنَّ على المسلم أنْ يطلب معالي الأمور فيما يقرأ وفيما يحفظ، وفيمن يصاحب وفيما يعمل من الصالحات.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**) يدل على أنَّ المرء مهما عمل من الأسباب لن يوفَّق إلَّا باستعانته بالله؛ لضعف ابن آدم عن تحقيق مراده قال سبحانه:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وفي كلِّ ركعةٍ من الصلوات تعاهد ربك بأداء ذلك معه سبحانه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**) يدل على أنَّ الاستعانة عبادةٌ من العبادات لا تُصرف إلَّا لله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَلَا تَعْجَزْ**) يدل على أنَّ الإنسان قد يواجه في هذه الحياة مصاعب لكنَّ المؤمن عنده هذا الحديث، لا يَضْعُف عما أراده لنفسه فطالب العلم لا يضعف عن طلب العلم، ولا يَضْعُف أيضاً عن تلاوة القرآن وهكذا.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا**) يدل على أنَّ المؤمن لا يندم على ما قدَّره الله ﷻ عليه ولو فيما يسوؤه قال النَّبيُّ ﷺ: ((عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير)).

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**) يدل على أنَّ المؤمن يُسلِّم لما قضاه الله ﷻ عليه، وهذا من كمال الإيمان.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**وَمَا شَاءَ فَعَلَ**) يدل على أنَّ ما يقع على المؤمن بمشيئة الله، وإذا أيقن المؤمن بأنَّ الله أرحم به من نفسه رَضِيَ وسَلَّمَ، فقد يكون الله ﷻ مدخراً لك ثواباً عظيماً في الآخرة لا تعلمه؛ بسبب المصائب التي أُصِبت بها.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ**) يدل على أنَّ من مصائد الشيطان التي يسعى إليها لإضعاف المؤمن عن الطاعة إدخال الحزن عليه؛ لذلك كان النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذ في أول النهار وآخره من الحزن ((اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحزنِ)).

المسألة الخامسة عشرة: ممَّا يفتح باب الشيطان للمؤمن المصاب بالمصيبة كلمة ((لو)) وهي تمنِّي ما كان قبل المصيبة؛ ليحذر المصيبة وهذا فيه جزعٌ على القضاء والقدر.

١٣١٦- وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: الحثِّ على التَّواضع.

قال: (**إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ**) سواء وحياً بالمنام أو وحياً ألقاؤه جبريل إليه (**أَنْ تَوَاضَعُوا**) التَّواضع: هو خفض الجناح ولين الجانب في حقِّ المخلوقين، والتَّواضع في حقِّ الله قبول النُّصوص والاستسلام لها وعدم ردِّ شيءٍ منها.

قال: (**حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ**) البغي: هو الظلم والاستطالة (**عَلَى أَحَدٍ**) بغير حقٍّ مثل: أنْ يتباهى رجلٌ بمالٍ وهو فقيرٌ، (**وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ**) الفخر: هو الاعتزاز بالفضائل (**عَلَى أَحَدٍ**) مثل: افتخاره بالمال أو الجاه ونحو ذلك كافتخار الغني بالمال وكلاهما محرمٌ أي: الفخر أو البغي كما سيأتي.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ**) يدل على عظم أهمية التَّواضع؛ فالنَّبيُّ ﷺ يقول: لم أقلْ ذلك من تلقاء نفسي وإنَّما أوحى الله إليَّ، علماً بأنَّ ما يقوله وحيٌ لكنْ أكَّد ذلك؛ لأهمية التَّواضع.

المسألة الثانية: قوله: (**أَنْ تَوَاضَعُوا**) التَّواضع هو سبب دخول الجنة، فالمؤمن تواضع لأوامر الله وتواضع لخلقه؛ فدخل الجنة.

والكِبر هو أصل الكفر وهو سبب دخول النار قال سبحانه عن إبليس: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ فإبليس تكبَّر وتعالى عن أمر الله.

المسألة الثالثة: قوله: (**أَنْ تَوَاضَعُوا**) التَّواضع لله بفعل أوامره بذل وخضوع سبب رفعة المرء كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((وما زاد الله عبداً بالتَّواضع إلَّا عزَّاً)) والتَّواضع في حقِّ المخلوقين سبب سماع الحق ويُثمر محبة الآخرين له، أي: أنَّ الكبر لا فائدة منه مطلقاً.

المسألة الرابعة: قوله: (**حَتَّى**) يدل على أنَّ العلَّة في تحريم الكبر هو البغي والفخر.
المسألة الخامسة: قوله: (**حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**) يدل على أنَّ الظلم سببه الكبر.
مثالُ ذلك: رجلٌ ذو جاهٍ وعند غيره مال وهو ضعيف صاحب المال فيأخذ المال منه بسبب الكبر.
المسألة السادسة: قوله: (**وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**) يدل على أنَّ من أسباب تحريم الكبر هو الفخر وهو التَّعالي والتَّعاظم بما عند الإنسان من النِّعم، أما التَّحدث بنعمة الله سواء في الدين أو الدنيا فليست من البغي ولا من الفخر، وضابطها: أنْ يذكر النِّعم عند غيره غير مباهٍ بها فيقول مثلاً: الحمد لله الله هدانا بعد الضَّلالة، ويقول: الحمد لله الله رزقني سيارة استعين بها على طاعة الله، وكذا يلبس ثوباً جديداً لا للمباهاة وهكذا.

١٣١٧- وَعَنْ أَبِي اَلدَّرْدَاءِ، عَنْ اَلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ؛ رَدَّ اَللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ اَلنَّارَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ.
ساق المصنِّفُ هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ من مكارم الأخلاق الدِّفاع عن عرض الإنسان وهو غائبٌ.
وذكر المصنِّفُ حديث أبي الدَّرداء وأشار إلى رواية: أسماء؛ لكون الحديثين ضعيفين.
قال: (**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ**) أي: دافع عنه (**بِالْغَيْبِ**) ليست هذه اللَّفظة عند التَّرمذي، قال: (**رَدَّ اَللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ اَلنَّارَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) أي: لن تمس النار وجهه.
قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ**) وضابط التِّرمذي أنَّه إذا قال: ((حديثٌ حسنٌ)) يعني: ضعيف وهو حسنٌ إذا أتى طريقٌ آخر يقويه، فهذا معنى حسنٌ عند التِّرمذي.
قال: (**وَلِأَحْمَدَ - مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ -: نَحْوُهُ**) ولفظه: ((من ذبَّ عن لحم أخيه؛ أعتق الله وجهه من النار))، وهذا الحديث وإنْ كان ضيعفاً له أصلٌ وهو ((الدينة النَّصيحة)) وحديث أبي سعيد: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده... إلى آخره)).
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ**) يدل على أنَّ مَن سمع رجلاً يغتاب آخر؛ فيجب على مَن يقدر عن الدِّفاع عنه أنْ يدافع عنه.

المسألة الثانية: قوله: (**رَدَّ ٱللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ ٱلنَّارَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ**) يدل على أنَّ الجزاء من جنس العمل فردَّ عرض أخيه عن الغيبة وذِكرِ المساوئ فيه؛ فردَّ الله وجهه عن النار.

المسألة الثالثة: إذا كان هذا الفضل فيمن منع المغتاب؛ فدلَّ على أنَّ عدم الغيبة أفضل، ويدل أيضاً على أنَّ المغتاب إثمه عظيمٌ عند الله - سبحانه وتعالى - حيث رتَّب ثواباً كثيراً على من منعه من الغيبة.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ مَن سمع غيبةً في مجلس وجب عليه أنْ ينكر، فإنْ لم يستطع يخرج من ذلك المجلس إنْ استطاع، وإذا لم يستطع أنْ يخرج من المجلس ينكر بقلبه.

١٣١٨- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ ٱللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ ﵀ هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: فضلُ العفو عن الآخرين وأنَّه من مكارم الأخلاق.

قال: (**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**) وعدم النَّقص هنا إما حقيقةً كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ أو بالبركة فيما بقي، وقد يجمع الله ﷻ الأمران في ذلك.

قال: (**وَمَا زَادَ ٱللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ**) العفو: هو المسامحة عن أخطاء الآخرين في حقك (**إِلَّا عِزّاً**) أي: أنَّ العفو والصفح عن الآخرين لا يزيدك إلَّا عزّاً.

قال: (**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ**) التَّواضع: إما أنْ يكون في حقِّ الله بقبول النُّصوص أو في حقِّ الآخرين بلين الجانب لهم، وفسَّر النَّبيُّ ﷺ هذين الأمرين بقوله: ((الكبر بطر الحق)) أي: ردُّه ((وغمط الناس)) أي: احتقارهم.

وجمع النَّبيُّ ﷺ بين هذه الأمور الثلاثة؛ لما يظنُّ أنَّ كلَّ فعلٍ من هذه الأفعال الحميدة منقصة، فالصدقة والعفو والتَّواضع قد يظنُّ أنَّ فيها قلَّةٌ فأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ في جميع هذه الثلاثة عكس ذلك.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)** يدل على فضل الله ﷻ العظيم؛ إذْ عرض نفسه لإقراض عباده له وهو الذي رزقهم ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾.

المسألة الثانية: أنَّ عدم الإنفاق من الفحشاء قال سبحانه: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ وباتِّفاق المفسرين أنَّ المراد بالفحشاء هنا: البُخل ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ الأمور ليست على ظاهرها وإنَّما هي بضدِّ ذلك، فالصدقة تزيد بالمال وهذا من آيات الله العظيمة.

المسألة الرابعة: هذا فيه حثٌّ على الصدقة؛ فإنَّ كلَّ ما تبذله مخلوفٌ، وورد أنَّه مخلوفٌ ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ وقد يضاعفه الله ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: **(وَمَا زَادَ اَللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً)** يدل على أنَّ من أسباب العزة للإنسان عفوه عن غيره مع أنَّه يجوز أنْ يأخذ حقه كما سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ لكن كما قال الله: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ الجالب لعزة الإنسان هو الطاعة فقط، فمن اعتزَّ بماله في حرام فهو ذلٌّ قال سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: العزة في طاعته.

المسألة السابعة: قوله: **(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ)** يدل على أنَّ التَّواضع رفعةٌ، فالمسلم لما تواضع لله رفعه الله في الجنَّات، وإذا تواضع للخلق رزقه الله ﷻ مودتهم مع الأجر العظيم.

المسألة الثامنة: يدل على أنَّ من أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة التَّواضع.

١٣١٩- وَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ! أَفْشُوا اَلسَّلَامَ، وَصِلُوا اَلْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا اَلطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا اَلْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أعمال كريمة تدخل الجنة.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ!**) يدل على أنَّ دعوة النَّبيِّ ﷺ عامة للخلق.

المسألة الثانية: قوله: (**أَفْشُوا اَلسَّلَامَ**) أي: أظهروه؛ فدلَّ على أنَّ إظهار السلام من أسباب دخول الجنة، وفي الدنيا من أسباب المحبة بين الناس ((أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)).

المسألة الثالثة: قوله: (**وَصِلُوا اَلْأَرْحَامَ**) ببذل الإحسان لهم، وكفُّ الأذى عنهم، وصلتهم بالزيارة ونحو ذلك من الهدايا والاجتماع وغير ذلك.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ صلة الرحم من مكارم الأخلاق وأنَّها موجبةٌ للجنة، بل هي من أسباب طول العمر وكثرة المال كما قال عليه الصلاة والسلام في البخاري: ((من أحبَّ أنْ يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره؛ فليصل رحمه)).

المسألة الخامسة: قوله: (**وَأَطْعِمُوا اَلطَّعَامَ**) يدل على أنَّ بذل الطعام للآخرين ممَّا حثَّ عليه النَّبيُّ ﷺ ويوجب الجنة قال سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ الله قال: ﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾ لما أطعموا الله جزاؤهم بشرابٍ طهورٍ في الجنة.

المسألة السادسة: قوله: (**وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**) يدل على فضل صلاة الليل لعموم الناس وخاصةً طالب العلم يحتاج إليه والدَّاعية؛ لأنَّ قيام الليل يهوِّن المصائب، في أول دعوة النَّبيِّ ﷺ لما قد سيلاقيه من المصاعب قال الله له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ أفضل قيام الليل والناس نائمون، وبيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ أفضله الثلث الآخر من الليل الذي يعرض الله سبحانه فضله وكرمه على عباده.

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ**) لكنّ التِّرمذيﷺ لم يذكر لفظة: ((وَصِلُوا اَلْأَرْحَامَ)) وإنَّما هي عند الإمام أحمد؆.

١٣٢٠- وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ؆ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ: ((اَلدِّينُ اَلنَّصِيحَةُ - ثَلَاثًا -، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اَللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّف؆ هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ نصح الآخرين من مكارم الأخلاق.

قال: (**اَلدِّينُ اَلنَّصِيحَةُ**) أي: أنَّ عماد الدِّين وأساس الدِّين مبني على النَّصيحة، والنَّصيحة: بذلُ الخير للغير (**ثَلَاثًا**) رواية مسلم التي ساقها المصنِّفُ ليس فيها ثلاثاً وإنَّما ((اَلدِّينُ اَلنَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اَللَّهِ؟)) وثلاثاً عند التِّرمذي؆ ولفظه: ((ثلاث مرارٍ)) (**قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اَللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ**) أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسولهﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وتحقيق توحيد الألوهية والربوبية، وطاعته سبحانه واجتاب مناهه، (**وَلِكِتَابِهِ**) أي: تلاوة كتاب الله والعمل بما فيه والإيمان به، (**وَلِرَسُولِهِ**) أي: كذلك الإيمان برسوله وطاعته، (**وَلِأَئِمَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ**) كلُّ من ولِّي ولايةً سواء كانت عامة كالإمام الأعظم أو خاصة كالمعلم ونحو ذلك، (**وَعَامَّتِهِمْ**) أي: من كان يتبعون أهل العلم ممَّن هم قليلوا العلم.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلدِّينُ اَلنَّصِيحَةُ**) يدل على آيةٍ من آيات النَّبِيِّﷺ وهي الإيجاز في العبارة مع كثرة المعاني.

المسألة الثانية: ذكر بعض أهل العلم كالنَّووي؆ أنَّ مدار جميع أحاديث هذا الدين على هذا الحديث: ((اَلدِّينُ اَلنَّصِيحَةُ)).

المسألة الثالثة: قوله: (**اَلدِّينُ**) يدل على أنَّ قِوام الدين بنشره واتِّباع الناس له إنَّما هو بالنَّصيحة.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَلنَّصِيحَةُ**) يُشترط في النَّاصح الصدق في النَّصيحة، وسلامة الصدر فلا يكون غاشاً لغيره أو يكذب عليه.

المسألة الخامسة: تكون النَّصيحة أوجب إذا طلبها غيرك منك؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((وإذا استنصحك فانصح له)).

المسألة السادسة: قوله: (**اَلنَّصِيحَةُ**) يدل على أنَّ كلَّ وسيلةٍ من وسائل الدَّعوة إلى الله فهي نصيحة مثل: التَّعليم سواء بالقول، أو أنْ يعلِّم الأب ابنه الصغير الصلاة أو يذهب به إلى المسجد، أو بإنكار المنكر هذه نصيحة، أو بالوعظ، أو بالخَطابة، أو الكتابة ونحو ذلك.

المسألة السابعة: قوله: (**لِلَّهِ**) يدل على أنَّ من أطاع الله - سبحانه وتعالى - فقد نصح لنفسه، ومن ابتعد عن الله فقد غشَّ نفسه قال سبحانه: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴾.

المسألة الثامنة: قوله: (**لِلَّهِ**) من واجبات المخلوق تجاه الخالق - سبحانه وتعالى - إفراده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات والطاعة.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَلِكِتَابِهِ**) يدل على أنَّ من نصح المسلم لكتاب الله نشره بين الناس، وتعليمه، والعمل بما فيه.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَلِرَسُولِهِ**) دلَّ على أنَّ النَّبيَّ ﷺ له حقوقٌ، وحقَّه أنْ يطاع قال سبحانه: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ ﴾.

المسألة الحادية عشرة: قوله: (**وَلِأَئِمَّةِ اَلْمُسْلِمِينَ**) يجب الرعية أنْ ينصحوا لإمامهم، ونصحهم لإمامهم بثلاثة أمور:

الأمر الأول: نصيحتهم.

والأمر الثاني: الدُّعاء لهم.

والأمر الثالث: عدم الخروج عليهم.

فمن أدَّى هذه الأمور الثلاثة فقد نصح لإمامه، وكذا من النصح نصح كلَّ من تقلَّد أمراً للمسلمين كرئيس دائرةٍ ونحوه، فيجب أنْ ننصحه إذا رأينا منه زللاً.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَعَامَّتِهِمْ**) يدل على أنَّ الإسلام لا يحتقر أحداً حتى العامي يجب أنْ ننصحه، وقد يكون هذا العامي في الفردوس الأعلى بعض نُصحه.

المسألة الثالثة عشرة: من نصح العامي تعليمه والصبر عليه.

المسألة الرابعة عشرة: يدل هذا الحديث على أنَّ الإسلام يسعى لمجتمعٍ متآلفٍ متاحبٍّ، من أسباب المحبة أنَّ من رأى على أخيه خللاً يُنبِّهه لذلك بالنَّصيحة له بالحكمة والسِّرِّ.

المسألة الخامسة عشرة: ليس من النَّصيحة الفضيحة بين الناس سواء ما كان في حقِّ الإمام فلا يجوز أنْ تُذكر أخطاؤه بين الناس، ولا في حقِّ الأفراد لا يجوز أنْ يوبَّخ المرء أمام الناس قال الشَّيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: ((ومن فعل ذلك)) أي: إظهار أخطاء الإمام أمام الناس ((فهو جاهلٌ)).

١٣٢١- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ اَلْجَنَّةَ: تَقْوى اَللَّهِ، وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ حُسْنَ الخلق من مكارم الأخلاق.

قال: (**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ اَلْجَنَّةَ: تَقْوى اَللَّهِ**) وهي فعل الطاعة وترك المحرم، (**وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ**) وتتمَّة الحديث: ((وأكثر ما يدخل الناس النار: اللِّسان، والفرج))

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ اَلْجَنَّةَ**) يدل على أنَّ صفاتٍ يكثر اشتراكها بين الناس وهي مع الإيمان حُسْنُ الخلق.

المسألة الثانية: قوله: (**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ اَلْجَنَّةَ**) فيه حثٌّ على سلوك تلك الصفات.

المسألة الثالثة: قوله: (**تَقْوى اَللَّهِ**) وهي ركنٌ، وهي شرطٌ في دخول الجنة قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ فلو كان شخصٌ حَسَنُ الخلق بلا إيمان لا ينفعه ذلك.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ**) حُسْنُ الخلقِ يشمل ثلاثة أشياء: بذل المعروف، وكفُّ الأذى، وطلاقة الوجه.

والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الآخر: ((إنَّ الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم)) وفي الحديث الآخر: ((أقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)).

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ**) وهذا الحديث فيه ضعفٌ.

١٣٢٢- وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ اَلنَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ بَسْطُ اَلْوَجْهِ، وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ)) أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ بشاشة الوجه من مكارم الأخلاق.

قال: (**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ اَلنَّاسَ**) أي: لا تستطيعون أنْ تعطوا الناس جميعاً (**بِأَمْوَالِكُمْ**)؛ لكثرة الناس وقلَّة أموالكم (**وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ**) أي: يكفيهم (**بَسْطُ اَلْوَجْهِ**) أي: بشاشته وطلاقته، (**وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ**) هذا من عطف العام على الخاص أي: أنَّ بسط الوجه جزءٌ من حُسْنِ الخلق.

قال: (**أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ**) والحديث فيه ضعفٌ لكن دلَّ عليه حديثٌ صحيحٌ وهو ((لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أنْ تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ)).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ اَلنَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ**) على فقر العباد، وأنَّهم مهما كثرت أموالهم فهي قليلة.

المسألة الثانية: قوله: (**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ اَلنَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ**) ليست العبرة في محبة الناس للآخرين بالمال فقط وإنَّما هناك الدين، وحُسْنُ الخلق كما سيأتي.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ بَسْطُ اَلْوَجْهِ**) يدل على أنَّ البشاشة في الوجه تأخذ قلوب الناس أكثر من المال؛ لأنَّ إقبالهم للمال فحسب وليس لذاتك، أما حُسْنُ الخلق فيحبُّنك لذاتك.

المسألة الرابعة: قوله: (**بَسْطُ اَلْوَجْهِ**) يدل على أنَّ تأثير البشاشة والابتسامة على الناس أشدُّ تأثيراً من المال.

المسألة الخامسة: يدل على يُسر الإسلام، فيكسب المسلم حسنات من غير دفع مالٍ ولا عبادةٍ شديدةٍ، وإنَّما بابتسامة.

المسألة السادسة: قوله: (**وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ**) هذه اللَّفظة ليست عند أبي يعلى وإنَّما هي عند الإمام أحمد رحمه الله؛ لذلك ذكر المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث بسط الوجه بعد الحديث السَّابق في حُسْنِ الخلق، فهو كأنَّه يقول: أنَّ من أحسن صفات الأخلاق بسط الوجه.

المسألة السابعة: يدل هذا الحديث على حرص الإسلام على تآلف الناس ومحبَّتهم ومن ذلك: البشاشة في الوجه؛ لأنَّ المسلم يؤجر عليها.

المسألة الثامنة: يدل على كرم الله سبحانه؛ فبالابتسامة يؤجر المسلم ((ولو أنْ تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ)).

١٣٢٣- وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ اَلْمُؤْمِنِ)) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ صدق النصح ببيان العيوب الخفية للمؤمن من مكارم الأخلاق.

قال: (**اَلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ اَلْمُؤْمِنِ**) يعني: أنَّ المؤمن الآخر مثل: الآلة وهي المرآة التي يرى بها نفسه بما لا يراه بالعين المجرَّدة. قال: (**أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ**) ضعَّف المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في غير هذا الكتاب أحد رواته.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلْمُؤْمِنُ مِرْآةُ اَلْمُؤْمِنِ**) يدل على أنَّ الإنسان فيه عيوب لكن لا يراها.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ الذي يبيِّن هذه العيوب لصاحبها بالنَّصيحة سراً لتكمل الصفات في المؤمن.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ المؤمن هو أصدقُ وأنصحُ الناس للآخرين؛ لما يعلم من ثواب النَّصيحة.

١٣٢٤- وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلْمُؤْمِنُ اَلَّذِي يُخَالِطُ اَلنَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ؛ خَيْرٌ مِنْ اَلَّذِي لَا يُخَالِطُ اَلنَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)) أَخْرَجَهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ اَلتِّرْمِذِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ اَلصَّحَابِيَّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّ الصبر على أذى الآخرين من مكارم الأخلاق.

قال: (**اَلْمُؤْمِنُ اَلَّذِي يُخَالِطُ اَلنَّاسَ**) أي: يختلط بهم ويجالسهم وينصحهم (**وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**) بسبب نصحهم لهم (**خَيْرٌ**) لفظ ابن ماجه الذي ذكره المصنِّفُ ليس فيه ((خيرٌ)) وإنَّما ((أعظمُ أجراً)) واللَّفظ الذي ساقه المصنِّفُ هو لفظ البخاري في الأدب المفرد، (**مِنْ اَلَّذِي لَا يُخَالِطُ اَلنَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**).

قال: (**أَخْرَجَهُ اِبْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ**) فيه عبدالواحد بن صالح قال عنه المصنِّفُ: مجهولٌ (**وَهُوَ عِنْدَ اَلتِّرْمِذِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ اَلصَّحَابِيَّ**) وورد عند ابن ماجه والبخاري أنَّ الصحابي هو ابن عمر ولا يضرُّ جهالة الصحابي؛ لعدالتهم جميعاً، ولفظ التِّرمذي: المؤمن بدل كلمة المسلم، وإسناد التِّرمذي صحيح.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلْمُؤْمِنُ اَلَّذِي يُخَالِطُ اَلنَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**) يدل على أنَّ مخالطة الناس في حال عدم وجود فتنٍ كثيرةٍ أفضل من العزلة.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ الذي يخالطهم في عدم وجود فتنٍ كثيرةٍ أفضل للَّفظة التي بعده ((وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)) أي: أنَّ الصبر مع الدعوة مع عدم الفتن الكثيرة أفضل.

المسألة الثالثة: إذا كثرت الفتن والعياذ بالله وتعذَّر إصلاحها فالأفضل العزلة؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: ((يوشك أنْ يكون خير عمل المسلم غنم يتتبع به شعف الجبال)) يعني: يعتزل الناس، وفي حديث حذيفة في المسند قال: ((فالزم جماعة المسلمين وإمامهم)) يعني: عند عدم الفتن المستعصية.

المسألة الرابعة: طالب العلم إذا كان مؤثراً في المجتمع صبره عليهم وتعليمهم لهم أفضل؛ لئلا يتضرر المجتمع من عدم بيان الصواب لهم.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**) يدل على فضيلة الصبر عند ظهور المعاصي.

المسألة السادسة: قوله: (**خَيْرٌ**) يدل على أنَّ المؤمنين يتفاضلون بالخيريَّة، وفي لفظٍ: ((أعظمُ أجراً)) ومن عَظُمَ أجره كان خيراً.

المسألة السابعة: قوله: (**مِنْ اَلَّذِي لَا يُخَالِطُ اَلنَّاسَ**) يدل على أنَّ العزلة لا تشرع إذا لم تظهر الفتن الكثيرة لعامة الناس، أما الذي يبيِّن للناس كطالب العلم فيخالطهم إلَّا إذا ظهرت الفتن الكبار - والعياذ بالله -.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**) يدل على ذمِّ المؤمن الذي لا يصبر على تعليم عامة الناس بل يجب عليه أنْ يصبر قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: علموا الناس ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ يعني: صبروا عليهم بالتعليم، أو ما قد يُلاقونه من أذيَّةٍ.

١٣٢٥- وَعَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي)) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّان.

ساق المصنِّفُ ؒ هذا الحديث في باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق؛ لبيان: أنَّه يُستحب للمسلم أنْ يدعو ربَّه بحُسْنِ الخلق.

قال: (**رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّان**) وفيه ضعفٌ، لكنْ يشهد له الحديث الآخر ((اللَّهُمَّ اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي إلى أحسنها إلاَّ أنت))

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي**) يدل على أنَّ من آداب الدُّعاء أنْ يثني الدَّاعي على الله ﷻ بما منَّ عليه من النِّعم مثل أنْ يقول الشخص: يا رب أنت متَّعتني بالعافية فاجعلني طالب علمٍ، وكما قال زكريا ؈: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ يعني: يا رب أنت لا تردَّ ليَّ دعوة فأجب دعوتي.

المسألة الثانية: قوله: (**فَحَسِّنْ خُلُقِي**) يدل على أهمية حُسْنِ الخلق لذا: يُشرع للإنسان أنْ يدعو أنَّ الله يرزقه حُسْنَ الخلق؛ لما فيه من الأجر العظيم.

المسألة الثالثة: أولى الناس بحُسْنِ الخلق هم أهل العلم؛ لكونهم قدوةً للآخرين فهم الذين يظهرون الصورة المشرقة للإسلام.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ المصلح لظواهر الأمور وبواطنها هو ربُّ العالمين، وأنَّه يجب التَّعلق به - سبحانه وتعالى -، وندعوه بصلاحهما.

ويكون المصنِّفُ ؒ بهذا قد انتهى من باب التَّرغيب في مكارم الأخلاق، ويليه بإذن الله بعد ذلك باب الذكر والدعاء.

(بَابُ ٱلذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ)

هذا هو آخر باب في هذا الكتاب العظيم، وجعله آخر بابٍ؛ ليذكِّر طالب العلم بأنَّ عليه أنْ يكثر من ذكر الله؛ لأنَّ فيه الفلاح، وليكثر من الدُّعاء أنْ يُثبِّته الله على هذا الدين، وأنْ يرزقه العلم النَّافع والعمل الصالح.

١٣٢٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((يَقُولُ ٱللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ ٱلْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ الله - سبحانه وتعالى - مع الذَّاكرين، والمراد بالمعية هذه: هي المعية الخاصة وهي المعية المحمودة.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(يَقُولُ ٱللَّهُ تَعَالَى)** فيه إثبات الكلام لله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ القرآن ليس هو جميع كلام الله - سبحانه وتعالى - بل هو من كلام الله، فمن كلام الله القرآن العظيم، ومن كلام الله الحديث القدسي، ومن كلام الله - سبحانه وتعالى - أوامره بتدبير الكون قال سبحانه: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: **(أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي)** يدل على إثبات المعية لله - سبحانه وتعالى - وهي لا تنافي فوقيَّته، فالقمر فوقك وهو معك وأنت سارٌ فما ظنُّك بالله الذي قال عن نفسه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: **(مَا ذَكَرَنِي)** يدل على فضيلة الذِّكر، ويكفي فيه شرفاً أنَّ الله عز وجل معك يؤيِّدك، وينصرك، ويُسدِّدك، ويوفِّقك ما دمت ذاكراً له.

المسألة الخامسة: أنَّ مَن ذكر الله ذكره سبحانه في ملأ خير منه وهم الملائكة، فإذا أثنيت على الله - سبحانه وتعالى - وذكرته أثنى الله عز وجل عليك في السماء.

المسألة السادسة: قوله: (**وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**) هذا الحديث فيه ضعفٌ، وذكر المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث باللَّفظ مع الحديث الآخر الصحيح أنا مع عبدي إذا ذكرني؛ ليبيِّن أنَّ المراد بالذِّكر هو الذي يكون باللسان بتحريك الشَّفتين وليس التَّدبر بالقلب.

المسألة السابعة: إذا لم تتحرك الشَّفتان وهو الضابط، وجعل بعضهم الضابط فيه تحريك اللسان فإذا خلا من ذلك لم يكن ذكراً وإنَّما هو تدبرٌ وتفكرٌ، وكذا مَن يقرأ القرآن بعينيه ولا يحرك لسانه لا يُسمَّى تالياً للقرآن ولا ينال فضل تلاوته، وإنَّما لا بدّ من تحريك الشَّفتين.

١٣٢٧- وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اَللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اَللَّهِ)) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ الذِّكر ينجي من عذاب الله.

والحديث فيه ضعفٌ وهو يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ**) يدل على تفاضل الأعمال عند الله - سبحانه وتعالى - فبعضها أفضل من بعض، وبعضها أسرع نجاةً من عذاب الله من غيره وهكذا، والمؤمن يعمل أعلى الأشياء من العبادات.

المسألة الثانية: قوله: (**أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اَللَّهِ**) من المنجيات الصدقة، ومن المنجيات أيضاً برُّ الوالدين وصلة الرحم، وقضاء حاجات الناس كما في حديث خديجة رضي الله عنها لما نزل الوحي على النَّبيِّ ﷺ قالت: ((كَلَّا! وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)) ومن المنجيات أيضاً ذكر الله - سبحانه وتعالى - ومنه الاستغفار قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: (**مِنْ عَذَابِ اَللَّهِ**) يدل على أنَّ المسلم قد يعذِّبه الله - سبحانه وتعالى -، فهذا الحديث للمسلمين وليس للذين يذكرون الله، ومن أمن من عذاب الله يوشك أنْ يحلَّ به.

المسألة الرابعة: قوله: (**أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اَللَّهِ**) لا أحد يستطيع أنْ يحصر عذاب الله - سبحانه وتعالى -.

قال سبحانه: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ الآية، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ فيجب على الإنسان أنْ يكثر من ذكر الله؛ لئلا يحيط العذاب وهو لا يشعر.

المسألة الخامسة: أمر الله سبحانه بالإكثار من ذكره وأخبر أنَّه سبيل الفلاح قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

والله ﷻ ذمَّ مَن لم يذكره إلَّا قليلاً فكيف بمن ترك ذكره؟! قال سبحانه عن حال المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

١٣٢٨- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اَللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

ساق المصنِّف ﵀ هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: فضيلة مجالس الذِّكر.

وهذا اللَّفظ الذي ساقه المصنِّف ﵀ هو لفظ ابن ماجه؛ لأنَّ لفظ مسلم فيه فضلٌ رابعٌ ولفظه: ((وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلَّا نزلت عليهم السكينة)). في هذا الحديث لم يذكر المصنِّف ﵀ ((نزلت عليهم السكينة)).

قال: (**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اَللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**) الحف: الإحاطة والقرب من الجالسين مِن قِبَلِ الملائكة، أي: أنَّها قريبةٌ منهم جداً بل حافةٌ بهم شبه التصاق، (**وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**) أي: أحاطت بهم الرحمة ونزلت عليهم، (**وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ**) أي: بالثناء عليهم (**فِيمَنْ عِنْدَهُ**) أي: في الملأ الملائكة التي في السماء.

وهذا الحديث العظيم يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اَللَّهَ**) يدل على فضيلة هذا المجلس العظيم وهو مجلس الذِّكر سواء كان لتلاوة القرآن، أو لقراءة السُّنَّة، أو لكتب أهل العلم فهي من الذِّكر وهي الدَّالة على الذِّكر.

المسألة الثانية: قوله: (**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً**) يدل على قلَّة تلك المجالس كأنَّه يقول: متى يجلس هؤلاء القوم حتى تحفُّهم الملائكة؟

المسألة الثالثة: يدل على حبِّ الملائكة لتلك المجالس.

المسألة الرابعة: يدل على حبِّ الملائكة لذكر الله - سبحانه وتعالى - والذَّاكرين.

المسألة الخامسة: قوله: (**إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**) وفي رواية: ((ينادي بعضهم بعضاً هلموا لحاجتكم)) وفي الصحيحين: ((إلاَّ قعد معهم الملائكة، وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم منهم إلى السماء الدنيا)) وهذا توقيرٌ وتوجيلٌ لطلبة العلم ومن يحضر مجالس الذِّكر.

المسألة السادسة: يدل على فرح الملائكة بتلك المجالس؛ لأنَّ فيها تعظيم اللهﷻ، وفيها توقيره - سبحانه وتعالى -.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ الملائكة تبحث عن تلك المجالس؛ لقول النَّبيِّﷺ: ((إنَّ لله ملائكةً سيَّارين في الطريق يتلمسون مجالس الذِّكر)) فعلى المسلم أنْ يفرح فرحاً شديداً أنْ يكون حلقةً من حِلَقِ التَّعليم أو قراءة القرآن، أو السُّنَّة ونحو ذلك.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**) يدل على أنَّ من مواطن نزول رحمة اللهﷻ هي حِلَقِ الذِّكر ودروس العلم.

المسألة التاسعة: يدل على أنَّ المتعلم في حِلَقِ الذِّكر يتعرَّض كلَّ يوم لنفحة من نفحات رحمة الله - سبحانه وتعالى -.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**) يدل على محبَّة الله سبحانه لمن يحضر تلك المجالس حيث يثني عليهم، وأعظم عزٍّ للمسلم أنَّ الله - سبحانه وتعالى - يمدحه عند الملائكة، والله سبحانه لا يمدح إلَّا من يحبُّ.

المسألة الحادية عشرة: قوله في صحيح مسلم: ((ونزلت عليهم السكينة)) أي: حلَّت الطمأنينة والخشوع والذُّل لله على تلك المجالس؛ لذلك ترى طالب العلم فيه من السكينة أو الوقار ما ليس في غيره بسبب ما أنزله الله‌ﷻ عليه في تلك الحِلَقِ.

المسألة الثانية عشرة: فوائد مجالس الذِّكر أربعة أشياء كما جاءت في اللَّفظ الكامل في صحيح مسلم وهي: نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وحفُّ الملائكة، وذكر الله‌ﷻ للحاضرين فيمن عند الملائكة.

وفضلٌ واحدٌ يكفي في مناقب مجالس الذِّكر فما ظنُّك بأربع فضائل في مكان واحد؟!

المسألة الثالثة عشرة: لشرفٌ عظيمٌ لطالب العلم أنْ يسعى إلى ما يحبه الله وما تحبه الملائكة، وإذا أقدم طالب العلم على ذلك فليفرح بحفظ الله له وحفظ الملائكة له من الفتن والشرور والمكاره.

١٣٢٩- وَعَنْهُ‌ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ‌ﷺ: ((مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرُوا اَللَّهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى اَلنَّبِيِّ‌ﷺ؛ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: ((حَسَنٌ)).

ساق المصنِّفُ‌رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: ذمُّ المجالس التي لا يكون فيها ذكرٌ لله.

ولفظ التِّرمذي: ((إلاَّ كان عليهم ترةً يوم القيامة)) والمراد بالترة: النقص، وهذا الحديث فيه ضعفٌ، ويكفي في المجالس التي لا يذكر الله تعالى فيها أنْ فاتهم الفضل العظيم المذكور في الحديث السَّابق.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: يدل على أنَّه يجب على المسلم أنْ يغتنم أوقاته من ذكر الله وتعليم الناس وغير ذلك ولو بشيءٍ يسيرٍ.

المسألة الثانية: يدل على فضل الصَّلاة على النَّبيِّ‌ﷺ لكنْ لم يرد ذكر لفضل الصَّلاة على النَّبيِّ‌ﷺ في مجلس، وكذا لم يصح الصَّلاة على النَّبيِّ‌ﷺ يوم الجمعة فالحديث ضعيفٌ.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ الإنسان يندم يوم القيامة على تفريطه في أوقاته قال سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى

بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ فالمؤمن يندم أنَّه لم يكن تزوَّد في الدنيا للآخرة.

١٣٣٠- وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - عَشْرَ مَرَّاتٍ - كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: فضل الذِّكر بكلمة التَّوحيد. قال: (**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَحْدَهُ**) تأكيدٌ لكلمة الله (**لَا شَرِيكَ لَهُ**) تأكيدٌ لكلمة لا إله، أي: لا إله ولا شريك لأحدٍ إلَّا الله وحده (**- عَشْرَ مَرَّاتٍ - كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ**) أي: من الأرقاء (**مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**) أي: كأنَّما أعتق أربعة رقاب من العرب ممَّن هم من العبيد.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ**) يدل على أنَّ أفضل الذِّكر هو كلمة التَّوحيد، ومن إعجازها أنَّ كلمة ((لا إله إلَّا الله)) جميع حروفها من كلمة ((الله)) فهي لا تتعدَّ حرف الألف أو اللام أو الهاء.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ التَّوحيد من أصل الدخول فيه والبقاء عليه هو التَّكلم بكلمة التَّوحيد، والإكثار منها إكثارٌ من الثَّواب.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**) يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يصحح ويُكمِّل توحيده لله عز وجل باللَّفظ والاعتقاد والعمل.

المسألة الرابعة: ساق شيخ الإسلام رحمه الله الإجماع على أنَّ التَّلفظ بكلمة التَّوحيد مع عدم فهم معناها، أو مع عدم العمل بمقتضاها لا تنفع شيئاً، فلا تنفع إلَّا بالقول بها والعلم بمعناها والعمل بمقتضاها.

المسألة الخامسة: قوله: (**كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ**) يدل على فضل الإعتاق وأنَّ الإسلام يتشوَّف لذلك؛ لذلك رتَّب الله عز وجل عليه ثواباً عظيماً.

المسألة السادسة: قوله: (**كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ**) يدل على تكريم الله - سبحانه وتعالى - لجنس الإنسان، فمن كان رقيقاً حثَّ على رفع درجته بأنْ يكون حراً.

المسألة السابعة: قوله: (**أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ**) يدل على أنَّ الذِّكر أفضل من الصدقة، فقد ساق ابن رجبرحمه الله الإجماع على ذلك.

المسألة الثامنة: قوله: (**أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ**) يدل على عِظَمِ ثواب كلمة التَّوحيد؛ فخلال زمنٍ يسيرٍ يحصل لك ثوابٌ كبيرٌ مع عدم انفاق أيِّ مالٍ فيه.

المسألة التاسعة: قوله: (**مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**) يدل على أنَّه يجوز استرقاء العرب، فإذا قاتل عربٌ عرباً أو عجمٌ عرباً والمقاتلون كفَّار الأسرى من العرب الكفَّار يكونون أرقاء عند المسلمين سواء كانوا المقاتلين عرباً أم عجماً.

المسألة العاشرة: قوله: (**مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**) يدل على أنَّ أنفس الرقاب عند اللهعز وجل هم من كان من العرب؛ فدلَّ على أنَّ عتق العبيد والإيماء من العرب أفضل من غيرهم.

المسألة الحادية عشرة: يدل على أنَّ الناس يتفاضلون في أنسابهم، فإنْ كان صاحب النَّسب مسلماً فقد جمع بين الحسنيين، وإنْ كان المسلم لا نسب له عالٍ فلا يضره ذلك في دينه وإنَّما الذي يضر من كان سافلاً في دينه.

١٣٣١- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِصلى الله عليه وسلم: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ - مِئَةَ مَرَّةٍ -؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُرحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: فضل الذِّكر بكلمة سبحان الله وبحمده.

قال: (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اَللَّهِ**) أي: أنزِّه الله من أمرين:

الأمر الأول: من كلِّ عيبٍ.

والأمر الثاني: من كلِّ نقصٍ.

من كلِّ عيبٍ اتِّخاذ الولد، ومن كلِّ نقصٍ كأنْ ينفى عنه النزول إلى السماء الدنيا أو الكلام.

قال: (**وَبِحَمْدِهِ**) أي: مع تنزيه لك سبحانك أثبت لك جميع المحامد، كأنَّ الذَّاكر يقول: يا رب ليس فيك لا نقص ولا عيب بل فيك كلَّ حمدٍ سبحانه.

وقوله: (**وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ**) وما يخرجه البحر من البياض عند هيجانه ممَّا يدل على كثرته.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) يدل على فضل هذه الكلمة المختصرة العظيمة التي تنفي كلَّ قدحٍ عن الله وتثبت له كلَّ حمدٍ.

المسألة الثانية: قوله: (**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) أي: في يومه قال النَّبيُّ ﷺ: ((من قال في يومه: سبحان الله وبحمده لم يأت أحدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلَّا رجلٌ قال مثل ما قال أو زاد)) أي: لو أنَّ المسلم فرَّق هذا الذِّكر في أول النهار أو أوسطِه أو في آخره ينال ذلك الفضل، والأفضل جمعه مرةً واحدةً أي: يقوله متتالياً.

المسألة الثالثة: قوله: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ**) يدل على أنَّ الله - سبحانه وتعالى - مع عظمته وقدسيته فيه من يطعن فيه؛ فدلَّ جهل الإنسان بربِّه.

المسألة الرابعة: قوله: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ**) يدل على أنَّ البشر إذا كانوا يتجرون على الطعن في الخالق - سبحانه وتعالى -؛ فدلَّ على أنَّهم لا يتورَّعون في الطعن في المخلوق، فمن سمع ذمّاً له من أحد فلا يحزن؛ فالربُّ سبحانه تتطاول عليه بعض الخلق.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَبِحَمْدِهِ**) يدل على حبِّ الله ﷻ للمدح والثناء قال النَّبيُّ ﷺ: ((لا أحد أحبُّ إليه المدح من الله؛ من أجل ذلك مدح نفسه)).

المسألة السادسة: قوله: (**وَبِحَمْدِهِ**) يدل على أنَّ كلَّ مدحٍ وثناءٍ عالٍ في الله ﷻ فهو أكمل المدح أي: أنَّه لا غلوَّ في الله فكلُّ مدحٍ يستحقه الله، أما المخلوق فلا؛ إذْ لا يساوى المخلوق بالخالق.

المسألة السابعة: قوله: (**مِئَةَ مَرَّةٍ**) يدل على دقَّة الإسلام في الأعمال، فمن نقص عن هذا العدد لم ينله ذلك الثَّواب.

المسألة الثامنة: يدل على أنَّ الإكثار من تنزيه الله وحمده من أجلِّ الأعمال؛ لذلك جعل الإسلام العدد فيه كثيراً مئة مرة.

المسألة التاسعة: قوله: (**حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ**) يدل على كرم الله - سبحانه وتعالى -؛ فبألفاظ يسيرة تُغفر ذنوبٌ كثيرة.

المسألة العاشرة: قوله: (**وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ**) يدل على كثرة الذُّنوب عند بعض البشر، فذنوبه توازي زبد بحار الدنيا، وفي الحديث: ((يأتي بالرجل بخطايا أمثال جبال السود)) يعني: من كثرتها.

المسألة الحادية عشرة: على المسلم أنْ يغتنم فضائل الأعمال، والمواظبة عليها مهما أمكن؛ لتكون صحيفة عمله نقيَّةً في كلِّ حينٍ فلا يدري متى يموت.

١٣٣٢- وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ اَلْحَارِثِ ﵂ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ - لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اَلْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ -: سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ ﵀ هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: نوعٍ فاضلٍ من أنواع الذِّكر.

قال: (**لَقَدْ قُلْتُ**) أي: ذكرته الله بنوعٍ من الذِّكر كما سيأتي (**بَعْدَكِ**) أي: بعد أنْ خرجت من بعدك، وأول الحديث: ((أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرج من بيت جويرية بعد الصبح ثم عاد إليها بعد أنْ أضحى - أي: بعد أنِ ارتفعت الشمس -، وجويرية ﵂ في بيت مسجدها تُسبِّح الله ﷿ فقال النَّبيُّ ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات)) واختصر المصنِّفُ ﵀ في هذا اللَّفظ وبعده ((ثلاث مراتٍ)).

قال: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) أي: أنزهك عن المعايب والنَّقائص مع إثبات صفة الحمد لك سبحانك، وأقول هذا (**عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ**) أي: أسبِّحك وأثبت لك المحامد كما ترضا عن عبادك الصالحين، ورضاه عنهم لا ينقطع ولا ينقضي، (**وَزِنَةَ عَرْشِهِ**) أي: أقول ذلك الذِّكر مالئاً زنة العرش، (**وَمِدَادَ**) المداد: ما يُكتب به (**كَلِمَاتِهِ**) المراد: كلام الله أي: لو أنَّ كلام الله نكتبه بمداد أي: بحبر لما انقضت كلمات الله كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ**) يدل على يُسر الذِّكر وأنَّه كلماتٌ معدودة.

المسألة الثانية: يدل على كثرة تعبُّد أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ؛ إذْ جلست في مصلاها بعد الفجر إلى أنْ أضحى النهار يعني: قرابة ثلاثة ساعات تقريباً وهي تُسبح الله وتذكره.

المسألة الثالثة: قوله: (**ثلاث مراتٍ**) يدل على يُسر الذِّكر؛ إذْ لا يتعدَّ ثلاث مرات فقط ولكنَّ ثوابه عظيم.

المسألة الرابعة: قوله: (**لَوْ وُزِنَتْ**) يدل على أنَّ أعمال العباد توزن (**بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اَلْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**) يدل على أنَّ الأعمال تتفاضل، فأربع كلمات ثلاث مرات أفضل من الذِّكر المطلق مثل: سبحان الله أو الحمد لله ونحو ذلك.

المسألة الخامسة: يدل على أنَّ العبرة في الأعمال في الثَّواب عليها ليس بكثرتها أو بالتَّعب فيها، وإنَّما المقصود الإخلاص فيها، والإتيان بما ورد، وتحري أفضل الأعمال فيما ورد.

المسألة السادسة: يدل قوله: (**لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اَلْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**) على أنَّ هذه الشريعة سهلة فليس فيها رهبانية، وإنَّما ذكرٌ يسيرٌ ثوابه عظيمٌ.

المسألة السابعة: قوله: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) يدل على فضل هذه الكلمة العظيمة، وأنَّ الذي ينزه الله - سبحانه وتعالى - عن العيب والنَّقص مع إثبات الكمال لله والحمد له هذا هو المؤمن، وهذا هو مقصد الشريعة من إنزال الكتب وبعث الرُّسل؛ تعظيم الله وإفراده بالعبادة.

المسألة الثامنة: قوله: (**عَدَدَ خَلْقِهِ**) أي: أقول سبحان الله وبحمده عدد ما خلق الله، وما خلقه الله عددٌ لا يُحصى، وقد أخبر الله - سبحانه وتعالى - على أنَّ جنوده من كثرتهم لا يحصيهم إلَّا هو فما ظنُّك ببقية الخلق؟! قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

المسألة التاسعة: ليس هناك لفظٌ في المبالغة بالذِّكر سوى ما جاء في هذا الحديث، لذا قول بعض الناس مثلاً: سبحان الله عدد ما سبَّحه المسبِّحون، أو ذرَّات الرمل والبحار هذا لم يرد، والأولى الاقتصار على ما ورد وهو هذا الحديث فقط حتى في تنزيه الله عز وجل لا يُصار إلى التَّفصيل السَّابق.

المسألة العاشرة: هذا الحديث فيه تكثيرٌ ومبالغةٌ وتفخيمٌ لمعنى تسبيح الله وحمده، فقد جاء بثلاث أوصاف:

الوصف الأول: عدد.

والوصف الثاني: وزن.

والوصف الثالث: لا عدد ولا وزن وهي صفة الله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الحادية عشرة: قوله: **(عَدَدَ خَلْقِهِ)** يدل على أنَّ أكثر عدد هو ما خلقه الله سبحانه من: الملائكة، والثقلين، والبهائم، والجمادات، والبحار وما فيهنَّ، والسماوات والأرض وما فيهنَّ وما بينهنَّ وهكذا.

المسألة الثانية عشرة: قوله: **(وَرِضَا نَفْسِهِ)** في هذا الحديث ذكر عدداً، ثم صفةً للهﷻ، ثم وزناً، ثم صفةً وهذا من بديع تعظيم الله - سبحانه وتعالى - فيتذكر ما خلقه الله، ثم يرجع إلى صفات الله بالتَّفكر والتَّعظيم.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: **(وَرِضَا نَفْسِهِ)** أي: أسبِّحك مع إثبات الحمد لك بما ترضى به لنفسك عن عبادك الصالحين، ورضاه سبحانه لا ينتهي حتى ولو انتهت الدنيا رضاه في الآخرة، واللهﷻ يقول: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ ولا يدخل اللهﷻ أحداً الجنة إلَّا من رَضِيَ عنه، وكذا لا يشفع إلَّا لمن رَضِيَ عنه كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ فدلَّ على عِظَمِ صفة رضى اللهﷻ وأنَّ رضاه عزيزٌ، ولا يعطيه لكلِّ أحدٍ.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: **(وَزِنَةَ عَرْشِهِ)** يدل على أنَّ أعظم المخلوقات هو العرش.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: **(وَزِنَةَ عَرْشِهِ)** يدل على أنَّ أثقل المخلوقات هو العرش، واللهﷻ مستغنٍي عن العرش بل لا غنى له عن الرحمن - سبحانه وتعالى -.

المسألة السادسة عشرة: يدل على عِظَمِ سبحان الله مع زنة عرشه، يعني: يا رب أنا أسبِّحك وأحمدك حمداً يزن أعظم مخلوقٍ خلقته.

المسألة السابعة عشرة: قوله: **(وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)** يدل على أنَّ كلام اللهﷻ لا منتهى له ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ فدلَّ على إثبات صفة الكلام لله - سبحانه وتعالى -؛ فهو يدبِّر الأمر.

المسألة الثامنة عشرة: يدل على أنَّ التَّسبيح مع الحمد بمقدار كلمات الله التي لا تنتهي، يعني: يا رب أنا أسبِّحك وأنزهك مع حمدك قدر ما تكلَّمت به سبحانك.
المسألة التاسعة عشرة: يدل على أنَّ مسائل العقيدة يتعلَّمها جميع الناس، ففي هذا الحديث صفة الرضا، وصفة الكلام لله - سبحانه وتعالى -، وصفة علوِّ الله على عرشه؛ إذْ هو مستوٍ على عرشه.
المسألة العشرون: يدل على أنَّ المقصود في الشريعة من الأذكار هو تعظيم الله سبحانه وتعالى، والذي يُليِّن القلب منها ما كان مذكوراً فيه صفاته - سبحانه وتعالى -.
المسألة الحادية والعشرون: صفة هذا الذِّكر لو قاله المسلم من أوله إلى آخره ثم أعاده من أوله إلى آخره ثم الثالثة فهذه صفةٌ صحيحةٌ مثل لو قال: سبحان اللَّه وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته ثم أعاد، أو يقول: سبحان اللَّه وبحمده عدد خلقه، سبحان اللَّه وبحمده عدد خلقه، ثم ثالثة سبحان اللَّه وبحمده عدد خلقه، ثم يذهب إلى الجملة الثانية سبحان اللَّه وبحمده رضا نفسه وهكذا. يعني: سواء جزَّأ كلَّ كلمةٍ أو جمعها كلاهما يصح.
المسألة الثانية والعشرون: لم يرد أنَّ هذا الذِّكر يكون من أوراد الصباح أو المساء وإنَّما هو من الذِّكر المطلق، ولو نوَّر المرء يومه بمثل هذا الذِّكر أفضل قال النَّووي رحمه الله: ((وأفضل أذكار النهار ما كان بعد الفجر)) لذلك في صحيح البخاري: ((كان النَّبيُّ ﷺ إذا صلَّى الفجر يذكر الله في مكانه حتى تطلع الشمس)).

١٣٣٣- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلْبَاقِيَاتُ اَلصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَسُبْحَانَ اَللَّهِ، وَاَللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ)) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ.
ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ الذِّكر من الأعمال الصالحة التي تبقى ويدَّخرها المسلم عند الله.
قال: (**اَلْبَاقِيَاتُ**) أي: الأعمال التي تبقى (**اَلصَّالِحَاتُ**) أي: الصالحة ثم ذكر منها (**لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَسُبْحَانَ اَللَّهِ، وَاَللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ**)

قال: (**أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ**) والحديث فيه ضعفٌ.
وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:
المسألة الأولى: قوله: (**اَلْبَاقِيَاتُ اَلصَّالِحَاتُ**) يدل على أنَّ العمل الذي يبقى هو الصالح أي: الذي ينفع، وأنَّ الذي لا ينفع هو العمل غير الصالح قال سبحانه: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ يعني: هي المأمولة أنْ ترفع درجات المؤمن.
المسألة الثانية: يدل على قبح العمل السيئ؛ إذْ لا ينتفع به الإنسان ومن أعظم ذلك الشرك بالله قال سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾.
المسألة الثالثة: قوله: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ**) يدل على أنَّ أفضل الذِّكر هو كلمة التَّوحيد، ولأجلها خُلِقَ العباد قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.
المسألة الرابعة: قوله: (**وَسُبْحَانَ اَللَّهِ**) يسبح المرء ربَّه وينزهه عن العيب والنَّقص؛ لكثرة من يرميه بذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾.
المسألة الخامسة: قوله: (**وَاَللَّهُ أَكْبَرُ**) لبيان أنَّ الله - سبحانه وتعالى - أكبر من كلِّ شيءٍ سواء من المخلوقات أو الأفعال، أي: أنَّ الله - سبحانه وتعالى - كلُّ ما هو دونه فهو صغير.
المسألة السادسة: قوله: (**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ**) يدل على محبَّة الله ﷻ للحمد؛ لذلك أول آية في كتاب الله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقال النَّبيُّ ﷺ: ((والحمد لله تملأ الميزان)) وهي كلمة الخير قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فهي تجلب الرزق وتُكثِّره.
المسألة السابعة: قوله: (**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ**) هذه كلمة استعانة وتبرؤ من كلِّ قوة للإنسان، أي: إظهار الضعف أمام الله، وكلما أذل الإنسان نفسه لله رفعه الله، ومن تكبَّر على الله أهلكه قال فرعون: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فأغرقه الله بالماء، ولما رفع الله قدر النَّبيِّ ﷺ قال النَّبيُّ ﷺ عن نفسه: ((إنَّما أنا عبد)) فكلما ذلَّ المسلم لله رفعه الله.
المسألة الثامنة: من حكم الذِّكر هو الذلُّ لله سبحانه والتَّعلق به؛ إذْ لا غنى لأحدٍ عن الله - سبحانه وتعالى -.

١٣٣٤- وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((أَحَبُّ اَلْكَلَامِ إِلَى اَللَّهِ أَرْبَعٌ - لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ -: سُبْحَانَ اَللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ، وَاَللَّهُ أَكْبَرُ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: ما أحبُّ الكلام إلى الله؟

قال: (**أَحَبُّ اَلْكَلَامِ إِلَى اَللَّهِ أَرْبَعٌ**) أي: أربع كلمات (**لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**) قدَّم المصنِّفُ رحمه الله هذه الجملة وفي صحيح مسلم في آخر الحديث ((لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ)) يعني: سواء قدَّمت التَّكبير على التَّحميد، أو التَّهليل على التَّسبيح كلُّ ذلك يصح.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**أَحَبُّ اَلْكَلَامِ إِلَى اَللَّهِ**) يدل على أنَّ الله عز وجل من صفاته المحبة، فيحبُّ أقوالاً كالذِّكر ويحبُّ أفعالاً كالصلاة فهو سبحانه يحبُّ كلَّ طاعة، ويكره كلَّ معصية - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثانية: قوله: (**أَحَبُّ اَلْكَلَامِ إِلَى اَللَّهِ**) أي: أحبُّ كلام البشر إلى الله هذه الكلمات الأربعة الآتية، وفي لفظٍ لمسلم: ((أفضل الكلام إلى الله)) فهي كلماتٌ فاضلةٌ ومحبوبةٌ عند الله.

المسألة الثالثة: قوله: (**أَرْبَعٌ**) يدل على أنَّ الشرع يُسهل أمور الطاعات على العباد، فيقول: هذه الكلمات ليست كثيرة إنَّما هي أربعٌ كما قال سبحانه عن شهر رمضان: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: اغتنموا ذلك الزمن واغتنموا ذلك الفعل؛ لأنَّها قليلةٌ.

المسألة الرابعة: قوله: (**لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**) يدل على أنَّ الأفضل هو التَّرتيب فيها لكن إنْ قدَّم أو أخَّر لا يبطل ذلك الذِّكر أو يضره.

المسألة الخامسة: قوله: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ**) هذه كلمة عظيمة الله عز وجل يذكرها في كثيرٍ من المواطن ممَّا فيه قوة الله سبحانه وقدرته؛ فاستفتح إسراء نبيه بقوله:﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ يعني: ليس ضعيفاً حتى يعجز عن رفع نبيه إلى السماء السابعة.

المسألة السادسة: قوله: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ**) لعظمتها جاء الشرع بذكرها عند سهو الإمام، وعند الفزع كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((سبحان الله! ماذا أنزل الله في هذه الليلة من الفتن؟)) وكذا عند التَّعجب سبحان الله! إنَّها آيةٌ في الكسوف وغير ذلك.

المسألة السابعة: قوله: (**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ**) كلمة يسيرة لكنّها تملأ الميزان؛ لأنَّ الحمد هو الثناء على الله مع حبِّه وتعظيمه، فلو أحبب شخصاً لكن لم تعظِّمه فليس هذا حمداً له، ولو عظَّمته لكنّك لا تحبه فليس هذا بثناء فالحمد يشمل ثلاثة أمور: ذكر محاسن المحمود، مع حبِّه، وتعظيمه.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَلَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ**) أفضل الذِّكر من كلام البشر على الإطلاق لا إله إلَّا الله؛ فهي الكلمة التي يدخل بها المرء إلى الإسلام، وهي الكلمة التي تدخل المرء - إذا عرف معناها وعمل بمقتضاها - إلى الجنة، وهي التي من ختم حياته بها دخل الجنة قال ﷺ: ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلَّا الله دخل الجنة)) ولأجل هذه الكلمة خلق الله العباد ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَاَللَّهُ أَكْبَرُ**) هذا تعظيمٌ لله - سبحانه وتعالى - وهي أول الآذان الذي يفر الشيطان منه، وإذا شعر العبد بكبر فهذه الكلمة تخضعه؛ لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم إذا صعدوا في المسير كبَّروا، وهكذا إذا كان الشخص في الطائرة وهي عند أول مسيرها يُكبِّر.

المسألة العاشرة: يدل هذا الحديث على أنَّ المسلم يُستحب له أنْ يكثر من هذا الكلام المحبوب لله عز وجل.

١٣٣٥- وَعَنْ أَبِي مُوسَى اَلْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ((قَالَ لِي رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: يَا عَبْدَ اَللَّهِ بْنَ قَيْسٍ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ اَلْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: فضل لا حول ولا قوة إلَّا بالله.

قال: (**يَا عَبْدَ اَللَّهِ بْنَ قَيْسٍ!**) هذا اسم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان من أهل اليمن وكان جميل الصوت (**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ**) الكنز: هو الشيء الثمين (**مِنْ كُنُوزِ اَلْجَنَّةِ؟**) أي: أنَّ من قال هذه الكلمة في الدنيا سوف يجد شيئاً عظيماً له في الجنة ادَّخره الله عز وجل له بسبب تلك الكلمة.

وقوله: **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** معناها: لا تحول وابتعاد من المعصية إلى فعل الطاعة إلَّا بحول الله وقوته، فلو لا قوة الله - سبحانه وتعالى - لم نستطع أنْ نتكلم بطاعة ولا أنْ نفعل طاعة؛ فهي تبرؤ من قوة الإنسان وحوله.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(عَبْدَ اَللَّهِ بْنَ قَيْسٍ!)** يدل على حُسْنِ معاملة النَّبيِّ ﷺ مع صحابته يتلطَّف بهم عند إلقاء العلم بذكر أسمائهم.

المسألة الثانية: قوله: **(أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ اَلْجَنَّةِ؟)** يدل على أنَّ من الأعمال ما ثمرته في الجنة عظيمة، ومن ذلك لا حول ولا قوة إلَّا بالله.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ الجنة نعيمها متفاوتٌ كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((إنَّ في الجنة مئة درجة أعدَّها الله للشهداء ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)).

المسألة الرابعة: قوله: **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** هذه كلمة استعانة أي: كأنَّ الشخص يقول: يا رب أنا بدونك ضعيفٌ فأنت أعنِّي على ما سأؤديه من طاعة، وورد حديثٌ لكنّه ضعيف وهو ((أنَّ الملائكة لما كلِّفت بحمل العرش لم تستطع أنْ تحمله، فلمَّا قيل لها: قولي لا حول ولا قوة إلَّا بالله حملته)).

المسألة الخامسة: يستحب للمسلم أنْ يقول هذه الكلمة؛ لأنَّ فيها إثبات لأفعال الله ومشيئته على العباد ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ ففيه ردٌّ على القدرية الذين يقولون: إنَّ العبد متصرفٌ بأفعال نفسه وليس لله ﷻ فيه عمل.

ثم بعد ذلك قال المصنِّف رحمه الله:

زَادَ النَّسَائِيُّ: ((وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ))

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذه الرواية في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: مشروعية الزيادة بهذه الكلمة على الكلمات السَّابقة لكنّ هذه الرواية لا تصح.

وقوله: **(وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ)** أي: لا ملجأ ولا مفرَّ من عذاب الله **(إِلَّا إِلَيْهِ)** أي: إلَّا بالرجوع إليه - سبحانه وتعالى -.

١٣٣٦- وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ ٱلدُّعَاءَ هُوَ ٱلعِبَادَةُ)) رَوَاهُ ٱلْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ.

هذا هو أول حديثٍ عن الدُّعاء في باب الذِّكر والدُّعاء، والأحاديث السَّابقة من أول الباب إلى ما قبل هذا الحديث في الأذكار.

ومن هنا إلى ما قبل آخر حديثٍ في الدُّعاء، ثم يختم المصنِّف كتابه بسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

ساق المصنِّف هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ أصل الدين هو الدُّعاء.

قال: **(إِنَّ ٱلدُّعَاءَ هُوَ ٱلعِبَادَةُ)** أي: هو خالصها ولُبُّها وأساسها وأصلها.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(إِنَّ ٱلدُّعَاءَ)** يدل على أنَّ الدُّعاء من أشرف العبادات وأجلِّها عند الله.

المسألة الثانية: قوله: **(هُوَ ٱلْعِبَادَةُ)** يدل على أنَّ صِحَّة العبادة وصِحَّة المعتقد تظهر في الدُّعاء، فإذا قال شخصٌ في الدُّعاء: يا رب فهو موحِّدٌ، وإذا دعا غير الله فنحكم عليه بأنَّ عبادته باطلةٌ وهو ليس بمشرك قال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فلمَّا أخلصوا في الدُّعاء حكم الله بإسلامهم بدليل آخر الآية: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

المسألة الثالثة: قال ابن القيم: ((أكثر نوعٍ من الشرك يقع فيه الناس هو دعاء الأموات)).

المسألة الرابعة: سعي المسلم لتصحيح عبادته من أجل سلامة وقبول الدُّعاء عند الله يعني: من كان موحداً يستجيب الله دعاءه، ومن كان مشركاً كما قال سبحانه: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾.

المسألة الخامسة: من فضل الله علينا أنَّ أهمَّ أمرٍ وهو اللُّجوء إلى الله أنَّ الله جعله سهلاً ميسراً تقول: يا رب وهنا تحقق عبادة عظيمة.

المسألة السادسة: إبليس أظهر صدق التَّوجه مع فساد القلب فلم ينفعه ذلك فقال في دعائه: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فدعا هنا، ولحكمةٍ استجاب الله دعاءه، ودعا هناك ولم يستجب الله لدعائه.

وعليه: فإنَّ من كان فاسداً بقلبه في عقيدته فدعاؤه محجوبٌ قال سبحانه: ﴿ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ ولا يُستجاب للكافر إلَّا إذا توجَّه إلى الله وهو مظلوم، أو مضطر كما قال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾.

ثم بعد ذلك قال المصنِّفُ رحمه الله:

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه بِلَفْظِ: ((اَلدُّعَاءُ مُخُّ اَلْعِبَادَةِ))

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذه الرواية في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: تفسير كون الدُّعاء هو عبادة. ففسَّرها بهذا الحديث وهو أنَّ المراد بالعبادة مخُّها، والمراد بالمخِّ أنفس شيءٍ هو المخُّ.

وهذه الرواية فيها ضعفٌ، وتدل على أنَّ الدُّعاء هو لبُّ ما يعمله الإنسان من العبادات؛ لتصحيح صدق الالتجاء مع الله بالدُّعاء.

ثم بعد ذلك ساق روايةً ثالثة قال:

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اَللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ)) وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذه الرواية في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ الدُّعاء أمرٌ كريمٌ عظيمٌ على الله؛ فهو العبادة بل مخُّها بل إنَّ الله يُكرم هذا الدُّعاء؛ لعظمته عنده - سبحانه وتعالى -.

والرواية الثالثة أيضاً فيها ضعفٌ، وهي تدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اَللَّهِ)** يدل على أنَّ العبادات تتفاضل.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ أكرم العبادات عند الله هو الدُّعاء، والمراد بالدُّعاء أمران: العبادة مثل: الصلاة هذه دعاء، وكذلك الدُّعاء بمعنى مسألة الطلب مثل: ربي أدخلني الجنة ونحو ذلك.

المسألة الثالثة: أمر الله رسله بأنْ يتوجَّهوا بعباداتهم لله قال سبحانه للنَّبيِّ ﷺ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾، وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ ﴾، وقال لموسى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ فالله ﷻ يعظِّم أمر العبادات ويحبُّها.

المسألة الرابعة: يجب على الإنسان أنْ يدعو الله بالعبادة وبالطلب يطلب منه مغفرة الذُّنوب والسَّعادة والتَّوفيق ونحو ذلك، وإذا لم يفعل ذلك عذَّابه الله بالنار قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾.

المسألة الخامسة: ذمَّ الله ﷻ المشركين لما أصابتهم مصيبةٌ لم يتضرعوا إلى الله فقال: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾.

المسألة السادسة: الموفَّق من عباد الله من ذلَّ لله دعاءً وعبادةً، وهي الحكمة من خلق الله للثقلين ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥ ﴾.

١٣٣٧- وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((اَلدُّعَاءُ بَيْنَ اَلْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ)) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ الدُّعاء بين الأذان والإقامة مستجابٌ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَلدُّعَاءُ بَيْنَ اَلْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ**) يدل على أنَّ الصلاة يُشرع فيها أذان ويُشرع فيها أيضاً إقامة.

المسألة الثانية: قوله: (**اَلدُّعَاءُ بَيْنَ اَلْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ**) يدل على مشروعية الدُّعاء بينهما.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ من مواطن إجابة الدُّعاء بعد الأذان إلى الإقامة، ومن مواطن إجابة الدُّعاء منها ما هو في الزمن كآخر الليل، ومنها ما هو في المكان مثل: الصفا والمروة،

ومنها ما هو في الأحوال كالمظلوم والمسافر والمضطر، ومنه ما هو في الهيئات كهيئة السُّجود فهذه هي أنواع مواطن إجابة الدُّعاء.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّه لا يشترط أنْ يكون هذا الدُّعاء في المسجد عند انتظار الصلاة، وإنَّما إذا فرغ المؤذن من الأذان فهو موطن إجابة للدُّعاء سواء لمن كان في المسجد أو في غير المسجد.

المسألة الخامسة: يدل على فتح باب الإجابة في اليوم خمس مراتٍ في هذا النوع من المواطن ممَّا يدل على فضل الله وكرمه على عباده.

المسألة السادسة: يدل على أهمية الأذان؛ إذْ به يبدأ بعد انتهائه ساعة إجابة - بإذن الله - .

قال: (**أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ**) كابن ماجه (**وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ**) كالحاكم وابن خزيمة.

١٣٣٨- وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفراً)) أَخْرَجَهُ اَلْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّه يشرع في بعض الحالات رفع اليدين عند الدُّعاء.

قال: (**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ**) من الحياة وهي صفة كمالٍ في حقِّ - الله سبحانه وتعالى - كما يليق بجلاله وعظمته (**كَرِيمٌ**) الكريم: هو الذي يعطي قبل أنْ يسأل فما ظنُّك إذا سئل؟! (**يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفَراً**) أي: خاليتين من غير إجابة وأعطى لما سأل.

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ**) لكن موقوفٌ على سلمان رضي الله عنه، ورفعه ضعيفٌ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ**) فيه إثبات صفة ربوبية لله - سبحانه وتعالى - المتضمنة للخلق والرزق والتَّدبير.

المسألة الثانية: قوله: (**حَيِيٌّ**) فيه إثبات صفة الحياة لله سبحانه وتعالى وهذه الصفة أيضاً صفة كمال في حقِّ المخلوقين لكنْ لله صفةٌ تليق بجلاله وللمخلوق صفةٌ تليق بحاله.

المسألة الثالثة: قوله: (**كَرِيمٌ**) فيه إثبات صفة الكرم لله، واللهﷻ يقول: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ**) يدل على أنَّ اللهﷻ يستحي إذا رفع إليه العبد يديه.

المسألة الخامسة: قوله: (**إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ**) رفع اليدين في الدُّعاء ليس مشروعاً على الإطلاق ففي بعض المواطن يحرم رفع اليدين مثل: الدُّعاء حال السُّجود، ومثل: الدُّعاء بين السَّجدتين لا يشرع، وكذا قبل السلام في الصلاة لا يشرع وحال الطواف وغير ذلك، وإنَّما يشرع خارج الصلاة فيما جاء به النص النَّبيُّﷺ رفع يديه ليلة غزوة بدر عند التجائه إلى اللهﷻ حتى سقط رداؤه، ورفع يديه إلى الصفا والمروة وهكذا.

المسألة السادسة: قوله: (**أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفَراً**) يدل على أنَّ الدَّاعي مستجابٌ لدعائه.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ الدَّاعي إذا دعا هو رابحٌ سوف يحصِّل ما دعا به.

١٣٣٩- وَعَنْ عُمَرَ﵁ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اَللَّهِﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي اَلدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ.

ساق المصنِّف﵀ هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: هل يمسح الدَّاعي وجهه بعد الدُّعاء أم لا؟

قال: (**كَانَ رَسُولُ اَللَّهِﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي اَلدُّعَاءِ**) أي: خارج الصلاة أو إذا كان المسلم في القنوت (**لَمْ يَرُدَّهُمَا**) أي: لم يرد اليدين إلى موضعهما من القبض عليهما (**حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ**).

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ**) وهذا حديثٌ ضعيفٌ ضعَّفه شيخ الإسلام وغيره وقال عنه أبو حاتم: ((منكر)).

قال: (**وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا من حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاسٍ﵄: عَنْ أَبِي دَاوُدَ**) ولفظه: ((إذا دعوتم الله فأدعوه ببطون أيديكم ولا تدعونه بظهورها، فإذا فرغتم من الدُّعاء فامسحوا بها

وجهكم)) والحديث أيضاً ضعيف (**وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ**) فلا يشرع للمسلم أنْ يمسح وجهه بعد الدُّعاء؛ لعدم ورود حديث صحيح يدل على ذلك، بل قال راوي الحديث وهو التِّرمذي عنه: ((حديثٌ غريبٌ)).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي اَلدُّعَاءِ**) يشرع عند الدُّعاء مدُّ اليدين أي: رفعهما؛ فقد رفع النَّبيُّ ﷺ يديه ليلة غزوة بدر وهو في العريش حتى سقط عنه رداؤه، وكذا ورد أنَّ النَّبيَّ ﷺ رفع يديه في الاستسقاء بمدِّهما.

المسألة الثانية: يدل على أهمية الدُّعاء؛ إذْ أنَّ من أعظم الحكم فيه إظهار الفقر والتَّذلل لله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثالثة: قوله: (**لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ**) سَبَقَ أنَّه لا يشرع ذلك؛ لضعف الحديث.

١٣٤٠- وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ أَوْلَى اَلنَّاسِ بِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ: أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً)) أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: فضل الدُّعاء بالصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ.

قال: (**إِنَّ أَوْلَى اَلنَّاسِ بِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) يعني: في شفاعتي وفي القرب من مجلسي يوم القيامة (**أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**) - اللَّهُمَّ صلِّ على محمد -.

قال: (**أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ**) هذا الحديث أيضاً فيه ضعفٌ.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**إِنَّ أَوْلَى اَلنَّاسِ بِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**) يدل على أنَّ الناس يوم القيامة من أمة محمد ﷺ ينقسمون إلى من هم قريبٌ منه، وإلى من هو يريد القرب منه ولكن يقول لهم النَّبيُّ ﷺ: ((سُحْقاً سُحْقاً)) وهو الذي لم يتبع هدي النَّبيِّ ﷺ.

المسألة الثانية: يدل على شرف النَّبيِّ ﷺ؛ إذْ أنَّ الناس يطلبون القرب منه ففي الدنيا القرب منه منزلة الصُّحبة العظيمة، وفي الآخرة في القرب منه جنَّات النَّعيم كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((أقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)).

المسألة الثالثة: قوله: (**أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**) يغني عن هذا الحديث الضعيف ما جاء في صحيح مسلم: ((من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشراً)) فهذا فضلٌ عظيمٌ من دعا للنَّبيِّ ﷺ بأنْ يثني اللهﷻ عليه مرةً واحدةً يثني الله على المصلي في السماء عشر مراتٍ، وهذا فضلٌ عظيمٌ.

المسألة الرابعة: يدل على أنَّ من الشرف الذي يناله النَّبيُّ ﷺ كثرة الدُّعاء له من أمته بالثناء عليه في السماء، والنَّبيُّ ﷺ لا شكَّ أنَّه مثناً عليه لكن بزيادة الثناء عليه عند اللهﷻ.

المسألة الخامسة: أنَّ ثناء اللهﷻ منقبةٌ لكلِّ مسلم.

المسألة السادسة: من أسباب ثناء اللهﷻ على العبد منا أنَّك تصلي على النَّبيِّ ﷺ؛ فيتكرر الثناء عشر مرات عليك في السماء.

المسألة السابعة: من فوائد الصلاة على النَّبيِّ ﷺ محبَّة اللهﷻ لك؛ إذْ يثني عليك في السماء وأيضاً لعلَّه من أسباب المتابعة الدَّقيقة للنَّبيِّ ﷺ، وأيضاً محبَّة الخلق لك في السماء والأرض؛ فإنَّ الله إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل في السماء أنِّي أحبُّ فلاناً فأحبَّه فيحبُّه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض.

١٣٤١- وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ: ((سَيِّدُ اَلِاسْتِغْفَارِ؛ أَنْ يَقُولَ اَلْعَبْدُ: اَللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اِسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي; فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)) أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أفضل صيغ الاستغفار.

قال: (**سَيِّدُ اَلِاسْتِغْفَارِ**) أي: أفضله (**أَنْ يَقُولَ اَلْعَبْدُ: اَللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ**) أي: على ميثاقك الذي وثقتك عليه وأنا في صلب آدم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ ﴾ **(وَوَعْدِكَ)** أي: أنا على وعدك بأنَّك سوف تحاسب الخلق يوم المحشر وأنا أقرُّ بذلك وأرجو مغفرتك.

(أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) أي: أعترف بنعمتك عليَّ **(وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي)** يعني: أعترف بذنبي **(فَاغْفِرْ لِي; فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)** وتتمة الحديث: ((من قالها في النهار فمات قبل أنْ يمسي إلَّا كان من أهل الجنة، ومن قالها في الليل فمات قبل أنْ يصبح إلَّا كان من أهل الجنة)).

وهذا الحديث العظيم يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(سَيِّدُ اَلِاسْتِغْفَارِ)** يدل على أنَّ العبد مأمورٌ بأنْ يطلب من الله المغفرة.

المسألة الثانية: يدل على كثرت ذنوب العباد، وإنَّ ممَّا يحط هذه الذُّنوب هو الاستغفار قال سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ ﴾.

المسألة الثالثة: قوله: **(سَيِّدُ اَلِاسْتِغْفَارِ)** يدل على أنَّ للاستغفار عدَّة صيغٍ منها استغفر الله، ومنها أيضاً اللَّهُمَّ اغفر ليَّ أو ربي اغفر ليَّ، أو ربي ظلمت نفسي فاغفر ليَّ، وأفضل وأجلُّ هذه الصيغ هو ما جاء في هذ الحديث.

المسألة الرابعة: قوله: **(أَنْ يَقُولَ اَلْعَبْدُ)** فيه ذلالةٌ على أنَّ المقصود من طلب المغفرة هو اعتراف الإنسان بالعبودية لله وذلُّه لله - سبحانه وتعالى -، لذلك لما أكل آدم وحواء من الشجرة أخبر الله ﷻ أنَّهما ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾، وموسى عليه السلام قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: **(اَللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** من كمال هذا الدُّعاء الإقرار بألوهية الله - سبحانه وتعالى -.

المسألة السادسة: قوله: **(خَلَقْتَنِي)** من خصائص هذا الدُّعاء الإقرار بربوبية الله.

المسألة السابعة: قوله: **(وَأَنَا عَبْدُكَ)** فيه إقرارٌ بضعف العبد، وأنَّه لا شيء بغير معونة الله - سبحانه وتعالى - وقوته.

المسألة الثامنة: قوله: (**وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ**) يدل على إقراره بتوحيده لله - سبحانه وتعالى -.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَوَعْدِكَ مَا اِسْتَطَعْتُ**) فيه إقرارٌ بالإيمان بما غيَّبه الله ﷻ بالوعد والوعيد.

المسألة العاشرة: قوله: (**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ**) أي: التَّبرؤ والنَّدم على ما فُعِلَ من ذنب.

المسألة الحادية عشرة: من خصائص هذا الدُّعاء: (**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ**) أي: إقرارٌ بتفضل الله ﷻ على عبده بالنِّعم، وكان الواجب هو شكرها لا للكفران لها.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي**) من أعظم أسباب مغفرة الله للعبد هو الاعتراف بالذَّنب، أما التَّكبر أو التَّأويل بفعل الذَّنب فهو ذنبٌ، فمثلاً: لو استمع شخصٌ للمعازف وقال ليست بمحرَّمة أو شخصٌ آخر يقول: استغفرك يا رب من هذا الذَّنب فعلته وأغواني الشيطان لا شكَّ أنَّ الثاني أقرب للمغفرة من الأول.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**فَاغْفِرْ لِي**) بعد تلك المقدمات العظيمة من تعظيم الله والإقرار بالذَّنب أتى بالدُّعاء بالمغفرة ممَّا يدل على أنَّ من أسباب إجابة الدُّعاء هو تعظيم الله في صدر الدُّعاء.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**) يدل على تفرُّد الله ﷻ بتدبير أمور العباد ومغفرة خطاياهم.

المسألة الخامسة عشرة: لكلِّ ما تقدَّم وغيره تبيَّن عظمت هذا الدُّعاء، وأنَّه مظنَّةٌ لمغفرة الله ﷻ لمن وقع منه ذنبٌ.

المسألة السادسة عشرة: يدل على أنَّه يستحب للمسلم أنْ يقول هذا الدُّعاء في أول النهار وفي آخره؛ فهو من أسباب دخول الجنة.

المسألة السابعة عشرة: يدل على كرم الله - سبحانه وتعالى - على عباده؛ فدعاءٌ يسيرٌ من قاله موقنٌ من قلبه فهو موعودٌ بدخول الجنة.

المسألة الثامنة عشرة: لا يمنع من تكرار هذا الدُّعاء في وسط النهار أو في كلِّ لحظة؛ إذْ هو من صيغ الاستغفار.

١٣٤٢- وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: ((لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ اَلْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اَلْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اَللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: دعاء كان النَّبيُّ ﷺ يقوله في صباحه ومسائه.

قال: (**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَدَعُ**) أي: لا يترك (**هَؤُلَاءِ اَلْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي**) أي: يدخل في المساء، والمساء يبدأ من العصر إلى المغرب ولو أذَّن المغرب وقضى هذا الدُّعاء فلا بأس (**وَحِينَ يُصْبِحُ**) والصباح يبدأ من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ولو أنَّ شخصاً قضى هذا الدُّعاء بعد طلوع الشمس فلا بأس.

(**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اَلْعَافِيَةَ**) العافية: هي حصول المحبوب والبعد عن السلامة والشُّرور (**فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اَللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي**) يعني: استر ما يظهر منِّي من عيب سواء كان عيباً حسِّياً أو معنوياً (**وَآمِنْ رَوْعَاتِي**) يعني: ابعد عنِّي ما يحزنني (**وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ**) يعني: من أمامي (**وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي**) بأنْ يصيبني أذىً من فوق (**وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ**) يعني: أموت (**مِنْ تَحْتِي**) أي: بسببٍ يأتيني من تحت كالخسف والسُّقوط وما من أسفلك تموت بسببه يجلبك إلى الأسفل وهكذا.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ اَلْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ**) يدل على مواظبة النَّبيِّ ﷺ على هذا الدُّعاء؛ لأهميته وحاجة الإنسان إليه.

المسألة الثانية: قوله: (**حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ**) يدل على أنَّ الصباح أي: النهار فيه شرور وكذلك المساء فيه شرور، ففي بداية ظهور كلِّ واحدٍ منهما يدعو الإنسان الله أنْ يحفظه من تلك الشُّرور وأنْ يعافيه منها.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ الإنسان معرضٌ لأمرٍ مكروهٍ إما في الصباح أو المساء؛ لأنَّ الإنسان مخلوقٌ للابتلاء وممَّا يصرف ذلك مثل هذا الدُّعاء العظيم.

المسألة الرابعة: قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اَلْعَافِيَةَ**) هذا من أجمع الأدعية؛ فإنَّ الإنسان إذا أعطي العافية نالته السعادة.

المسألة الخامسة: قوله: (**فِي دِينِي**) يدل على أنَّ أعظم نعمةٍ هي سلامة دين الإنسان من الشرك أو البدع أو المعاصي.

المسألة السادسة: قوله: (**وَدُنْيَايَ**) يدل على مشروعية دعاء الإنسان لنفسه بأمور الدنيا بأنْ يعافيه الله من شرور الدنيا كالحوادث والمصائب ونحو ذلك.

المسألة السابعة: قوله: (**وَأَهْلِي**) يدل على أنَّه يشرع للإنسان أنْ يدعو لنفسه وأنْ يدعو لزوجته وأولاده ووالديه.

المسألة الثامنة: يدل على أنَّه لا يشترط عند أذكار الصباح والمساء في الدُّعاء تعويذ الأهل والأولاد النَّفث عليهم أو أنْ يكونوا قريباً منك؛ لأنَّه دعاء.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَمَالِي**) يدل على مشروعية الدُّعاء بأنْ يحفظ اللهﷻ لك مالك، وأنْ يعافيه ممَّا يضر به من السَّرقة والغصب والاختلاس والغش ونحو ذلك.

المسألة العاشرة: قوله: (**اَللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي**) يدل على كثرت عيوب الإنسان؛ فيدعو المسلم أنَّ الله يسترها لذلك قال بالجمع: ((عَوْرَاتِي)) وليس عورتي.

المسألة الحادية عشرة: من عورات الإنسان الذُّنوب فالعورة عيب، فعيبٌ على الإنسان أنْ يعصي ربَّه، ومن العيوب أيضاً أنْ يظهر شيءٌ من عورته أو عورة أهله ونحو ذلك.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَآمِنْ رَوْعَاتِي**) يدل على كثرت ما يفزع الإنسان في الدنيا ممَّا يخيفه، لذلك يشرع للمسلم أنْ يدعو بهذا الدُّعاء العظيم.

المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ**) يدل على أنَّ الإنسان معرَّضٌ لكلِّ خطرٍ من أيِّ جهةٍ من جهاته، فمن الأمام قد يصاب بمصيبة أو حادثة فيدعو الله أنْ يحفظه من أمامه.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**وَمِنْ خَلْفِي**) يدل على فضل اللهﷻ على الإنسان؛ بحفظ الله له من مكانٍ لا يراه وهو ما كان من خلفه.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: (**وَعَنْ يَمِينِي**) كذلك يدل على أنَّ شرّاً قد يأتيك من جهة اليمين.

المسألة السادسة عشرة: قوله: (**وَعَنْ شِمَالِي**) يدل أنَّ الشَّر أيضاً قد يأتي عن الشمال.

المسألة السابعة عشرة: تفضَّل اللهﷻ على جميع الناس مسلمهم وكافرهم بحفظ الله لهم من قِبَلِ ملائكة عددهم أربعة يحفظونه بالليل وبالنهار ممَّا قد يصيبه من الآفات قال سبحانه: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ يعني: ملائكة يتعاقبون على الإنسان في صلاة العصر وصلاة الفجر؛ لحفظه اثنان من الأمام واثنان من الخلف، وواحدٌ في النهار ووحدٌ في الليل.

المسألة الثامنة عشرة: قوله: (**وَمِنْ فَوْقِي**) أيضاً يدل على أنَّ الشَّر قد يأتي من فوق الإنسان مثل يسقط عليه شيءٌ سقف أو حجارة ونحو ذلك.

المسألة التاسعة عشرة: قوله: (**وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**) هنا توسلٌ بصفةٍ من صفات الله وهي العظمة ألاَّ يصاب بموت يأتيه من تحته وذلك؛ لأنَّ الموت الذي يأتي من تحت في الغالب أنَّ فجيعته أعظم فمثلاً: قد ترى شخصاً أمامك يقتل ويسقط، لكن من الفجيعة شخصٌ أمامك ثم الأرض تبتلعه والعياذ بالله.

لذلك: من تكبَّر في الأرض منهم من عاقبهم الله بالخسف مثل قارون ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ لأنَّها عقوبة مهولة.

المسألة العشرون: يدل على أنَّ الإنسان معرضٌ للمصائب مع جميع نواحيه، وليس مفرٌ إلَّا الله - سبحانه وتعالى - والتَّعلق به، ومن ذلك الدُّعاء بمثل هذا الحديث أنَّ الله يحفظه.

١٣٤٣- وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ﵄ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجْأَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّف﵀ هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: دعاء عظيم كان النَّبيُّ ﷺ يدعو به ليس خاصاً بصباح ولا مساء.

قال: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ**) يعني: ذهاب النِّعمة سواء كانت عافية أو مال أو زوجة أو أولاد أو غير ذلك (**وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ**) بأنْ تتحول عافيتي في المال أو غيرها إلى مرض أو فقر، (**وَفُجْأَةِ نِقْمَتِكَ**) أي: انتقام الله السريع مثل: موت أحد ابنائك أو احتراق السيارة أو انقلابِها، (**وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**) أي: جميع ما يسخطك.

وهذا الحديث العظيم يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ**) يدل على أنَّ النِّعم قد لا تدوم على الشخص، فالنِّعم منها ما أخبر النَّبيُّ ﷺ بأنَّها تزول عن كلِّ شخص وهي المذكورة في قوله: ((اغتنم خمساً قبل خمس)) فهذه نعمٌ زائلةٌ والسعيد من اغتنمها، ونعمٌ تبقى وتزيد بالشكر، وتزول بالكفران - والعياذ بالله - وهي ما سوى النِّعم السَّابقة.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ النِّعمة نعيمٌ للشخص، فالإنسان يدعو ربَّه ألاَّ يزيل عنه هذا النَّعيم؛ لأنَّ فيه سرورٌ وأُنْسٌ، وفيه أداء للعبادة بطمأنينة وراحة وغير ذلك من فوائد النِّعم.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ**) يدل على أهمية العافية سواء في الدين أو الدنيا أو الجسد؛ إذْ خُصَّت من بين النِّعم.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَفُجْأَةِ نِقْمَتِكَ**) يدل على أنَّ عذاب الله ﷻ سريعٌ قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾، وقال: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**) يدل على أنَّ الإنسان يجب عليه أنْ يبتعد عما يسخط الله؛ لأنَّ بسخط الله زوال النِّعم، وبرضا الله حلول النِّعم.

المسألة السادسة: يجب على الإنسان أنْ يحافظ على كلِّ نعمةٍ هو فيها بالطاعة وإلَّا تزول قال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ ﴾.

المسألة السابعة: من أسباب حفظ النِّعم تلاوة القرآن العظيم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ ﴾ قال: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ ﴾ الشاهد: ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ يعني: يعطيهم نِعم كثيرة.

وكذا قوله سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾

الشاهد: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ فذكر الله ﷻ في المساجد من تلاوة القرآن وذكره من أسباب زيادة النِّعم.

١٣٤٣- وَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ اَلدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ اَلْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ اَلْأَعْدَاءِ)) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لأنَّ الحديث الذي قبله فيه زوال النِّعم وتحولها فذكر هذا الحديث؛ لبيان: دعاء يتعوَّذ به من شماتة الأعداء لما زالت عنه النِّعم.

قال: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ اَلدَّيْنِ**) الدَّين إذا كان لا يستطيع وفاءه فهو غالبٌ عليه، أما إذا كان يستطيع وفاءه فليس بغالبٍ عليه (**وَغَلَبَةِ اَلْعَدُوِّ**) أي: انتصار العدوِّ عليه ورفعته عليه، (**وَشَمَاتَةِ اَلْأَعْدَاءِ**) فيها فرحٌ للأعداء بزوال النِّعم عنك وحلول المصائب عليك.

قال: (**رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اَلْحَاكِمُ**) وفيه ضعفٌ، لكن جاء في صحيح البخاري: ((أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من درك الشَّقاء، وسوء القضاء، وجهد البَّلاء، وشماتة الأعداء)) قال سفيان الرَّاوي: ((ذكر النَّبيُّ ﷺ ثلاثاً - يعني: من هذه الأربع - ولا أعلم أيُّها ذكر)).

وجاء أيضاً في صحيح البخاري ومسلم: ((أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: تعوَّذوا بالله من المأثم والمغرم)) المراد بالمغرم: الدَّين، المقصود أنَّ لهذا الحديث أصلٌ في المتفق عليه.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ اَلدَّيْنِ**) يدل على أنَّ الدَّين ليس بمذموم في الإسلام؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ اقترض فلا منَّة فيه للمقرض.

المسألة الثانية: المذموم في الدَّين وهو غلبته وهو العسر في سداده كأنْ يقترض مالاً يعلم عدم سداده.

المسألة الثالثة: من أسباب الدُّعاء بالتَّعوِّذ من غلبة الدَّين ما جاء في صحيح البخاري؛ فإنَّ العبد إذا غَرِمَ حدَّث فكذب ووعد فأخلف، يعني: يقول لصاحب الدَّين: عندي مالٌ وهو

يكذب وسوف أسدِّد لك، أو يقول بعد شهر سوف أسدِّد لك وهو يكذب فيخلف في الوعد.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَغَلَبَةِ اَلْعَدُوِّ**) جاء النهي بعدم ملاقاة العدوّ كما في صحيح البخاري ومسلم: ((لا تتمنوا لقاء العدوِّ، واسألوا الله العافية))، ومن لقي العدوَّ قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ ﴾ وإذا غلب العدوُّ يتعوَّذ المسلم من غلبته؛ فقد يظلم ويستبيح الأعراض ويفسد الدِّيار.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَشَمَاتَةِ اَلْأَعْدَاءِ**) يدل على أنَّ العدوَّ يتربَّص بالمسلم؛ ليظهر حقارة المسلم وعلوَّ الكافر عليه، وكذا الحاسد فهو عدوٌّ أيضاً.

المسألة السادسة: ذكر النَّبيُّ ﷺ شماتة العدوِّ مع غلبة العدوِّ؛ لأنَّ الشَّماتة تؤثر على حال المصاب لا سيما إذا كان عدوّاً فيفرح بما يحلُّ عليك من المصائب، وعلاج المسلم من ذلك: التَّعوذ بالله من شماتته، أي: عدم اطِّلاعه على عيوبك.

١٣٤٥ - وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: ((سَمِعَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اَلْأَحَدُ اَلصَّمَدُ، اَلَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اَللَّهَ بِاسْمِهِ اَلَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ)) أَخْرَجَهُ اَلْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: بسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب الدُّعاء.

قال: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اَلْأَحَدُ**) بمعنى الواحد وكلا الاسمين جاء بهما القرآن قال الله: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ وقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾.

وقوله: (**اَلصَّمَدُ**) أي: الذي تصمد إليه الخلائق وتعرض عليه حاجاتها - سبحانه وتعالى -.

المعنى الثاني: كمال السُّؤدة الذي لا نقص في شيءٍ من صفاته.

المعنى الثالث أي: لا جوف له، المراد بالجوف يعني: ما في البطن من الأمعاء وغير ذلك الله عز وجل منزَّهٌ عن ذلك، يعني: لا جوف له حتى يلد أحداً أصلاً. وهذه المعاني الثلاث هي للسلف وكلها صحيحة.

وقوله: **(اَلَّذِي لَمْ يَلِدْ)** أي: لم يلد أحداً فلم يلد عيسى، ولم يلد عزيراً، ولم يلد الملائكة لما قالت العرب: الملائكة بنات الله - تعالى الله عن ذلك -، **(وَلَمْ يُولَدْ)** لأنَّ من أسماء الأوَّل ومن صفاته الأوَّلية، وفسَّره النَّبيُّ ﷺ بقوله: ((الذي لا شيء قبله))، **(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** أي: لا مثيل له ولا نظير - سبحانه وتعالى -.

(فَقَالَ) النَّبيُّ ﷺ: **(لَقَدْ سَأَلَ اَللَّهُ بِاسْمِهِ اَلَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)** يعني: يقول: يا رب زوِّجني وفِّقني هذا سؤال **(وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ)** لو قال شخصٌ: يا رب يا رب الأول بدون النداء زوِّجني أعطني والثاني: يا رب وكلا المعنيين داخلان، وبعض أهل العلم يرى أنَّ المعنى واحد وإنَّما هو من باب التَّأكيد.

قال: **(أَخْرَجَهُ اَلْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ)** وقال عنه المصنِّفُ: ((هذا أجودُ حديثٍ في ذكر اسم الله الأعظم)).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: **(اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** يدل على أنَّ من أسباب إجابة الدُّعاء الثناء على الله ﷻ في بداية الدُّعاء.

المسألة الثانية: أعظم ثناءٍ على الله هو مدحه بوحدانيَّته - سبحانه وتعالى -؛ لكثرة من طعن فيها.

المسألة الثالثة: قوله: **(أَنَّكَ أَنْتَ اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اَلْأَحَدُ اَلصَّمَدُ، اَلَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)** قيل: هذا هو اسم الله ﷻ الأعظم، فإذا استفتح به في الدُّعاء أجاب الله الدُّعاء.

وقيل: إنَّ اسم الله الأعظم هو يا الله وإلى هذا ذهب ابن القيم رحمه الله، وقيل: إنَّ اسم الله الأعظم يا حي يا قيوم ومن قال إنَّ هذين هما اسم الله الأعظم قال: لأنَّ الحياة جميع الصفات ترجع إليها، والقيوم هو الذي يقوم بالأفعال؛ لتدبير الكون - سبحانه وتعالى -.

ولم يرد على القول الثاني ولا الثالث دليلٌ يصح، والأول كما قال المصنِّفُ رحمه الله في فتح الباري: ((هو أجودها سنداً)).

المسألة الرابعة: قوله: **(لَقَدْ سَأَلَ اَللَّهُ بِاسْمِهِ)** وفي روايةٍ: ((العظيم)) وفي روايةٍ: ((الأعظم)) يعني: يدل تفاضل الأسماء عند الله - سبحانه وتعالى -، فأسماؤه متفاضلةٌ، وكذا صفاته خلافاً للأشعرية فمثلاً: صفة الرحمة ليست كصفة البرِّ فبينهما تفاوت.

المسألة الخامسة: قوله: (**اَلَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**) يدل على أنَّ هذا الحديث من مفاتيح العطاء.

المسألة السادسة: قوله: (**وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**) يدل على قُربِ اللهﷻ من عباده وأنَّه يجيب دعواتِهم.

المسألة السابعة: ممَّا يحبُّه اللهﷻ في أوَّل الدُّعاء ما جاء في هذا الحديث من الثناء عليه بالوحدانية، وكذا أول الفاتحة﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ فهي ثناءٌ عظيمٌ على اللهﷻ لذلك بعدها دعاء ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾.

ولهذا: يشرع في صلاة الجنازة قراءة الفاتحة بعد التَّكبيرة الأولى، ثم بعد التَّكبيرة الثانية الصلاة على النَّبيِّﷺ، ثم التَّكبيرة الثالثة الدُّعاء للميت كلُّ ذلك تمهيداً للدُّعاء.

المسألة الثامنة: يدل على محبَّة الله - سبحانه وتعالى - للمدح، لذلك في صحيح البخاري: ((من أجل ذلك مدح نفسه)) وهو سبحانه أهلٌ لذلك، فعلى المرء أنْ يمدح ربَّه في الدُّعاء وفي غير الدُّعاء.

١٣٤٦- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ**: ((**كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ**ﷺ **إِذَا أَصْبَحَ، يَقُولُ: اَللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ اَلنُّشُورُ.**
وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ; إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَإِلَيْكَ اَلْمَصِيرُ)) **أَخْرَجَهُ اَلْأَرْبَعَةُ.**

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: دعاءٍ كان يدعو به النَّبيُّﷺ في الصباح والمساء.

قال: (**كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ**ﷺ **إِذَا أَصْبَحَ**) أي: ظهر الصُبح، والصُبح من الفجر إلى طلوع الشمس (**يَقُولُ: اَللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا**) أي: بقدرتك بقينا وظهر علينا الصباح، (**وَبِكَ أَمْسَيْنَا**) أيضاً بقدرتك وتدبيرك برحمتك دخلنا في المساء (**وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ اَلنُّشُورُ**) أي: إليك البعث يوم القيامة.

قال: (**وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ; إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَإِلَيْكَ اَلْمَصِيرُ**) المصير يعني: المرجع.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ**) يدل على أنَّ أفضل زمن الدُّعاء حين ظهور الصُبح، وكذا حين بداية المساء كما سيأتي.

المسألة الثانية: قوله: (**اَللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا**) في هذا الدُّعاء إثبات قدرة الله ﷻ الدَّالة على وحدانيَّته - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَبِكَ أَمْسَيْنَا**) يدل على أنَّ المسلم يتفال ببقائه في الدنيا للعمل الصالح إلى المساء.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَبِكَ نَحْيَا**) فيه دليلٌ على أنَّ الاستيقاظ من النوم يُسمَّى حياةً كما قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ يعني: حين نومها.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَبِكَ نَحْيَا**) هذا فيه تذكيرٌ بالموت.

المسألة السادسة: قوله: (**وَبِكَ نَمُوتُ**) فيه الحثُّ على الزُّهد في الدنيا.

المسألة السابعة: قوله: (**وَإِلَيْكَ اَلنُّشُورُ**) فيه إثبات ركنٍ من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر.

المسألة الثامنة: يدل على فضل هذا الدُّعاء العظيم؛ إذْ فيه توحيدٌ لله ﷻ، وتعظيمٌ له، وإثباتٌ لربوبية الله سبحانه وتعالى، وإيمانٌ بالبعث.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ; إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَإِلَيْكَ اَلْمَصِيرُ**) يدل أيضاً على أنَّ المسلم يجدِّد إيمانه بدعاء ربِّه، وأعظم الدُّعاء ما كان فيه توحيداً لله - سبحانه وتعالى -.

١٣٤٧- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: ((كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: ما هو الدُّعاء الذي كان يكثر منه النَّبيُّ ﷺ؟

قال: (**كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ**: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾) حسنة هذه نكرة في سياق الدُّعاء والمراد بها العموم، أي: أعطنا جميع الحسنات والخيرات (﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾) كذلك (﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾)

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ**) يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ يكثر من الابتهال لربِّه سبحانه، وكلمَّا أكثر المسلم من دعاء الله دلَّ على صدق توحيده لله؛ لأنَّه يمتثل أمر الله في قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ ﴾ فهو يؤدِّي عبادة عظيمة.

المسألة الثانية: قوله: (**كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ**) يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أدعية يكثر منها وأدعية لا يكثر منها.

المسألة الثالثة: قوله: (﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾) يدل على أنَّه يشرع للمسلم أنْ يدعو بأمور الدنيا مثل: السَّعادة الدُّنيوية فيها والعافية والمال والزوجة وغير ذلك.

المسألة الرابعة: قوله: (﴿ حَسَنَةً ﴾) يدل على أنَّ المسلم لا يستكثر شيئاً عند الله فليدعو بما شاء وإنْ كان كثيراً، فالنَّبيُّ ﷺ لما قيل له: ((إذاً نكثر)) قال: ((الله أكثر)) أي: لو قال شخصٌ مثلاً: ارزقني مالاً حالاً كثيراً واسعاً يشرع له ذلك، ولا يقول: طلبت من الله شيئاً كثيراً وأنا لا أريد إلَّا القليل لا يَستكثر من الله.

المسألة الخامسة: قوله: (﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾) يدل على أنَّ في الآخرة خير كثير أيضاً بل هو أكثر ممَّا في الدنيا كما قال سبحانه: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾.

المسألة السادسة: قوله: (﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾) يدل على أنَّ الدُّعاء بالآخرة مخالفٌ لأهل الجاهلية؛ إذْ لا يدعون الله إلَّا بالدنيا فقط كما قال سبحانه: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ والمسلم يدعو ربَّه من خيْرَيّ الدنيا والآخرة.

المسألة السابعة: قوله: (﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾) أعظمُ حسنةٍ وخيرٍ ونعيمٍ في الآخرة هو النَّظر إلى وجه الله الكريم قال سبحانه: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾.

المسألة الثامنة: يدل على أنَّ هذا الإسلام عظيمٌ يسعى أنْ يكون المسلم سعيداً في الدنيا وفي الآخرة قال سبحانه: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾ أي: أنَّ الزُّهد غير المشروع كالجلوس في الشمس أو في الحر زهداً غير مشروعٍ في الدنيا ليس من الإسلام.

المسألة التاسعة: قوله: (﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾) يدل على إثبات النار يوم القيامة، وأنَّ أكثر البشر تصلاهم النار والعياذ بالله كما قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث المتفق عليه: ((من كلِّ ألف يقذف في النار تسع مئة وتسعة وتسعين)).

المسألة العاشرة: يسنُّ للمسلم أنْ يفعل ما كان النَّبيُّ ﷺ يفعله من هذا الدُّعاء؛ فهو جامعٌ ومختصرٌ ونافعٌ، وبه - بإذن الله - سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

١٣٤٨- وَعَنْ أَبِي مُوسَى اَلْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ((كَانَ اَلنَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ اَلْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: مشروعية التَّفصيل في الدُّعاء.

قال: (**اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي**) هذا مفرد مضاف المراد به أيضاً الجمع يعني: خطاياي، (**وَجَهْلِي**) أي: ما عملته من سيئات بجهلٍ منِّي، (**وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي**) أي: ما أكثرت فيه من المعاصي (**وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**) ممَّا أعمله من سيئات، (**اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي**).

وقوله: (**اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ**) أي: ما تقدَّم من سيئاتي (**وَمَا أَخَّرْتُ**) أي: إنْ علمت سيئات في المستقبل فاغفرها ليَّ يا رب (**وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**).

وقوله: (**أَنْتَ الْمُقَدِّمُ**) أي: أنت المقدّم إلى الخيرات وإلى الجنة (**وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ**) إلى السيئات والشَّر وإلى النار (**وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**).

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي**) يدل على جواز التَّفصيل في الدُّعاء حيث يدعو المسلم بمغفرة اللهﷻ لذنوبه التي يعملها ويفصِّل الأحوال في الجهل والإسراف، وما تقدَّم منها وما تأخر، والخطأ والعمد، والهزل والجِدُّ وهكذا.

المسألة الثانية: لا يجوز الاعتداء في الدُّعاء وهو مجاوزة الحدِّ فيه بذكر ألفاظ لا معنى لها في طلب المغفرة والرحمة مثلاً.

مثالُ ذلك: أنْ يقول: اللّٰهُمَّ اغفر ليَّ إذا بكت عليَّ العيون، واغفر ليَّ إذا وسدوني التُّراب في اللَّحد، واغفر ليَّ إذا تمزَّق الكفن وهكذا، فهذا التَّفصيل لم ترد به السُّنَّة وليس له معنىً. ولكنّ التَّفصيل كما في الحديث يجوز ومثل لو قال شخصٌ مثلاً: يا رب اغفر ليَّ سيئاتي التي عملتها في الليل وفي النهار، وفي السفر وفي الحضر هذا جائز، ومن الاعتداء في الدُّعاء مثلاً أنْ يقول: اللّٰهُمَّ إنْ كان في سابق علمك هداية فلان فاهده، وإنْ كان في سابق علمك أنَّه لا يهتدي فانزل عليه رجزك وغضبك ونحو ذلك.

والمشروع إنْ كان يرى المرء أنَّه قريبٌ من الهداية يدعو له بالهداية كما فعل النَّبيُّﷺ: ((اللّٰهُمَّ اهدي دوساً وأتني بهم))، وإنْ كان يرى أفعاله بعيدة عن الهداية فيجوز الدُّعاء عليه بدون تعليق في الدُّعاء.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَجَهْلِي**) يدل على أنَّ من أسباب المعاصي الجهل مثل: أنْ يجهل حُسْنَ إصباغ الوضوء، أو أنْ يجهل حُسْنَ الصلاة وهكذا.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي**) يدل على أنَّ من العباد من يذنب ذنباً كثيراً في أمرٍ واحدٍ مثل:إكثاره من عقوق الوالدين، أو يتنوَّع بالإكثار من المعاصي -والعياذ بالله-.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**) يدل على أنَّ الإنسان قد يقع في معاصٍ وهو لا يعلم بها كتقصيره في تعليم الناس، أو الدَّعوة، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الإحسان إلى الجار، وحُسْنِ الخلق، ونحو ذلك.

المسألة السادسة: قوله: (**اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي جِدِّي**) يدل على أنَّ الإنسان مآخذٌ على السيئات التي يعملها في جِدِّه كما أنَّه أيضاً يثاب على السيئات يؤاخذ بها في جِدِّه.
المسألة السابعة: قوله: (**وَهَزْلِي**) يدل على أنَّ الإنسان تكتب سيئاته لو عمل سيئة ولو في حال هزله مثل: الكذب ليضحك الناس، ومثل أيضاً: أنْ يتشبَّه بامرأةٍ في كلامها أو لُبْسها ليضحك الناس وهكذا.
المسألة الثامنة: قوله: (**وَخَطَئِي**) يدل على أنَّ الإنسان قد يُعاقب على خطئه وهذا في الأصل، لكنّ الله ﷻ كتب على نفسه أنَّ الخطأ يغفره كما في قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ قال الله: ((قد فعلت)).
المسألة التاسعة: قوله: (**وَعَمْدِي**) يدل أيضاً على أنَّ الإنسان يُحاسب على كلِّ شيءٍ في عمده وفي غير عمده قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.
المسألة العاشرة: قوله: (**وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي**) هذا إقرارٌ من العبد لله ﷻ بأنَّ ذنوبه كثيرٌ وهذا من أسباب مغفرة الله للمذنب وهو اعترافه بالذَّنب، وإذا اعترف المذنب بالذَّنب يغفر الله ﷻ له ذنبه بكرمه قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ قال الله: ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ ﴾.
المسألة الحادية عشرة: قوله: (**اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ**) يدل على أنَّ الله لا ينسى إذا فعلت السيئات وكذا الحسنات قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾، وقال: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ ﴾ لذلك يجب على العبد أنْ يحترس من الذُّنوب فقد ينساها العبد ولكنْ تبقى في صحيفة أعماله، ويمحوها - بإذن الله - الدُّعاء كما في هذا اللَّفظ.
المسألة الثانية عشرة: قوله: (**وَمَا أَخَّرْتُ**) يدل على أنَّ الشيطان متربصٌ بابن آدم فإنْ عاش يؤزُّه إلى السيئات فأرشد النَّبيُّ ﷺ إلى سلاحٍ عظيمٍ وهو دعاء الله بمغفرة الذُّنوب التي قد تحدث في المستقبل.
المسألة الثالثة عشرة: قوله: (**وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ**) يدل على أنَّ العبد إذا فعل السيئة تكتب سواء أعلنها أم أسرَّها قال سبحانه: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن

جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**وَمَا أَسْرَرْتُ**) يدل على قرب الله ﷻ من العبد، فحتى لو أسرَّ الذَّنب الله يعلمه قال سبحانه: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ﴾.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: (**وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**) يدل على حلم الله ﷻ على عباده؛ إذْ يعلم أنَّهم يذنبون كثيراً فقد لا يشعرون بذنوبٍ كثيرةٍ فعلوها.

المسألة السادسة عشرة: قوله: (**أَنْتَ اَلْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ**) يدل على إثبات اسمين من أسماء الله ﷻ، وإثبات الصفتين الدَّالتين على ذلك.

المسألة السابعة عشرة: قوله: (**أَنْتَ اَلْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ**) يدل على وجوب تعلُّق العبد بالله؛ إذْ أنَّ من أسباب السَّعادة أو الشَّقاوة والتَّقديم والتَّأخير والعلو والانخفاض بيد الله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثامنة عشرة: قوله: (**أَنْتَ اَلْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ**) يدل على أنَّ من أسباب تأخر العبد عما يرضي الله هو الذُّنوب؛ بدلالة الحديث من أوله بالدُّعاء بالمغفرة.

المسألة التاسعة عشرة: قوله: (**وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) يدل على قدرة الله ﷻ لمغفرة ذنوب عباده ورفعتهم عنده في الجنة.

المسألة العشرون: يدل هذا الحديث على كثرت دعاء الله بالمغفرة؛ فالمغفرة هي الوقاية من شؤم ذلك الذَّنب.

١٣٤٩- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي اَلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ اَلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي اَلَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ اَلْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ اَلْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ساق المصنِّف ﷺ هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: الدُّعاء بصلاح الدين.

قال: (**اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي اَلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي**) أي: به حفظُ أمري ونجاتي وسلامتي من الشُّرور والآفات، (**وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ اَلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي**) أي: التي فيها رزقي ومتاعي، (**وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي اَلَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي**) أي: مرجعي.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي**) يدل على أنَّ أهمَّ ما يدعو به الإنسان هو صلاح الدين، ولهذا أمر اللهﷻ بتكرار مثل هذا الدُّعاء في الصلاة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ وفي صحيح البخاري: ((كان النَّبيُّ ﷺ إذا قام من الليل يقول في دعاء الاستفتاح ومنه: اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنَّك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ)) وقال النَّبيُّ ﷺ لعلي: ((يا علي قلْ: اللّٰهُمَّ اهدني وسدِّدني)).

المسألة الثانية: كلُّ من فقد الدين فالنِّعمة في حقِّه ناقصة ولو كثر ماله وعافيته وأولاده، فالنِّعمة لا تتم إلَّا بالدين قال سبحانه: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ فكلُّ نعمةٍ نقصها الدين فهي ناقصة.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ اَلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي**) يدل على أنَّه يسنُّ أنْ يدعو الإنسان بصلاح دنياه، فإذا فسدت دنياه لم يستطع أنْ يعبد ربَّه مثل: لو فقد عقله وهكذا.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي اَلَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي**) يدل على أنَّ عمل الإنسان في هذه الدنيا من أجل صلاح الآخرة كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

المسألة الخامسة: قوله: (**وَاجْعَلْ اَلْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ**) يدل على أنَّ يسنُّ أنْ يدعو الإنسان بطول العمر مع صلاح العمل، فكلُّ ما طال عمر الإنسان زادت درجته، وإذا نقص قال النَّبيُّ ﷺ: ((انقطع عمله إلَّا من ثلاث)).

المسألة السادسة: قوله: (**وَاجْعَلْ اَلْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**) يدل على أنَّه يجوز الدُّعاء المعلَّق حال الفتن؛ لما جاء في صحيح البخاري ومسلم: ((اللّٰهُمَّ أحيني ما كانت الحياة خيرٌ ليَّ، وتوفني ما كانت الوفاة خيرٌ ليَّ)).

أما في حال عدم الفتن فقال النَّبيُّ ﷺ: ((لا يتمنَّينَّ أحدكم الموت لضرٍ نزل به)) ومن باب أولى الدُّعاء بالموت، فإذا حلَّت فتنة عظيمة خشي الإنسان منها على نفسه يدعو إنْ كانت الحياة خيرٌ ليَّ فأطل عمري، وإنْ كانت الحياة شرٌ ليَّ فاقبضني إليك غير مفتون.

١٣٥٠- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ يَقُولُ: اَللَّهُمَّ اِنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي)) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: أنَّ من أسباب صلاح الدِّين الذي في الحديث السَّابق هو العلم النَّافع.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**اَللَّهُمَّ اِنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي**) يدل على أنَّ العلم منه ما هو غير نافع لمفهوم هذا الحديث.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ أفضل العلم هو الذي ينفع الإنسان في دينه وآخرته وهو العلم الشرعي قال سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ من لم ينفعه العلم ففيه شبه من اليهود - والعياذ بالله - قال سبحانه: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾.

المسألة الرابعة: قوله: (**وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي**) يدل على كرم الله عز وجل على عباده بأنواع العلوم بل جعل سبحانه نشر العلم؛ لإثبات صفة الكرم له قال سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾.

المسألة الخامسة: يسنُّ للإنسان أنْ يدعو ربَّه أنْ يعلمه العلم الذي ينفعه وهو العلم الشرعي.

المسألة السادسة: قوله: (**وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي**) يدل على أنَّ العلم النَّافع نوعٌ من أنواع الرزق بل هو خير الرزق؛ لأنَّ به الإيمان وصلاح القلب.

المسألة السابعة: يدل على أنَّه يشرع للإنسان أنْ يدعو ربَّه أنْ يزيده من هذا العلم قال سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ ولم يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالدُّعاء بالزِّيادة من شيءٍ إلَّا من العلم؛ لأنَّه كلما زاد العلم وعَمِلَ به الإنسان زاد إيمانه.

المسألة الثامنة: العلم النَّافع هو الذي يدعو للعمل الصالح فعلمٌ بلا عمل شبه باليهود، وعملٌ بلا علم هذا شبه النَّصارى لذلك أمرنا الله ﷻ بالتَّعوذ من طريقهما في كلِّ ركعةٍ ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

ثم بعد ذلك قال المصنِّف رحمه الله:

وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: ((وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ)) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

ساق المصنِّف رحمه الله هذه الرواية في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: نوع من أنواع الدُّعاء بالعلم وهو الزِّيادة منه.

لذلك قال: (**وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**) يعني: في السَّراء والضَّراء، وكذا في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ (**وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ**) - والعياذ بالله -؛ لأنَّ حال أهل النار من عذاب إلى عذاب كما قال سبحانه: ﴿ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾، وقال سبحانه: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾.

وهذه الرواية تدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**وَزِدْنِي عِلْمًا**) يدل على مشروعية الدُّعاء بهذا الدُّعاء العظيم.

المسألة الثانية: قوله: (**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**) يدل على أنَّ الله ﷻ له صفة الحمد فيحمد على كلِّ حالٍ فيها الإنسان من سرَّاء أو ضرَّاء.

المسألة الثالثة: قوله: (**وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ**) يدل على أنَّ من أسباب دخول النار هو الجهل كجهله بتوحيده لله ﷻ وغير ذلك.

قال: (**وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ**) وبعض أهل العلم يضعِّف هذه الرواية.

١٣٥١- وَعَنْ عَائِشَةَ﵂: ((أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا اَلدُّعَاءَ: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ اَلْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اَلْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا)) أَخْرَجَهُ اِبْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ.

ساق المصنِّفُ﵀ هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: من هدي النَّبيِّ ﷺ سؤال الله الجنة.

والمصنِّفُ﵀ لما أوشك على ختام هذا المؤلَّف العظيم جعل الأحاديث الثلاثة ترتيبها دعاء الله العلم النَّافع؛ لأنَّ الكتاب حوى علماً عظيماً، ثم سؤال الله الجنة؛ لأنَّ العلم يؤدِّي إلى دخول الجنة، ثم آخر حديثٍ كما سيأتي - بإذن الله - عملٌ يحبُّه الله؛ ليكون طالب العلم موعوداً بالجنة وبمحبَّة الله له.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا اَلدُّعَاءَ**) يدل على حرص النَّبيِّ ﷺ على تعليم الآخرين.

المسألة الثانية: قوله: (**هَذَا اَلدُّعَاءَ**) يدل على أهمية الدُّعاء؛ إذْ كان النَّبيُّ ﷺ يعلِّم بعض ألفاظه للناس.

المسألة الثالثة: قوله: (**عَلَّمَهَا هَذَا اَلدُّعَاءَ**) يدل على أنَّ من هدي النَّبيِّ ﷺ أنَّ الزوج يعلم زوجته وأهل بيته دين الله.

المسألة الرابعة: قوله: (**عَلَّمَهَا هَذَا اَلدُّعَاءَ**) يدل على أدعيةٍ كان النَّبيُّ ﷺ يحرص على تعليمها، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري: ((أنَّ سعد بن أبي وقاصٍ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ يعلِّمنا هذا الدُّعاء كما يعلمنا الكتابة، وفي لفظ: كما يعلِّمنا الكتاب - يعني: القرآن - وهذه الدَّعوات قال: اللَّهُمَّ إنَّا أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أنْ أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من عذابٍ في النار، وأعوذ بك من عذابٍ في القبر)).

ولو وضع المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في أصل المتن في باب الذِّكر والدُّعاء كان أولى؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعلمهم الصحابة كما يعلمهم القرآن.

المسألة الخامسة: قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ**) يدل على أنَّ المسلم لا يستكثر شيئاً من الله بل يسأله كلَّ خير، الله يقول: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ وكما قال سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ ولقول أبو بكر رضي الله عنه: ((فهل على المرء من جناح أنْ يدخل من أبواب الجنة الثمانية؟)).

المسألة السادسة: قوله: (**عَاجِلِهِ**) يدل على أنَّ من الخير ما ينزله الله عز وجل أو يسقوه إلى عباده عاجلاً، ومن ذلك الهواء والماء وغير ذلك.

المسألة السابعة: قوله: (**وَآجِلِهِ**) يدل على أنَّ الله عز وجل لحكمة قد يؤخِّر زول الخير على عبده.

المسألة الثامنة: يشرع للمرء أنْ يسأل ربَّه آجله وعاجله حتى الذي يتأخر ما يتمناه يسأل الله عز وجل أنْ ينزله، أو يسوقه إليه.

المسألة التاسعة: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ**) يدل على أنَّ الشرَّ لا خير فيه للعبد، فهو سبب ما يصيبه من مصائب.

المسألة العاشرة: قوله: (**عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ**) يدل على فضل الله عز وجل العظيم؛ إذْ يحبس الشرَّ من عبده ومن ذلك ما قاله النَّبيُّ ﷺ: ((إنِّي أرى الفتن تنزل في بيوتكم كمواقع القطر)).

المسألة الحادية عشرة: ممَّا يمنع نزول الشَّر الدُّعاء.

المسألة الثانية عشرة: قوله: (**مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ**) يدل على أنَّ الشرَّ منه ما يظهر ومنه ما يخفى كما قال عليه الصلاة والسلام: ((تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)).

المسألة الثالثة عشرة: يدل على قصور علم البشر فقد يكون الشَّر قادماً إليه وهو لا يعلم، ولا يصدُّه - بإذن الله - إلَّا الدُّعاء.

المسألة الرابعة عشرة: قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ**) هذا دعاءٌ من أجمع الأدعية، فكلُّ ما دعا به النَّبيُّ ﷺ ممَّا به خير أنت تدعو به حتى ولو لم تعرفه، وهذا الدُّعاء مع قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ من أشمل الأدعية التي أتى بها القرآن والسُّنَّة.

المسألة الخامسة عشرة: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ**) أي: يا رب كُلُّ أمرٍ التجأ واعتصم به نبيك إليك ألاَّ يصيبه أيُّ شرٍّ فاجعلني كذلك.

المسألة السادسة عشرة: قوله: (**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اَلْجَنَّةَ**) يدل على مشروعية دعاء الله ﷻ الجنة؛ إذْ هي مبتغى كلِّ إنسانٍ حتى اليهود والنَّصارى قال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾ فهي أمنية حتى الكفَّار لكن لم يوفَّق إليها سوى المسلمين قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾.

المسألة السابعة عشرة: قوله: (**وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**) يدل على أنَّ الإيمان يزيد بالقول والعمل الصالح.

المسألة الثامنة عشرة: قوله: (**مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**) يدل على أنَّه يجب على الإنسان ألاَّ يحقر أيَّ قولٍ أو عملٍ؛ فنصف التمرة قد تحجب الإنسان عن دخوله النار ((اتقوا النار ولو بشقِ تمرة))، وفي صحيح البخاري: ((أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الرجل إذا تصدَّق بصدقةٍ من كسب طيبٍ يأخذها الله ﷻ بيمينه، ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوَّة)) يعني: الخيل الصغير قال: ((حتى تكون كالجبل)).

المسألة التاسعة عشرة: قوله: (**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ**) يدل على أنَّ النار - والعياذ بالله - أمرٌ مهولٌ وصفها الله ﷻ بقوله: ((وأنت عذابي أعذِّب بك من أشاء)) كما في الحديث القدسي.

المسألة العشرون: يجب على الإنسان أنْ يبتعد عن كلِّ خطيئة؛ فقد تكون سبباً في دخوله النار كما قال النَّبيُّ ﷺ: ((دخلت امرأةٌ النار في هرة)).

المسألة الحادية والعشرون: قوله: (**وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً**) يدل على أنَّه يجب على الإنسان أنْ يفوِّض أموره لله قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

المسألة الثانية والعشرون: قوله: **(خَيْراً)** يدل على أنَّ الإنسان يسأل الله أنْ يثبِّته على المصائب؛ فقد تكون خيراً له بصبره عليها وهو لا يعلم قال سبحانه: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾.

وقال الشَّيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لما قال رجلٌ لآخر: ((والله لا يغفر الله لفلان)) قال الشَّيخ رحمه الله: ((فدلَّ على أنَّ الإنسان قد يغفر الله له ذنبه بالأمر المكروه؛ لقوله سبحانه في الحديث: من ذا الذي يتألَّى عليَّ؛ فإنِّي قد غفرت لفلان)).

١٣٥٢- وَأَخْرَجَ ٱلشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى ٱلرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى ٱللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي ٱلْمِيزَانِ: سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ)).

ساق المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث في باب الذِّكر والدُّعاء؛ لبيان: ذِكْرٍ محبوبٍ عند الله عز وجل.

وجعل المصنِّفُ رحمه الله هذا الحديث خاتمة كتابه؛ رجاءً من الله - سبحانه وتعالى - أنْ يكون طالب العلم الذي يكثر من ذكر الله والمخلص في طلبه للعلم ونشره محبوباً عند الله.

وخالف منهجه رحمه الله في هذا الحديث؛ إذْ قدَّم من روى الحديث على متن الحديث، فلم يقل في آخره مثلاً: ((متفق عليه)) وإنَّما قال: **(وَأَخْرَجَ ٱلشَّيْخَانِ)**.

وتبع أيضاً المصنِّفُ رحمه الله بجعل هذا الحديث هو خاتمة كتابه الإمام البخاري رحمه الله؛ إذْ ختم كتابه الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري بهذا الحديث؛ رجاءَ محبَّة الله عز وجل لمن جمع الكتاب ولمن حفظه أو اطَّلع عليه.

قال: **(كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى ٱلرَّحْمَنِ)** أي: يحبُّهما الله عز وجل وذكر الرحمن؛ لأنَّ الرحمة هي أوسع صفات الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾.

(خَفِيفَتَانِ عَلَى ٱللِّسَانِ) أي: سهلُ التَّلفظ بها، **(ثَقِيلَتَانِ فِي ٱلْمِيزَانِ)** أي: أنَّ أجورهما كثيرةٌ فهي تثقل الميزان **(سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)** أي: أنزِّه الله عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ مع إقراري وذكري لجميع محامده سبحانه.

وقوله: (**سُبْحَانَ اَللَّهِ اَلْعَظِيمِ**) أي: أنزِّه الله؛ لأنَّه سبحانه عظيمٌ في كلِّ شيءٍ في صفاته، وفي أسمائه، وفي أفعاله، وفي ذاته لا أعظم منه كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

وهذا الحديث يدل على عدَّة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**كَلِمَتَانِ**) يدل على أنَّ الإسلام من نهجه تيسير العبادات على العباد كما قال سبحانه عن رمضان: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ ﴾ وقال أيضاً: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ ﴾ وقال عن أشهر الحج: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ ﴾ لذا: على المسلم حين دعوته للناس أنْ يسهِّل لهم أمور العبادات بألفاظٍ تحثُّهم على العمل.

المسألة الثانية: قوله: (**حَبِيبَتَانِ إِلَى اَلرَّحْمَنِ**) فيه إثبات صفة المحبَّة للهﷻ.

المسألة الثالثة: قوله: (**حَبِيبَتَانِ إِلَى اَلرَّحْمَنِ**) يدل على أنَّ اللهﷻ يحبُّ كلَّ ما أمر به، وهذه قاعدة شرعية أنَّ كلَّ أمرٍ أمر به الله فهو يحبُّه.

المسألة الرابعة: قوله: (**حَبِيبَتَانِ إِلَى اَلرَّحْمَنِ**) إذا أحبَّ اللهﷻ العمل فهو يحبُّ العامل به.

المسألة الخامسة: قوله: (**خَفِيفَتَانِ عَلَى اَللِّسَانِ**) يدل على أنَّ الذِّكر منه ما هو طويل ومنه ما هو قصير، وهذا ممَّا هو خفيفٌ.

المسألة السادسة: يدل على أنَّ من الأعمال ما هو خفيفٌ ويسيرٌ ولكنّ أجره عظيمٌ، فينبغي للمسلم أنْ ينظر لهذه الأعمال التي أجورها عظيمة بعملٍ يسيرٍ.

المسألة السابعة: قوله: (**ثَقِيلَتَانِ فِي اَلْمِيزَانِ**) يدل على أنَّ الأعمال توزن كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٨ ﴾.

والعامل أيضاً يوزن؛ لقول النَّبيِّﷺ: ((يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يساوي عند الله جناح بعوضة))، وتوزن أيضاً صحائف الأعمال كما في حديث لا إله إلَّا الله رجحت بكفة الميزان.

والعبرة هو بوزن الأعمال، أما وزن العامل فلا يضرُّ فقد يكون مسلماً نحيفاً يدخل الجنة، وقد يكون رجلاً سميناً كافراً يدخل النار.

المسألة الثامنة: قوله: (**ثَقِيلَتَانِ فِي ٱلْمِيزَانِ**) يدل على أنَّ الأعمال الصالحة تتفاضل عند الله فمنه ما يثقل الميزان، ومن الأعمال ما يملأ الميزان كما في صحيح مسلم: ((والحمد لله تملأ الميزان)).

المسألة التاسعة: قوله: (**سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) يدل على أنَّ اللهﷻ يحبُّ الحمد والثناء عليه وهو أهلٌ لذلك، ومن أعظم الثناء على اللهﷻ تنزيهه عن المعايب والنَّقائص وإثبات كمال الحمد لله - سبحانه وتعالى -.

المسألة العاشرة: قوله: (**سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ**) يدل على أنَّ من أسباب وجوب تنزيه الله عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ أنَّه عظيمٌ، والعظيم حقُّه ألاَّ يعتريه شيءٌ ممَّا يوصف به ما لا يستحقه.

المسألة الحادية عشرة: ينبغي لطالب العلم أنْ يداوم على هذا الذِّكر؛ فهو من أسباب محبَّة اللهﷻ للعبد وأجرها كبيرٌ، وزمن قولها قليلٌ، والجُهْد فيها يسيرٌ.

المسألة الثانية عشرة: وضع المصنِّف‫ﷺ‬ هذا الحديث في آخر كتابه؛ ليبيِّن أنَّ المقصود من العلم هو العمل، ومن ذلك ذكر الله الذي يظهر تعظيم العبد لله والخضوع له وهذا هو المقصود من العبادة؛ إذْ العبادة تذلُّلٌ لله.

وبهذا الحديث العظيم ختم المصنِّف‫ﷺ‬ هذا الكتاب الوجيز كثيرُ الفائدةِ خفيفُ المحمل، بذل فيه جهداً كبيراً لتحريره لطلاب العلم فحريٌّ بطالب العلم ألاَّ يفرِّط فيه حفظاً ومدارسةً ومراجعةً له؛ فهو يحوي جلَّ أحكام الدين من العبادات فيها.

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورفع درجته في المهديين، وجمعنا به في جنَّات النَّعيم، وأوسع مُدْخَلَه ونوَّر عليه في قبره، والله أعلم وصلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله